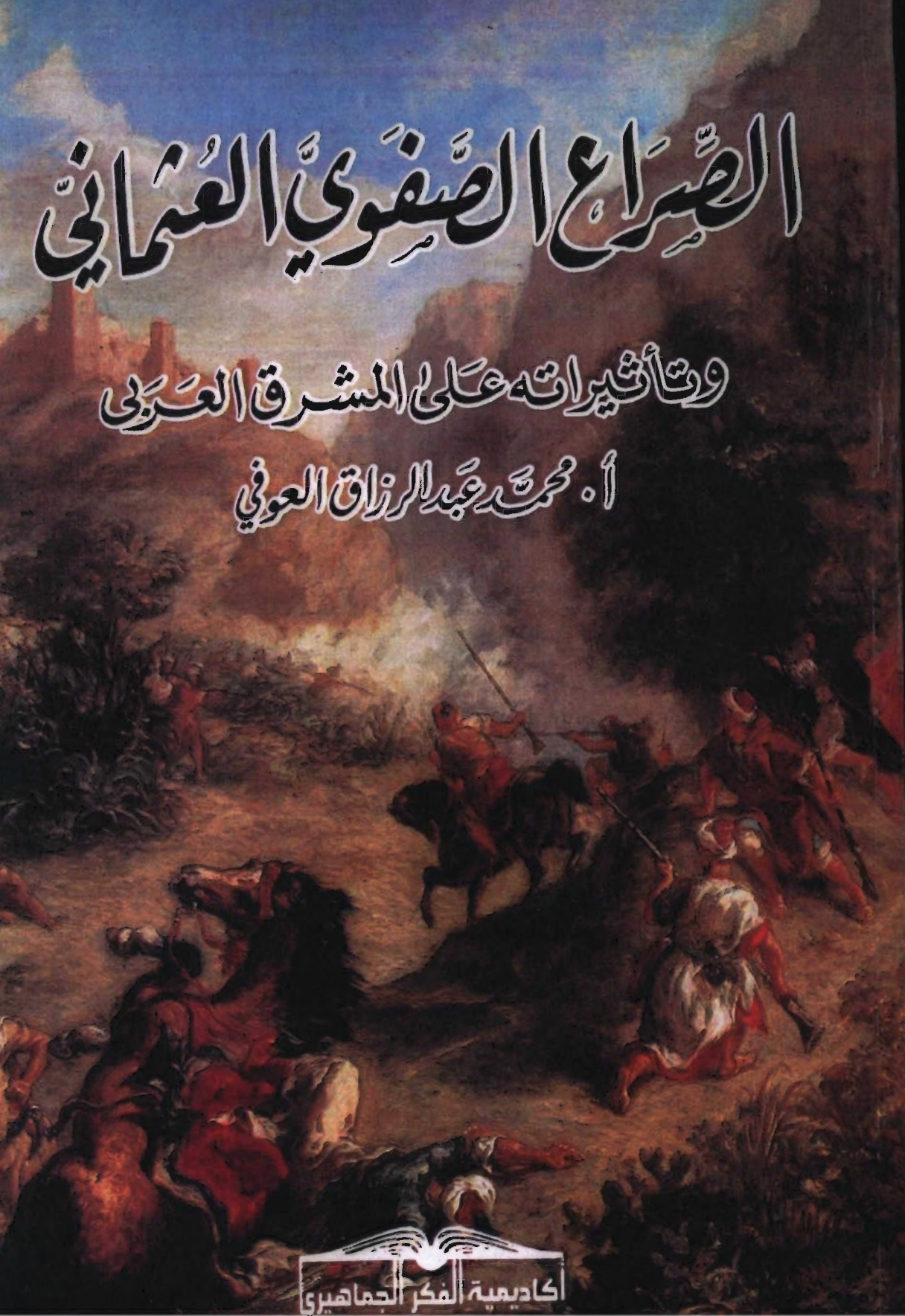


الصَّراخُ الصَّفْوِيُّ العُثماني

وآثاره على المشرق العربي

أ. محمد عبد الرزاق العوني



الصِّراع الصِّفوي العُثماني

وتأثيراته على المشرق العربي

١٥١٤ / ١٥٥٥ م.

الأستاذ
محمد عبد الرزاق العوفي



الطبعة الأولى - 2008 ف.

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية - بنغازي - ليبيا

رقم الإيداع: 2008/134

الرقم الدولي الموحد :

ردمك : 0 - 08 - 866 - 9959 - 978 ISBN

جميع حقوق الطبع والتأليف والتحقيق محفوظة للناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ﴾ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ
بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿[الرُّوم]

الإهداء

إلى نبغي الحياة والحنان إلى أبي وأمي اعترافاً

بجميل العطاء وبراً بهما •

ابنكما محمد

شكر وامتنان

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى الدكتور الطيب عبد الله البهلول وأقدم خالص امتناني إلى الأستاذين الدكتور مختار العجيل، والدكتور محمود أبو صوة اللذين شجعاني على الدخول في مجال الدراسات العليا، وكان لملاحظتهما، ونصائحهما دور في إثراء موضوع البحث .

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتور صبري أنوشه مستشار سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الذي تفضل مشكوراً بتعريب العديد من النصوص، والوثائق المدونة باللغة الفارسية . وأقدم خالص ثنائي إلى أعضاء هيئة التدريس في قسم التاريخ وأخص بالشكر منهم، الدكتور قاسم الجميلي، الأستاذ محمد علي عريبي، الأستاذة خديجة الطناشي، والأستاذ جمال سالم . كما أتقدم بالشكر إلى الدكتور محمد بن يونس .

كما أتقدم بالشكر على العاملين بالمكتبات العامة التالية :

- مكتبة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .
- مكتبة دار نويجي للثقافة .
- مكتبة كلية العلوم الاجتماعية والتطبيقية " سابقاً " .
- مكتبة قدرى معروف .
- مكتبة المعهد الدبلوماسي .
- المكتبة المركزية بجامعة الفاتح القاطع ب .

- المكتبة القومية المركزية .
- مكتبة الإسكندرية .
- مكتبة كلية الآداب بجامعة القاهرة .
- مكتبة القاهرة الكبرى . مكتبة الجمعية المصرية التاريخية .
- المكتبة المركزية بجامعة عين شمس .
- مكتبة جامعة الأزهر .
- دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة .

إليهم جميعاً أتقدم بالشكر والامتنان

محمد العوفي

المحتويات

الصفحة	الموضوع
5	الإهداء .
7	شكر وامتنان .
9	المحتويات .
11	المقدمة .
	الفصل الأول :
17	المشرق العربي بين التوجه العثماني والامتداد الصفوي .
19	المبحث الأول : الأهمية الاستراتيجية للمشرق العربي وتياراته السياسية.
32	المبحث الثاني : المشرق العربي والتوجه العثماني والامتداد الصفوي .
	الفصل الثاني :
59	أسباب الصراع الصفوي العثماني .
61	المبحث الأول : الادعاءات المذهبية للصراع .
84	المبحث الثاني : الأسباب الاجتماعية والاقتصادية للصراع الصفوي العثماني .
102	المبحث الثالث : الأسباب السياسية للصراع .
	الفصل الثالث :
121	مراحل الصراع الصفوي العثماني .
	المبحث الأول : العلاقات الصفوية العثمانية 1505 - 1514 م :
123	الاحتكاكات الأولى.
132	المبحث الثاني : اجتياح إيران والصراع على كردستان .
150	المبحث الثالث : الصراع من سنة 1534 - 1548 م .
162	المبحث الرابع : الصراع من سنة 1553 - 1555 م .

الفصل الرابع :

171	تأثيرات الصراع الصفوي العثماني على المشرق العربي .
173	المبحث الأول : محاولات السيطرة على المشرق العربي وتداعياتها .
184	المبحث الثاني : السيطرة العثمانية على المشرق العربي .
	المبحث الثالث : العلاقات العثمانية الصفوية مع أوروبا في فترة
193	الصراع.
205	الخاتمة .
213	قائمة المصادر والمراجع .
239	الملاحق .
242	الوثائق.
285	الأشكال والصور.
295	الخرائط

مقدمة

لعل من أهم مراحل التاريخ الإسلامي تأثيراً في الأفكار والمؤسسات لدى الأفراد والجماعات المرحلة التي شهدت قيام دولتين كبيرتين متأخرتين في دار الإسلام، هما الدولة العثمانية في آسيا الصغرى، والدولة الصفوية في إيران، وترجع هذه الأهمية إلى سببين، أولهما أنه قدر لهما أن يكونا آخر صيغتين للدولة الإسلامية العامة - غير القطرية - التي تعلن انتسابها للشريعة، وبسقوطهما انقطعت هذه الصيغة في الحكم التي دامت في تاريخ المسلمين أكثر من ألف سنة وثلاثة قرون، ثانيهما أن هاتين الدولتين نشب بينهما صراع من أجل السيطرة والتوسع في مناطق العالم الإسلامي .

وقد بررت كل منهما صراعها مع الأخرى بوسائل مختلفة، كان على رأسها التعبئة الدينية، وفقاً لاجتهادات مذهبية معينة (الإمامية الأثنا عشرية لدى الصفويين، والمذهب السني الحنفي لدى العثمانيين)، الأمر الذي أعطى لصراع الدولتين السياسي والاقتصادي والاستراتيجي في مناطق العالم الإسلامي - سيما المشرق العربي - صبغة مذهبية انعكست بدورها على أوضاع عامة المسلمين تشتتاً وتفرقاً واضطهاداً، وهذا ما عانى منه سنة إيران، وكذلك شيعة البلقان والعراق وسوريا ولبنان، ابتداءً من القرن السادس عشر، تاريخ انفجار الصراع بين الدولتين . مع ملاحظة ان تزامن صراعهما مع ما اصطلح على تسميته بنهضة أوروبا وتوسعها في العالم، وهو تزامن خطير، وعلامة استفهام كبرى بين وضعيتين تاريخيتين عالميتين : تقدم الغرب المسيحي، وتأخر الشرق الإسلامي.

مما لا شك فيه أن دراسة الصراع الصفوي العثماني أمر تكتنفه العديد من الصعوبات، لعل من أبرزها، عدم توفر قدر كافٍ من المصادر التي

تتناول الفترة قيد الدراسة، سيما الإيرانية منها التي لم يترجم قدرٌ كبيرٌ منها حتى كتابة هذه الدراسة، مما استدعى الباحث طلب العون من المختصين لمساعدته في ترجمة العديد من النصوص التاريخية، فضلاً عن العديد من الأبحاث الحديثة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى اتضح أن الغالبية العظمى من المصادر المتوفرة، بشقيها العثماني والإيراني غير حيادية في أغلب الأحيان، ما استدعى الحذر في نسل المعلومات عنها، مع ملاحظة أن أغلب المصادر العربية - مثل الصديقي الشوكاني، النهروالي، القرمانى، والغزي -، تمثل وجهة نظر عثمانية إلى حد بعيد، بينما يلاحظ على المصادر الإيرانية مع قلتها أنها تتحامل على العثمانيين، ربما يرجع ذلك لكثرة الهزائم التي منى بها الصفويون في فترة الصراع.

وللإنصاف إن هناك دراسات إيرانية جادة وموضوعية على درجة كبيرة من الأهمية، قد أفادت منها الدراسة، تأتي في مقدمتها أعمال الباحث الكبير إقبال عباس، و عبد الحسين نوائى كوب .

أن ما دلل من هذه الصعوبات، الحصول على قدر لا يستهان به من الأبحاث الأجنبية التي تناولت الصراع الصفوي العثماني، وهي أن تميزت بعدم الانحياز لأحد الطرفين، فإنها تعاملت مع موضوع اختلاف المذاهب (السني، الشيعي) بصورة تُسئ إلى الإسلام والمسلمين، مع عدم الإنكار، إن ذلك الاختلاف أمر حدث وما زال يحدث، كما لا ينكر الباحث إن شبكة المعلومات الدولية " الإنترنت " قد ساعدته في جمع العديد من المعلومات، عن موضوع الدراسة، في مواقع متنوعة، زادت عن عشرين موقعاً، ما أثرى الدراسة بكم من المعلومات تعذر الحصول عليها للأسباب سالفة الذكر. لقد ساد اعتقاد لدى جل الدراسات التي تناولت موضوع الصراع الصفوي العثماني، أنه صراع شيعي - سني، حيث توقفت عند العديد من

المظاهر أو الأحداث الموحية بهذا الاعتقاد، كشيوع الفتاوى الدينية التكفيرية التي كانت تصدر عن فقهاء كل طرف، وأشكال التعبئة المذهبية التي لجأ إليها كل من الجانبين، إضافة إلى حالات الانتقام التي رافقت الحروب تجاه السكان الشيعة في أماكن تواجدهم، أو السكان السنة في أماكن تركزهم و أعمال التهجير.

بيد أن الرؤية المقترحة في هذه الدراسة تركز على تنفيذ الأسباب (الادعاءات) المذهبية للصراع، مستندة على أدلة تاريخية، ستطرح تباعاً، في المقابل سيتم إعطاء نبذة مختصرة عن اقتصاديات المنطقة المعنية بالصراع قبيل اندلاعه، ثم محاولة ربط ذلك بظروف الصراع، إن ذلك يعنى محاولة الوصول لأسباب مقنعة لاندلاع الصراع الصفوي العثماني، ومن ثم التطرق لأبرز أحداث الصراع ونتائجه، سيما على المشرق العربي الذي شغل الصراع ساحاته الجغرافية وميادينه الحربية .

ولئن اختصت فترة الصراع الصفوي العثماني بين سنتي (1514-1555) فإن النظرة الشمولية للموضوع قد ألزمت الباحث بدراسة العلاقات الصفوية العثمانية قبيل بدء الصراع، وسبقها نبذة مختصرة عن المشرق العربي، وذلك لسببين :الأول أن فترة لا يستهان بها من الصراع قد شغلت هذه المنطقة، الثاني أن الشق الأخير من الدراسة يهتم بتأثيرات الصراع على المنطقة المعنية.

تأسيساً على ما سبق، قسمت الدراسة إلى أربعة فصول تسبقها مقدمة و تدليها خاتمة، فضلاً عن مجموعة من الوثائق والملاحق، وبعض الصور والخرائط وثبت المصادر والمراجع . الفصل الأول الموسوم " المشرق العربي بين التوجه العثماني و الامتداد الصفوي "، ينقسم إلى بحثين رئيسين، يتناول الأول الأهمية الاستراتيجية للمشرق العربي مع ذكر القوى السياسية المتمثلة بدولة المماليك، إضافة إلى البرتغال حول الخليج

العربي والبحر الأحمر، بينما يتضمن المبحث الثاني محاولة تفسير أسباب توجه العثمانيين للمشرق العربي، والامتداد الصفوي الفعلي نحو العراق ومحاولات الوصول إلى الشام ومصر.

أما الفصل الثاني المعنون بـ "أسباب الصراع الصفوي العثماني" فيُلقي الضوء على الأسباب التي أدت إلى تفجير الصراع الصفوي العثماني، وينقسم إلى ثلاثة مباحث، يدرس الأول التنبؤ المذهبي لكلا الدولتين ثم محاولة تفنيد الاختلاف بوصفه أحد أسباب الصراع (السنّي، الشيعي)، في الوقت الذي يقدم فيه المبحث الثاني أسباباً اجتماعية واقتصادية، كانت المحرك الفعلي للصراع كما ستوضحه هذه الدراسة.

أما الأسباب السياسية التي لها علاقة بطموح السلاطين والشاهات في التوسع والسيطرة، إضافة إلى رغبة في تزعم العالم الإسلامي، فإن المبحث الثاني، يتناولها بوصفها أحد الأسباب المؤدية للصراع .

أما الفصل الثالث المعنون بـ "مراحل الصراع الصفوي العثماني" فينقسم إلى أربعة مباحث ، أولها يقدم لمحة عن أهم الأحداث المشتركة بين الطرفين الصفوي العثماني قبيل اندلاع صراعهما، ثانيها يتضمن أعنف الأعمال الحربية في بداية الصراع المتمثلة في (جالديران) التي أدت إلى اجتياح العثمانيين لعاصمة الصفوية تبريز، ثم مرحلة الأرتداد العثماني ومعركة "قره غين دده" والصراع على كردستان، في الوقت الذي يواصل فيه المبحثان الثالث والرابع عرض أحداث الصراع بدءاً من حملة السلطان سليمان القانوني (حرب العراقيين) التي أفضت إلى السيطرة العثمانية على العراق، و مروراً بحرب "نخجوان" والاختراق العثماني الثالث لإيران، و انتهاءً بأول معاهدات الصلح بين الطرفين، معاهدة أماسيه "وأهم بنودها ونتائجها.

أما بالنسبة للفصل الرابع فيعالج تأثيرات الصراع على منطقة المشرق العربي والمحاولات الأوروبية لاستغلال الصراع لصالحها، و ما رافق ذلك من تداعيات على المشرق العربي، ويشمل ثلاثة مباحث، يختص الأول بالاجتياحات الصفوية للأراضي العربية وتأثيراتها في فترة الصراع، ويهتم المبحث الثاني ببداية السيطرة العثمانية على المشرق العربي باعتباره أحد نتائج وانعكاسات الصراع الصفوي العثماني، بينما يهتم آخر مباحث الدراسة بعرض بدايات علاقة أوروبا بالصراع الدائر في المشرق العربي، ومحاولة تصعيده والاستفادة منه، حيث يتم التطرق للعلاقات الأوروبية مع كلا طرفي الصراع وأثر ذلك على المشرق العربي.

الفصل الأول

المشرق العربي بين التوجه العثماني والامتداد الصفوي

المبحث الأول : الأهمية الاستراتيجية للمشرق العربي وتياراته السياسية .

- 1- أهمية المشرق العربي .
- 2- التيارات السياسية في المشرق العربي .
- المماليك .
- البرتغاليون .

المبحث الثاني : التوجه العثماني والامتداد الصفوي.

- الدولة العثمانية وتوجهها نحو المشرق العربي .
- الدولة الصفوية وامتدادها اتجاه المشرق العربي

المبحث الأول

الأهمية الاستراتيجية للمشرق العربي وتياراته السياسية

- الممالك .
- البرتغاليون .

الأهمية الاستراتيجية للمشرق العربي :

يشغل الوطن العربي مركزاً جغرافياً ممتازاً، حيث تتلقى عنده قارات العالم القديم (آسيا، أفريقيا، أوروبا)، وبفضل هذا الموقع ربط الوطن العربي بين الغرب الذي يمثلته الغرب الأوروبي، والشرق الذي يمثلته العالم الآسيوي، وتحيط بالوطن العربي حدود طبيعية من كل جانب، ففي الشمال البحر المتوسط، وجبال طوروس وزجروس، وفي الجنوب الصحراء الكبرى والمحيط الهندي، وفي الشرق الخليج، وفي الغرب المحيط الأطلسي، وهذه الحدود جعلته وحدة إقليمية طبيعية متميزة⁽¹⁾.

وقد اصطلح على تسمية الجزء الشرقي من الوطن العربي الواقع في قارة آسيا بالمشرق العربي، وبذلك فهو يضم شبه الجزيرة العربية والهلال الخصيب، الذي يتكون نصفه الشمالي من العراق ونصفه الجنوبي من سوريا، باعتبارها وحدة طبيعية تمتد من جبال طوروس الى صحراء سيناء وخليج العقبة في الجنوب⁽²⁾ وأكثر تحديد لحدود المشرق العربي الشرقية، أنه

(1) عمر، عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516-1922م) دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000 م، ص 12

(2) يضم الهلال الخصيب كل الوحدات السياسية الواقعة شمال الجزيرة العربية، وهي فلسطين والأردن ولبنان وسوريا والعراق، وقد أطلق هذا الاسم على تلك المنطقة باعتبارها المناطق الخصبة التي تكون في شكلها هلال يضم بين طرفيه موارد المياه من دجلة والفرات شرقاً إلى بردي والأردن والليطاني والكلب غرباً، الجوهري، يسري عبد الرزاق، جغرافية الشعوب الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1981م، ص 161.

يتأخم (الجزيرة العليا) المحصورة بين نهري دجلة والفرات، والتي تضم (ملاطية، ديار بكر، نصيبين، ماردين، أورفة، وعينتاب) أما المناطق الواقعة شرقي دجلة فتتمثل بالإقليم الشمالي من كردستان والمتصل ببحيرة وان، وهي سلاسل جبلية تزداد ارتفاعاً كلما اتجهنا نحو الشرق والشمال، وتمتد من جهة الغرب إلى ما وراء الحدود المشتركة مع سوريا⁽¹⁾، ثم تليها الدائرة المنحصرة بين هذه المراكز، لتمثل الخط الممتد بين الموصل وحلب، وتزيد إمكانية الامتداد الجغرافي نحو الغرب وصولاً إلى إنطاكية المجاورة للبحر المتوسط .

ومن البصرة شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً يمتد المشرق العربي بمناطقه الكبرى العراق وشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام⁽²⁾ في تضاريس متنوعة من سهول، جبال وصحارى⁽³⁾ .

شبه الجزيرة العربية هي مساحة من الأرض مفصولة عن العالم المحيط بها من ثلاث جهات : البحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب (وهو جزء من المحيط الهندي) وهي مقسمة إلى عدد من المناطق يختلف بعضها عن بعض بطبيعتها، ويمتد الخط الرئيسي للانقسام من الشمال بحر الجنوب بموازاة البحر الأحمر، وعلى الجهة الغربية من الخط هناك منطقة من الصخر البركاني، ثم السهل الساحلي (تهامة) الذي يرتفع إلى سلاسل من التلال والهضاب، ثم الحجاز وعسير واليمن سلاسل جبلية أكثر علواً بقمم قد تبلغ ارتفاعها 4000 متر فوق سطح البحر، وتمتد الجبال الجنوبية باتجاه الجنوب الشرقي ويقع بينها وادي حضر الفسيح⁽⁴⁾، وإلى شرقي الجبال تنحدر

(1) جودة، حسنين جودة، أحمد هارون جغرافية الدول الإسلامية، الإسكندرية، 984م، ص 688.

(2) هناك من يدرج مصر في نطاق المشرق العربي، وفي هذا البحث قصد بالمشرق العربي المنطقة العربية الواقعة في قارة آسيا فقط، أي أن مصر خارج هذا التصنيف.

(3) سيار، كوكب الجميل، العثمانيون وتكون العرب الحديث، بيروت، 1989م، ص 299.

(4) حوارني، البرت، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة كمال خولي، مطبعة

نوفل، بيروت، 1997م، ص 111

الأرض شرقاً باتجاه الخليج، حيث توجد في الشمال والجنوب صحراء النفوذ وصحراء الربع الخالي، تتوسطهما نجد، وفي امتداد طبيعي له، سهل الإحساء، يمتد حتى الخليج .

يأتي في مقدمة الأقاليم الإستراتيجية للمشرق العربي، الخليج العربي الذي يمتد على شكل ذراع بحري في جنوب غرب آسيا، وهو أحد أذرع المحيط الهندي، حيث يمثل البحر الأحمر الذراع الآخر والموازي له، وفي ذلك يقول ياقوت الحموي (بحر فارس هو شعبة من بحر الهند الأعظم)⁽¹⁾ وتقدر مساحة الخليج العربي بسبعة وتسعين ألف ميل مربع أي ما يعادل 520 ألف كيلو متراً، ويبلغ طوله من البصرة إلى ساحل عُمان نحو 800 كيلومتراً، ويبلغ عرضه 228 كيلومتراً في أقصى اتساعه شرقي جزيرة قطر، وستة وأربعين كيلومتراً عند مضيق هرمز، ويشمل الخليج العربي على عدد كبير من الجزر الصغيرة، بما شجع على الملاحة فيه⁽²⁾ .

ولم يكن الخليج معبراً تجارياً فحسب وإنما هو أيضاً من مراكز التجارة الهامة فتتفرع منه طرق برية أسهمت في نقل المتاجر الواردة براً إلى المدن الداخلية، مما عزز نشاط الطريق البحري في الخليج⁽³⁾، وكذلك تصدير سلع بلدان المشرق العربي، إلى أنحاء العالم المعروف آنذاك.

يعد المشرق العربي مركزاً لتجارة رائجة ورابحة وحركة نشطة، وذلك لكونه نقطة التقاء طرق التجارة المختلفة، فضلاً عن كونه مركزاً تجارياً مهماً وسوقاً للبضائع الاستهلاكية وطريقاً يوصل الغرب بالهند وأقصى الشرق (الشرق الأقصى)، حيث تنقل تجارة الحرير والتوابل والبخور،

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج1، ص343.

(2) قلنجي، قدر، الخليج العربي، دار المكاتب العربي، بيروت، 1965م، ج1، ص2؛ الصيرفي، نوال حمزة، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، الرياض، 1983م، ص30.

(3) سيتم التطرق إلى هذا الموضوع، الطرق البحرية والبرية في الفصل الثاني من هذا البحث.

ونظراً لأهمية الموقع الإستراتيجي للشرق العربي واهتمام سكانه بالتجارة فقد أنشئوا العديد من المراكز التجارية والموانئ مثل البصرة وبيروت، وهرمز⁽¹⁾، وقد وصف هذه الأخيرة الرحالة الإيطالي (فارتما) سنة 1503م قبل وصول البرتغاليين بمدة قصيرة فقال يصفها " أخيراً وصلنا مدينة جميلة تسمى هرمز التي لا تضاهيها مدينة أخرى من حيث الموقع وكثرة اللؤلؤ، وهي تقع على جزيرة تبعد 12 ميلاً عن الشاطئ وقد ترى فيها ثلاثمائة سفينة من مختلف أنواع المراكب التي تأتيها من جهات عديدة وبلاد مختلفة، وفي المدينة ما لا يقل عن أربعمائة تاجر ووكيل " (2).

ومن الموانئ البحرية العربية المشرقية المهمة البصرة التي تقع على الطرف الشمالي من الخليج العربي، كما أنها تمثل نقطة التقاء الطرق الممتدة من وسط بلاد فارس إلى الخليج والممتدة أيضاً من بادية شبه الجزيرة العربية إلى الخليج العربي وبذلك أصبحت البصرة مركزاً تجارياً مهماً لتوزيع السلع الآتية من بلاد فارس والعراق والشام والجزيرة العربية عبر الخليج العربي، ولاستقبال السلع الآتية من الشرق الأقصى وبخاصة التوابل في طريقها إلى العراق فالشام فسواحل البحر المتوسط⁽³⁾.

أما بالنسبة لمنطقة الهلال الخصيب، حيث سوريا الطبيعية تقع السهول المحلية خلف سلسلة من المرتفعات، تعلو في وسطها جبال لبنان وتنخفض في الجنوب إلى تلال فلسطين ووراءها إلى الشرق يقع غور الأردن، وهو جزء من الصدع الكبير الذي يمر عبر البحر الميت والبحر الأحمر وصولاً إلى أفريقيا الشرقية⁽⁴⁾، وكانت الشام (سوريا الطبيعية) مرتبطة ارتباطاً وثيقاً

(1) الربيعي، هيفاء عبد العزيز، غزاة في الخليج العربي، مكتبة الوطنية، بغداد، 1989م، ص32.

(2) زيادة، نقولا، الجغرافيا والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987م، ص245.

(3) الصيرفي، نوال حمزة، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، ص35.

(4) جودة، حسنين، وأحمد هارون، جغرافية الدول الإسلامية، ص690.

بسائر حوض المتوسط الشرقي، بواسطة طرق بحرية من موانئها، وبالطرق البرية الممتدة على طول الشاطئ إلى مصر، كما كانت متصلة في الجهة المقابلة (من الداخل) بجزيرة العرب من الغرب، بواسطة طرق تمر عبر الحمّاد أو حول طرفه الشمالي⁽¹⁾، ونتيجة لتمتع هذه المنطقة بوفرة الإنتاج من الأغذية، وكذلك المواد الخام، إضافة إلى التجارة الدولية ساعد كل ذلك على نمو وتطور المدن الكبرى الواقعة في السهول الداخلية والمتصلة بالساحل.

فيما يخص الجزء الأخير من الهلال الخصيب (العراق) الذي يخترقه نهرا دجلة والفرات، النابعان من الأناضول، ويتجهان إلى الجنوب الشرقي، ويتقربان أحدهما من الآخر، ثم يفترقان ويعودان أخيراً إلى الالتحام معاً ليصبوا في العراق الشمالي من الخليج⁽²⁾ فسميت هذه الأرض ما بين النهرين، وفي الشمال الشرقي من النهرين كردستان، وهي عبارة عن سلاسل جبلية تزداد ارتفاعاً كلما اتجهنا نحو الشرق والشمال⁽³⁾.

هذا الموقع الإستراتيجي للمشرق العربي جعل العديد من القوى السياسية، سواء المحلية، أي المتواجدة في المنطقة أو الأخرى الوافدة من شرقه وغربه تتصارع من أجل السيطرة على هذا الجزء من العالم، وبذلك ستشهد هذه المنطقة في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي تنافساً بين العديد من القوى السياسية.

(1) حوارني، البرت، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 113، 114.

(2) متولي، محمد، محمود أبو الفداء، جغرافية الخليج وخليج عُمان ودول شرق الجزيرة العربية، ط2، مكتبة الفلاح، الكويت، 1985م، ص 15.

(3) الجميل، سيار، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ص 300.

- التيارات السياسية في المشرق العربي :

لقد أضفت الخصائص الرئيسية للموقع الجغرافي للمشرق العربي أهمية خاصة من النواحي الحضارية، الاقتصادية، السياسية، والإستراتيجية، وجعلت من أرضه مهد للحضارة البشرية ومهبطاً للرسالات السماوية ومعبراً رئيساً للحضارة والثقافة والتجارة براً وبحراً، وممرّاً للجيوش الغازية والهجرات المسالمة، وميداناً للصراع والتنافس بين القوى الكبرى قديماً وحديثاً .

وفي مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، كانت هناك العديد من القوى المتنافسة فيما بينها من أجل السيطرة على المنطقة، فكان المماليك مسيطرين على الشام والحجاز، بينما كانت البرتغال أول الدول الأوروبية توجهاً للمشرق عموماً، والمشرق العربي خصوصاً في بداية العصر الحديث، باكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح، وسيطرتهم على مداخل البحر الأحمر والخليج العربي وصولاً إلى الموانئ الهندية، أما ثالث هذه القوى هي الدولة الصفوية الناشئة والمستولية حديثاً على إقليم فارس وخراسان وأذربيجان إضافة إلى العراقيين العربي والعجمي، وأخيراً الدولة العثمانية في الأناضول والبلقان، وإن كانت هي أقدم دول المنطقة - باستثناء المماليك - تأسيساً - في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي - غير أنها أخرهم توجهاً للمشرق العربي فعلياً⁽¹⁾ .

أولاً : المماليك .

كانت تحكم بلاد الشام والحجاز ومصر الدولة المملوكية (1250-1517 م) والتي خلفت الدولة الأيوبية، وقد قدر لهذه الدولة أن تتابع الدور

(1) سيتضح في سياق الحديث في نهاية الفصل، أن العثمانيين كانت لهم أطماع توسعية في المشرق العربي قبل بدء صراعهم مع الصفويين.

الذي كانت تقوم به الدولة الأيوبية وهو التصدي للغزو الصليبي الأوروبي، ثم التصدي للخطر الآخر وهو الخطر المغولي القادم من الشرق⁽¹⁾، فبعد زحف المغول على بغداد وإنهاء الخلافة العباسية فيها سنة 656هـ/1258، تابعوا تقدمهم نحو الغرب، فلاقاهم المماليك في موقعة عين جالوت الشهيرة سنة 658هـ/1260م في فلسطين وهزموهم وأنقذوا بلاد الشام ومصر والمغرب العربي من الخطر المغولي. وبذلك ارتفعت مكانة دولة المماليك في العالم الإسلامي⁽²⁾، خاصة بعد أن أحيوا الخلافة العباسية بعد سقوطها في بغداد بثلاث سنوات، وظل الخلفاء العباسيون يقيمون في القاهرة حتى سقوط الدولة المملوكية على يد العثمانيين في 1517م.

كما كانت للمماليك سلطة اسمية على مكة، التي كانت السيادة الفعلية فيها للأسرة الرسولية، وعلى المدينة المنورة أيضاً، وفي أيام السلطان المملوكي برسباي أقام المماليك حامية في مكة، فكانت لهم السيادة على الحجاز، وفي جنوب المشرق العربي تولى السلطة الأئمة الزيديون في اليمن، في مطلع القرن السادس عشر واتخذوا صنعاء عاصمة لهم وظلوا يعترفون للمماليك بالسيادة عليهم، إضافة لذلك فقد كانت للمماليك السيادة على البحر الأحمر⁽³⁾ باعتبارهم المسيطرين على تجارة العبور بين الشرق والغرب.

مما لا شك فيه أن العامل الاقتصادي يشكل إحدى الدعامات الكبرى التي تستند عليها أي دولة في قيامها وبقائها، وإذا تطرق الضعف إلى هذه الدعمة فإن ذلك يعد نذيراً بتداعي الدولة وانهيارها، ودولة المماليك في مصر

(1) العريني، والسيد الباز، المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1967م، ص 48، 49.

(2) الصباغ، ليلى، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دمشق، 1982م، ص 31.

(3) سلطان، علي، تاريخ العرب الحديث، منشورات مكتبة طرابلس العلمية، طرابلس، د.ت،

والشام كانت تتمتع أيام عنفوانها و قوتها باقتصاد متين، استند إلى الحجم الهائل من التجارة العالمية التي كانت تمر عبر بلادها، غير أن الدولة المملوكية تعرضت في القرن الأخير من عمرها لكثير من مظاهر التدهور الاقتصادي نتيجة لعوامل متعددة، منها تحول التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح بعد وصول البرتغاليين إلى الهند سنة 1498م وما ترتب عليه من إضعاف النشاط التجاري والعوائد المالية للممالك من جهة أخرى، وما صاحب ذلك من مجهود حربي لمواجهة الخطر البرتغالي⁽¹⁾ كذلك لم يلتزم سلاطين الممالك نوعاً من الاقتصاد في نفقاتهم الخاصة ليخففوا عن رعاياهم الأعباء والأثقال الملقاة على عواتقهم . وإنما استمروا -سلطاناً وأمرأً وجنداً- يعيشون عيشة الترف والإسراف في الوقت الذي يئن الناس من كثرة الالتزامات المفروضة عليه، ويصف المؤرخ ابن إياس احتفال السلطان قايتباي بختان ابنه محمد- وكان السلطان قد أعلن أن جميع ما في خزائن الدولة من أموال قد نفذ- فيقول " فكانت تلك الأيام مشهودة لم يسمع بمثلها ودخل على السلطان من التقادم ما ينحصر من مال وخيول وقماش وسكر وأغنام وأبقار وغير ذلك مما يزيد عن خمسين ألف دينار .."⁽²⁾ .

ومن العوامل التي زادت من سوء الأحوال الاقتصادية في نهاية عهد السلطنة المملوكية أمور طبيعية كانتشار وباء الطاعون، كان أشده عام 919هـ/1513م⁽³⁾ إضافة إلى ظاهرة انخفاض النيل وتعرض المحصولات لبعض الآفات، فعاد كل ذلك على الحياة الاقتصادية بأفدح العواقب⁽⁴⁾ .

(1) أباطة، فاروق عثمان، دراسات في تاريخ العلاقات الدولية والحضارة الحديثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 57-58.

(2) ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور تحقيق محمد مصطفى، ط2، القاهرة 1960م، ج4، ص 308.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص2.

(4) أباطة، فاروق عثمان، دراسات في العلاقات الدولية....، ص 62.

في مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي كانت الدولة المملوكية منهكة القوى، يسودها الضعف والتفكك، بسبب جهود المماليك لإنقاذ العالم الإسلامي من الخطرين المغولي والصليبي، إضافة إلى النكسة الكبيرة التي لحقت بالمماليك نتيجة لتحول طريق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح بدلاً من طرق التجارة المألوفة التي كانت تخضع لسيطرة المماليك والعثمانيين، وأصبحت دولة المماليك بعد هذا الحدث الجلل، تخوض صراعاً ومواجهةً مع الاستعمار البرتغالي في البحار الشرقية، و تعيش مرحلة احتضار أجهز على آخر أنفاسها العثمانيون .

على الرغم من كل هذه الصعاب التي تعرضت لها الدولة المملوكية، لم تجد بداً من القيام بعمل حاسم ضد البرتغاليين، بعد أن أصبحت المعركة حياة أو موتاً بالنسبة لها، فحاول المماليك تفادي هذا الخطر، ولكن محاولتهم جاءت متأخرة نظراً لازدياد قوة البرتغاليين، بعث السلطان المملوكي القونصوه الغوري (1501-1516م) حملة بحرية إلى الهند مكونة من ثلاث عشرة سفينة وألف وخمسمائة جندي بقيادة حسين الكردي⁽¹⁾ وصلت إلى جزيرة ديو، هناك انضمت إليها سفن حاكم الجزيرة مالك إياس، وتوجهت إلى شول (Chaul) وهزمت البرتغاليين بقيادة لورنزو دي الميدا (Lourenco de Almeyda) - الذي قُتل في المعركة، ثم توجه الأسطول المملوكي مرة أخرى إلى ديو لإصلاح السفن⁽²⁾، وفي 3 فبراير 1509م هاجم أسطول برتغالي الأسطول المملوكي على حين غرة وأوقعوا به الهزيمة واستولوا على بعض سفنه وأغرقوا أكثرها وقتلوا معظم العسكر⁽³⁾ .

(1) عاشور، سعيد، عبد الفتاح، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك.

(2) بانيكار، ك، م، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز جاويد، دار المعرفة،

القاهرة، (د.ت)، ص 42

(3) ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، ص408.

وهكذا استمر الانهيار المملوكي أمام الزحف البرتغالي، حتى سقطت الدولة المملوكية في أيدي العثمانيين سنة 923 هـ/1517م، وبذلك انهارت إحدى القوى الإسلامية في المشرق العربي، في الوقت الذي شهد فيه هذا المشرق تعاظم قوة البرتغاليين، بحاثين عن مجد يحققونه فوجدوا فرصتهم في المشرق العربي ميداناً لاستعراض قوتهم والسيطرة على مقدراته.

ثانياً : البرتغاليون .

كان لنجاح الأسبان والبرتغاليين في حروبهم، التي شنوها على العرب المسلمين في الأندلس خلال القرن الخامس عشر، والتي انتهت بتصفية معاقلمهم في تلك البلاد، حافزاً لمتابعة حروبهم ضد المسلمين، لا في الأندلس وشواطئ المغرب العربي فحسب، بل في معاقلمهم البعيدة في الشرق⁽¹⁾.

ففي أغسطس 1498م وصل فاسكو دي جاما- بمساعدة البحار العربي أحمد بن ماجد- إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح، وكان قد أبحر من البرتغال في 1497م وانتهت رحلته في سبتمبر 1499م⁽²⁾ وكان لهذا النجاح أثره الكبير في أحداث تغييرات جذرية في موازين القوى العالمية وقتذاك، وهكذا شهدت نهاية القرن الخامس عشر، حركة لا تتسم بالمحلية أو الإقليمية فحسب وإنما بقوة تأثيرها و عالميتها، إذ انتهت ما اصطلح على تسميته بالعصور الوسطى وافتتحت العصر الحديث بحركة الاستعمار الأوروبي⁽³⁾.

(1) محمد عبد المحسن " عدن والمطامع البرتغالية في القرن السادس عشر " كتاب الأبحاث، الجزء الثاني، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، 1987م، ص95.

(2) لوريمر، ج، ج، دليل الخليج، ترجمة قسم الترجمة بمكتب خليفة بن حمدان أمير دولة قطر، (د.ت) القسم التاريخي، الجزء الأول، ص11.

(3) المسلم، محمد سعيد، ساحل الذهب، ط3، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت) ص169-170.

يتميز التواجد البرتغالي في المشرق الإسلامي، بمرحلتين وذلك حسب السياسة التي اتبعها في المنطقة، فقد تجنب البرتغاليون في المرحلة الأولى الدخول في صدام مع سلطات المناطق التي يصلون إليها، وكانت التعليمات الصادرة للملاحين تقضي بحسن معاملة سكان تلك المناطق، وعدم الظهور بالأسلحة والعمل على إخفائها في طيات ملابسهم للطوارئ، وعدم استخدام العنف ضد الأهالي كسباً لمودتهم وصدافتهم⁽¹⁾ كما ابتعد البرتغاليون في هذه المرحلة المبكرة، الاقتراب من السواحل العربية أو مداخل البحر الأحمر والخليج العربي واقتصرت رحلاتهم على المنطقة الواقعة فيما بين جنوبي القرن الأفريقي والساحل الغربي للهند، كما كان حرصهم شديداً على مغادرة السواحل الهندية قبيل وصول سفن التجار المسلمين إليها⁽²⁾.

وقد ساعدت هذه السياسة على إخفاء نواياهم الحقيقية، ولهذا كان التركيز على زيادة عدد قطع الأسطول البرتغالي، وتحقيق انتشاره في المياه الشرقية والعمل على تقوية نفوذهم وتثبيت مراكزهم، وإقامة المراكز التجارية والقلاع والحصون فيها، قبل الدخول في عمل مباشر ضد السفن العربية، أو القيام بإغلاق منافذ البحر الأحمر والخليج العربي وإحكام الحصار الاقتصادي، والتصدي لأي مبادرة للمقاومة سواء من قبل الحكام المحليين أو الدولة المملوكية⁽³⁾.

بهذه الاستعدادات البرتغالية، بدأت مرحلتهم الثانية في الشرق، حيث كانت أساطيلهم من الكثيرة بحيث أمكن استخدامها، ليس فقط في القيام بأعمال القرصنة ضد السفن التجارية العربية في عرض البحر، بل في العمل

(1) محمد عبد العال أحمد "أضواء جديدة على ملامح فاسكو دي جاما" مجلة معهد الدراسات والبحوث الأفريقية، بجامعة القاهرة، العدد 5، سنة 1976م، ص 167-178.

(2) باخرمة، قلائد النحر في وفيات أعيان الدهر، دراسة وتحقيق محمد عبد العال، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، 1974م، ص 73.

(3) المصدر نفسه، ص 76.

على إغلاق منافذ البحر الأحمر والخليج العربي وشجعهم على ذلك عدم تعرضهم لأي مقاومة جادة ضدهم، وهكذا لم تمض خمس سنوات⁽¹⁾ حتى اشتدت وطأتهم في ضرب التجارة الإسلامية، إذ قام فاسكو دي جاما باستخدام أعنف أساليب القرصنة ضد التجار والحجاج المسلمين العزل، واستولى على بعض السفن العربية ومنها سفينة خاصة بالسلطان المملوكي قانصوه الغوري⁽²⁾ كما قام بتخصيص بعض قطع أسطوله للمرابطة بالقرب من باب المنذب لإغلاق البحر الأحمر وفرض الحصار عليه .

وأعمال البرتغاليين في المشرق العربي بالكاد يمكن حصرها والحديث عنها، ولكن الباحث يكتفي بالحديث عن إحداها، تبياناً لما وصلت إليه أعمالهم، فيذكر المؤرخ الهندي بانيكار⁽³⁾ "إذ تصادف أن التقت العمارة البرتغالية ببعض السفن غير المسلحة العائدة من مكة فألقى فاسكو دي جاما القبض عليها... يعمد بعد إفراغ السفن مما بها من بضائع حظر أي فرد من إخراج أي عربي منها إلى إصدار الأوامر بإشعال النيران فيها"⁽⁴⁾ . وجاء في رسالة بعثها البوكرك إلى ملك البرتغال حيثما أمكنه العثور على عربي، كان إفلاته من يده من المحال، وإنه كان يملأ بهم المساجد ويضرم فيها النار"⁽⁴⁾ .

كان لعاملي السياسة البرتغالية الصارمة، بما تحمله من أعمال سلب ونهب وتدمير للاقتصادات العربية في المشرق العربي، إضافة إلى تشتت القوى الإسلامية بالمنطقة وعدم مقاومة المنطقة موحدة، أمكن البرتغاليين من

(1) يجدر التنبيه بأن السلطات المملوكية لم تكن تعلم بالوجود البرتغالي في المياه الشرقية إلا بعد خمس سنوات من قدومهم، للاستزادة حول هذا الموضوع، باخرمة، المصدر السابق ص78-81.

(2) عمر، عبد العزيز عمير، دراسات في تاريخ العرب الحديث.

(3) بانيكار، ك، م، آسيا والسيطرة الغربية، ص40.

(4) المرجع نفسه، ص46.

فرض سيادتهم على كل من منافذ البحر الأحمر، والسواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية (ساحل اليمن الجنوبي)، إضافة الى احتلال هرمز والسيطرة على الحركة البحرية في الخليج العربي، إلى جانب تمركزهم في السواحل الهندية⁽¹⁾، وبذلك أصبحوا هم سادة البحار الشرقية والمسيطرين على تجارتها، في ظل صراع إسلامي / إسلامي، بين المماليك والعثمانيين والصفيين .

(1) قلاجملي، حكمت، التاريخ العثماني، رؤية مادية، تعريب، فاضل لقمان، دار الجليل، (د.ت)، ص 161

المبحث الثاني

المشرق العربي والتوجه العثماني والامتداد الصفوي

- الدولة العثمانية وتوجهها في المشرق العربي .
- الدولة الصفوية وامتدادها تجاه المشرق العربي .

— الدولة العثمانية وتوجهها للمشرق العربي:

قيام الدولة العثمانية .

كانت الأناضول⁽¹⁾ في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، في حالة تغيير متواصل، فقد انهارت سلطنة سلاجقة الروم، أمام زحف الغزاة من المغول، وأصبح السلاطين السلاجقة في حقيقة الأمر تابعين لهم، فتعهد السلطان السلجوقي بعد هزيمته على يد المغول في عام 1243م بدفع جزية سنوية باهظة وفي نفس الوقت فإن توغل الفتوحات المغولية تجاه المشرق دفع إلى تحركات الشعوب الإسلامية، الذين اتجهوا إلى المناطق الغربية بعيداً عن سيطرة المغول، وساعد ذلك على زيادة العنصر التركي الإسلامي في الأناضول، واستقر بعض هؤلاء على التخوم البيزنطية، ولم تستطع بيزنطة- بسبب مشاكلها الداخلية- أن تضع حداً لهذا الزحف المتقدم بخطى وطيدة .

(1) الأناضول أو شبه جزيرة الأناضول، أشبه بلسان ضخمة من اليابسة، تمتد من قارة آسيا نحو أوروبا، تقع بين البحر الأسود في الشمال والبحر المتوسط في الجنوب، وبحر إيجه و المضائق في الغرب، يحيط بها من جهة الشمال نطاق جبلي، يفصل بينها وبين ساحل البحر الأسود، أما من الجنوب يحدها جبال طوروس، تمتد من الغرب إلى الشرق في عدة سلاسل متقطعة، أما القسم الأوسط منها، فهو أشبه بحوض تكشفه جبال شاهقة الارتفاع، ويطلق عليها اسم الأناضول في معظم الأحيان على الجزء الآسيوي من تركيا، جودة، حسن جودة، على أحمد هارون، جغرافية الدول الإسلامية، الإسكندرية، 1984م، ص 688-689.

وقد اختلطت تلك الشعوب مع سكان الحدود الذين استقروا قبلهم، ونتيجة لهذا الوضع، ظهر في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، عدد من الإمارات الصغيرة تكونت كل واحدة من إقليم، يسيطر عليه أمير يحمل لقب "غازي" أو قائد الغزاة أو المجاهدين، طبقاً للتقاليد الإسلامية، ونجحت تلك الإمارات في أن توسع رقعة أراضيها على حساب البيزنطيين، وكانت إحدى هذه الإمارات إمارة عثمان⁽¹⁾.

ثمة روايتان حول تأسيس السلطنة العثمانية، يتداولها مؤرخو المرحلة العثمانية، وكلاهما يرمزان إلى دلالة ذات معنى في طبيعة نشأة الدولة ودورها التاريخي. الرواية الأولى تجعل من أرطغرل شيخ قبيلة قابي، ومن ابنه عثمان، يعملان في خدمة علاء الدين السلجوقي، سلطان قونية الذي أقطعهما أرضاً عند "سكود" قبالة البيزنطيين، وترك لهما حرية التوسع على حساب هؤلاء، فلما مات علاء الدين السلجوقي، استولى على الإمارة عثمان، فكانت إمارة هذا الأخير استمراراً لإمارة سلاجقة الروم⁽²⁾.

الرواية الثانية تجعل من عثمان أحد أمراء الغزاة الأتراك، أنه صاهر شيخاً من مشايخ طرق الصوفية المrapطة في تلك الثغور، فسلمه هذا الشيخ (راده بالي) - وفقاً لتفسيره لحلم قصه عليه عثمان - منطقة الجهاد والسيف بوصفه غازياً أي مجاهداً في سبيل الله⁽³⁾.

(1) عمر، عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، ص 37.

(2) المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجليل، بيروت، 1977، ص 39-40؛ شاكر، محمد إسماعيل ياغي، تاريخ العالم الإسلامي، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998م، الجزء الأول، ص 203؛ البستاني، بطرس، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، المجلد 4، ص 428.

(3) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1988، ص 408.

مهما يكن من أمر الدقة التاريخية في الروايتين، فإن دلالتهما الرمزية ذات معنى تاريخي يشير إلى السياق والوظيفة وطبيعة النشأة والتأسيس ووجهة الاستمرارية فالسياق التاريخي هو سياق الامتداد السلطاني السلجوقي في أسرة بني عثمان، وطبيعة النشأة في منطقة الجهاد والغزو على قاعدة العلاقة بين السياسة والدين، وبين الغزو بما هو عملية استراتيجية، اقتصادية، عسكرية، وبين الجهاد بما هو عملية دينية إيمانية⁽¹⁾ وكل هذا تحمله عصبية تركية قوية تفيد من بينها القبالية، الرعوية والعسكرية المتماسكة.

وتوسعت إمارة عثمان على حساب الدولة البيزنطية، ويسقط دولة السلاجقة على يد المغول الإيلخانيين، تمكنت الإمارة من استقطاب عدد من الإمارات التركية المسلمة في الأناضول ثم احتل أورخان بروسه (بوصة)⁽²⁾ عام 1326م ونيقه⁽³⁾ عام 1331م ليتحول العثمانيون منذ سنة 1345م إلى أوروبا الشرقية، حيث استولوا على أجزاء كبيرة منها كترافيا وأدرنه، ولم تتجح غزوات تيمورلنك المدمرة سنة 1402م في القضاء على الدولة العثمانية رغم سيطرته على قسمها الآسيوي⁽⁴⁾، إذا سرعان ما استطاعت أن تعيد حكمها في هذا القسم وأن تتوج أعمالها العسكرية في عهد محمد الثاني " الفاتح " بفتح القسطنطينية 1453م، بعد حصار دام 53 يوماً، ففتح هذا العمل للعثمانيين مجال التقدم السريع في البلقان، وأوروبا الشرقية، وكان سقوط القسطنطينية - الذي كان هدفاً إسلامياً

(1) السيد، محمد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000، ص 16.

(2) مدينة في الشمال الغربي من آسيا الصغرى، هي اليوم حاضرة ولاية خدأو نديكار التركية.

(3) نيقية أو أزنق، تعرف بمدينة أزنك Iznik

(4) دهليش، عبد اللطيف عبد الله، قيام الدولة العثمانية، مكتبة النهضة العربية، مكة المكرمة، 1988م، ص 39.

منذ الفتوحات الأولى - يعني بالنسبة للشرق الإسلامي عامة حدثاً ذا وقع كبير في النفوس، ففي القاهرة المملوكية قامت احتفالات كبرى بهذه المناسبة، وكان هذا في حقيقة الأمر إرهاباً لتقبل الزعامة العثمانية الإسلامية الناشئة للعالم الإسلامي، فمنذ سنوات طويلة لم تحرز أية دولة إسلامية انتصاراً مدوياً كهذا (1) ..

- التوجه العثماني للمشرق العربي .

ما إن انتهى القرن الخامس عشر الميلادي، حتى كانت الدولة العثمانية تشمل الأناضول واليونان وشبه جزيرة البلقان، وجزائر بحر إيجه، ومع بداية العقد الثاني من القرن السادس عشر، وتحديدًا في عهد السلطان سليم الأول

(1512-1520م) اتخذت الدولة أحد أهم قراراتها، حين استدارت لأول مرة منذ تأسيسها- قبل أكثر من قرنين- إلى المشرق العربي، الذي كان من أثره أن امتدت رقعة الدولة العثمانية وأصبحت دولة آسيوية، أوروبية، أفريقية (2). حقيقة الأمر أن الدولة العثمانية، كانت لها توجهات أو اهتمامات بالمشرق العربي قبل بداية القرن السادس عشر، قبل امتدادها الفعلي، وبدأ هذا الاهتمام بإبان عهد السلطان محمد الفاتح، إثر نزاع قام بين أفراد البيت في إمارة ذو القدر (3) وذلك حين احتفى شاه سوار بالسلطان محمد الثاني ضد إخوته،

(1) نوار، عبد العزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية، " الأتراك العثمانيون، الفرس مسلمو الهند "، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م، ص53.

(2) أحمد تمام" السلطان سليم الأول من السلطة إلى الخلافة "، [www. Islam-online.net](http://www.Islam-online.net)

(3) إمارة ذو القدر أو البستان، تقع بين مرعش وملاطية شمال بلاد الشام، وتتبع أسمىاً لنيابة حلب المملوكية، وقد حكمتها أسرة تركمانية منذ 1335م حتى قضى عليها سليم الأول عام 1515م، دائرة المعارف الإسلامية، مج9، ص399، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ترجمة محمد فرزات، أحمد دهمان، دمشق، 1974م، الجزء الثاني، ص454.

فأقره على الإمارة شريطة أن تتبع للدولة العثمانية، لكن الدولة المملوكية ردت الإمارة إليها حين وفرت الدعم لأخيه شاه بداق، فاستمر الخلاف متقطعاً بين الدولتين إلى عهد السلطان بايزيد الثاني الذي تزوج من ابنة آخر أمراءها علاء الدين - ومنها أنجب سليم الأول - ولكن علاء الدين بالرغم من ذلك لم يكن صادق الولاء للدولة العثمانية وكان كثيراً ما تأرجح بولائه بين الدولتين (1) .

والواقعة الثانية التي تدل على الاهتمام العثماني بالمشرق العربي، الدعم العثماني للمماليك إثر التهديد البرتغالي للمشرق العربي، فبعد طلب المماليك من العثمانيين أرسل العثمانيون إليهم ثلاثين سفينة، تحمل ثلاثمائة مدفع وأخشاباً ويذكر ابن إياس أن السلطان بايزيد قدم المساعدة للمماليك دون أن يتقاضى ثمنها وقدمها هدية (2) .

يُفسر الدعم العثماني للمماليك، بحرص العثمانيين على حماية مؤخرتهم في البلاد العربية من خطر برتغالي داهم يهدد استراتيجيتهم، و زعامتهم المنتظرة للعالم الإسلامي، كما أن صفة العثمانيين كغزاة يقاتلون أعداء الدين، تحتم عليهم مقاومة البرتغاليين، وحماية الأماكن المقدسة في الحجاز، ومن أجل ذلك أوقف السلطان سليم الأول الأوقاف في الأناضول للإنفاق على الأماكن المقدسة (3) .

فما هي الأسباب التي جعلت الدولة العثمانية توجه جيشها للمشرق (الفارسي والعربي) وتخفف من تقدمها للجهة الغربية، الأمر الذي سيدخلها في صراع طويل مع الدولة الصفوية في إيران والعراق؟ وهذا ما

(1) رافق، عبد الكريم، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، دمشق، 1988، ص 46.

(2) ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 4، ص 201.

(3) رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون 1516-1916م، مطابع ألف باء، دمشق، 1974م، ص 60.

سيتم تفسيره في الصفحات التالية، وهي تفسيرات لأحداث عظيمة حدثت في التاريخ، و أن لم تكن مطابقة تماماً للحقائق المعاصرة لها، فأنها محاولة للوصول إلى حقائق الأمور .

لم تتناول المصادر - التي أمكن الوصول إليها - موضوع تحول الفتوحات العثمانية من الغرب الأوروبي إلى الشرق الفارسي والعربي، بشيء من التفصيل بل اكتفت بالتحدث عن قدرات السلطان سليم الأول العسكرية، وتولييه الحكم ورغبته في مقاتلة الدولة الصفوية، وترى هذه المصادر أن سبب توجه السلطان سليم وفتح جبهة الشرق للقتال، هو ظهور الشاه إسماعيل الصفوي في شرق الأناضول (إيران)، فيذكر نجم الدين الغزي في هذا السياق، "ولما استقر على سرير السلطنة (سليم الأول) أخذ في قهر الملوك والسلاطين فبدأ بمقاتلة شاه إسماعيل الصفوي ابن شيخ حيدر الصفوي، لما بلغه إشاعته للرفض، وقتله لعلماء السنة وأكابرها، فسافر إليه السلطان سليم إلى بلاد العجم.." (1).

بينما يذكر مصدر عثماني خطأً أن الشاه إسماعيل هو البادي بالقتال، أي أن السلطان سليم كان مضطراً إلى التحول للشرق" وفي سنة 920 هـ زحف إسماعيل شاه بجيش جرار على بلاد الدولة (العثمانية) ومعه مراد بك أخ السلطان سليم" (2) بينما يكتفي صاحب كتاب المنح الرحمانية بالقول "ثم تولى مولانا السلطان سليم.. وفرغ من دفن والده، خرج لقتال أخيه السلطان أحمد فقهره وغلبه.. ثم شرع وحمد الله في قهر أعدائه وأخذ الممالك من

(1) الغزي، نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المنة العاشر، حققه وضبط نصه، جبرائيل سليمان جبور، ط 2 دار الأفاق الجديدة، بيروت، الجزء الأول، ص 209.

(2) أصاف، عزتو يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، مكتبة مدبولي، القاهرة (د.ت)، ص 57.

الملوك، فبدأ بقتال شاه إسماعيل فكسره وهزمه " (1). وبذلك يكتفي الصديقي بذكر أحداث حرب العثمانيين دون أن يجهد نفسه بذكر أسباب هذا التحول .
لقد تعددت الآراء التي ذكرها الباحثون حول الأسباب التي أدت إلى تغيير السياسة العثمانية، وتحولها ناحية الشرق، و يمكن إجمالها في أربعة نقاط رئيسة، سيجري ذكرها ثم مناقشتها.

إن أول هذه الأسباب هو التشبع العسكري العثماني في أوروبا فمنذ عهد أورخان (1326م/1359م) بدأ العثمانيون التقدم في أوروبا البلقانية، واستمر ذلك قرابة قرنين من الزمان تقريباً، في الوقت الذي بقي الأناضول الإسلامي خارجاً عن سلطة هذه الدولة، ويرى أصحاب هذا الرأي أن الدولة العثمانية قد بلغت مرحلة التشبع في فتوحاتها الغربية بنهاية القرن الخامس عشر، وأنه كان عليها في أوائل القرن السادس عشر، أن تبحث عن ميادين جديدة للنشاط والتوسع (2).

بيد أن الزحف العثماني لم يتوقف باتجاه الغرب، بعد تحوله نحو الشرق سنة 1514م ويمكن أن يستدل على ذلك بمجموعة من الأحداث.
لم تفتقر همة العثمانيين في مواصلة زحفهم نحو أوروبا، لاسيما في عهد سلطانها سليمان القانوني (1520-1566م) الذي استولى على بلغراد سنة 927 هـ/ 1521م (3)، وبعد خمس سنوات قاد السلطان جيشاً مؤلف من مائة ألف جندي و 300 مدفع، إضافة إلى 800 سفينة واحتل أجزاء من المجر، بما فيها عاصمتها (بودا) وجعلها ولاية عثمانية (4).

(1) الصديقي، محمد بن السرور البكري، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، وذيله اللطائف
الربانية على المنح الرحمانية، تقديم وتحقيق وتعليق ليلى الصباغ، دار البشائر، دمشق،
1995 م، ص 19.

(2) الصلاحي، علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار البيارق،
بيروت، 1999م ص 223.

(3) www.islam.online.net

(4) المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 85 ؛ شوجر، بيتر، أوروبا
العثمانية، ص 88.

هناك رسالة بعثها الإمبراطور شارلكان إلى سفيره في بريطانيا، تدل على مبلغ الفزع الذي انتاب أوروبا من جراء التوسع العثماني، ويقول شارلكان "وعليك أن توضح للملك وللكاردينال مبلغ الخطر الذي يتعرض له العالم المسيحي ... ونكاد نعتقد أن الأتراك سينوون مهاجمة العالم المسيحي هذه السنة، وستكون أرض المعركة إما في إيطاليا أو هنغاريا(المجر) أو في البلدين معاً، في الوقت ذاته " (1).

أن ضخامة الجيوش العثمانية، و ما جاء في رسالة الإمبراطور سالفه الذكر، ماهما إلا دليلان على عدم صحة ما قيل من أن الدولة العثمانية قد وصلت حد الإشباع من أوروبا، لا بد لها من البحث عن ميادين جديدة للنشاط العسكري، ولكن لا ريب أن مركز الثقل في التوسع العثماني قد انتقل من الغرب إلى الشرق، وستبقى الحملات العثمانية تتوالى على أوروبا في حركة مد وجزر، حتى معاهدة كارلوفينز 26 يناير 1699م التي وضعت المجر تحت حكم آل هابسبورج (2).

أما السبب الثاني الذي ذكر عن سبب تحول الدولة العثمانية للمشرق، هو تحول الدولة العثمانية نحو المشرق من أجل إنقاذ العالم الإسلامي بصورة عامة، و الأماكن المقدسة الإسلامية بصورة خاصة، من التحرك الصليبي الجديد من جانب الأسبان في البحر المتوسط والبرتغاليين في المحيط الهندي، والبحر العربي والبحر الأحمر (3).

لاشك أن الدولة العثمانية هي دولة إسلامية منذ نشأتها، ولا يُنكر جهادها في نشر الإسلام، فلم يتأخر العثمانيون في مد يد العون لإخوانهم

(1) زين، نور الدين زين، نشوء القومية العربية، بيروت، 1968م، ص 14-15.

(2) نوار، عبد العزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 160.

(3) إبراهيم خليل أحمد "بدايات التوجه العثماني نحو منطقة الخليج العربي"، مجلة المؤرخ

العربي، تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد 43، سنة،

ص 25-26.

المسلمين في السلطنة المملوكية عند ظهور الخطر البرتغالي في المياه الشرقية، ولكن إذا سلمنا بأن توجه العثمانيين لناحية الشرق كان من أجل إنقاذ العالم الإسلامي من الخطر الأوروبي، فلم لم يستمر العثمانيون بتقديم الدعم للمماليك لمواجهة البرتغاليين بدلاً من الدخول في حرب مع المماليك، وتكبتها خسائر فادحة في الرجال والعتاد، و كان من الأجدر أن يوفر لحرب أعداء الدين البرتغاليين .

ثمة نقطة أخرى، يبدو أن العديد من الباحثين قد غضوا الطرف عنها، وهي تأخر التصدي العثماني للوجود البرتغالي في الشرق حتى سنة 1537م⁽¹⁾، الأمر الذي أعطى فرصة للبرتغاليين لتثبيت وجودهم في المنطقة، وهذا لا يعني التقليل من الدور الذي قام به العثمانيون في التصدي للغزو البرتغالي في المشرق العربي، ولكن ليس قبل هذا التاريخ، ويمكن القول أن رغبة العثمانيين في الوقوف أمام الخطر الاستعماري كان نتيجة وليس سبباً لاتجاه العثمانيين نحو الشرق⁽²⁾. أما ثالث الآراء المتعلقة بالتوجه العثماني للمشرق، يرتبط بظهور دولة قوية بالقرب من الحدود الشرقية للعثمانيين، وهي الدولة الصفوية في إيران والعراق و بالتصدي للمد الشيوعي الصفوي⁽³⁾، وهذا ما سيتم دراسته على انفراد في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

إن الآراء السابقة قد أعطت للدوافع والأحداث الخارجية المحيطة بالدولة العثمانية الدور الأبرز في تحليل تحولها للمشرق العربي دون أن

(1) نوار، عبد العزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص140.

(2) الشيخ، رأفت غنيمي، تاريخ العرب الحديث وجهاد الأندلسيين، ط2، دار الثقافة، القاهرة، 1989م، ص25.

(3) شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة العربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1983م، الجزء 8، ص143 ؛ سلطان، علي، تاريخ العرب الحديث، منشورات مكتبة طرابلس العلمية، طرابلس، (د.ت)، ص18-20.

توجه اهتمامها للظروف الداخلية للدولة لا سيما المتعلقة بتركيبها السياسي والعسكري، والتي ربما دفعتها لفتح جبهة ثانية في الشرق، وهذا ما سيتم التطرق إليه.

كانت بداية الدولة العثمانية في الشمال الغربي للأناضول على الحدود البيزنطية في منطقة تسمى "قراجه طاغ" ⁽¹⁾ ثم بدأ التوسع في البلقان كما ذكر سابقاً، وبذلك كانت البداية أناضولية، وسرعان ما بدأ التوسع العثماني في البلقان يتسع حتى سيطر على مضيق الدردنيل وبحر مرمرة ⁽²⁾، وقد كان الامتداد العثماني على الجبهتين الأناضولية والبلقانية يسير قُدماً في زمن واحد، ولكن التوسع في البلقان كان أكبر وأقوى منه في الأناضول بمرور الوقت.

إذاً، في الوقت الذي استمر التقدم العثماني في أوروبا البلقانية بين سنتي (1345-1514م) بقي الأناضول الإسلامي خارجاً عن سلطة الدولة العثمانية وقاعدتها في الطرف الشمالي الغربي من الأناضول نفسه، وهذا أوجد نوعاً من عدم التوازن بين الدولة ورعاياها، فالامتداد الأوروبي المسيحي الخاضع للدولة العثمانية، كان أكبر وأقوى من القاعدة الإسلامية لهذه الدولة، وبذلك يتراجع توسيع القاعدة الإسلامية، وربما يتراجع معها تقلد الأتراك لمناصب الدولة، لأن الانكشارية "الدفشمة" هم الذين سوف يقدمون للدولة رجالها مما يلي السلاطين وهم من أصول أوروبية مسيحية ⁽³⁾ الأمر الذي أثر على تركيبة صناعات القرار داخل أجهزة الدولة، وبخاصة منصب الصدر الأعظم، ثاني أعلى سلطة في الدولة بعد منصب السلطان.

(1) الصديقي، محمد أبو سرور، المنح الرحمانية....، ص17.

(2) الجميل، سيار، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، بيروت، 1989م، ص305.

(3) سلطان، على، تاريخ العرب الحديث، ص18.

يتضح ذلك من خلال تقلد منصب الصدر الأعظم في الدولة العثمانية فلم يكونوا من الترك فقط، بل كانوا من قوميات مختلفة أغلبها أوروبية/بلقانية، فبين عامي 1453-1653 م وصل إلى مرتبة الصدارة العظمى ثمانية وأربعون صدرًا، خمسة منهم من الأتراك وأحد عشر من الألبان، وأحد عشر من السلاف، ستة من اليونانيين، عشرة من أصول غير معروفة، واحد جركسي، واحد إيطالي، واحد أرمني، وواحد كرجي⁽¹⁾.

وفي دراسة أخرى للباحث التركي إسماعيل حامي دنشمن، يتضح مدى بلوغ الصدور العظام داخل الدولة العثمانية من أوروبا عامة ومن البلقانيين خاصة، فقد رصدت هذه الدراسة عدد الذين تولوا منصب الصدر الأعظم في تاريخ الدولة العثمانية بـ 272 صدرًا 132 من أصل تركي، 49 من أصل أرناؤوطي (ألباني) 23 من أصل بيزنطي، 6 من أصل سلافي 13 من أصل يوغسلافي (بوشناق)، 14 من أصل شركسي، 1 من أصل شيشاني، 1 من أصل عربي، 3 من أصل أرمني، 1 من أصل روسي، 1 من أصل يهودي، وينتمي البقية (28) إلى قوميات مجهولة، على حد تعبير الباحث التركي⁽²⁾.

يمكن القول إن تحول الدولة العثمانية ناحية الشرق، وفتح جبهة أخرى للحرب-ضد الصفويين والمماليك- لم يكن قراراً فردياً آنياً، يتعلق برغبة السلطان أو الصدر الأعظم أو غيرهم في تغيير جبهات القتال، أو إنه نتيجة الصعوبات التي لاقتها الدولة في أوروبا، بل كان هذا التحول لعدة أسباب أخرى، وإن انتقدها الباحث أنفاً فهذا لا يعني أنه لم يكن لها دور، ولو غير مباشر في تغيير سياسة الدولة، ولكن السبب الذي يبدو أكثر نجاعة في

(1) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 488.

(2) ابوغنية، زياد، جوانب مضبوطة في تاريخ العثمانيين الأتراك، دار الفرقان، ط 2، 1986،

ص 61.

تفسير هذا التحول يكمن في عدم التوازن الذي حدث في التركيبة السكانية للدولة، فأصبح عدد المسيحيين أكثر من غيرهم بالنسبة لسكان الدولة العثمانية الإسلامية، ما شكل خطراً على الفئة الحاكمة نفسها. كذلك أن الدولة العثمانية كان لها اهتمام بالمشرق الإسلامي بشكل عام، والمشرق العربي بشكل خاص، ويتضح ذلك من خلال التدخل في إمارة ذو القدر، إضافة إلى مساعدة المماليك ضد البرتغاليين في الخليج العربي والبحر الأحمر.

عندما اتخذت الدولة العثمانية قرارها- التاريخي- بالتحول إلى المشرق كان متوقعاً أن يكون أول صدماتها مع الدولة الصفوية الناشئة في إيران والعراق.

- الدولة الصفوية وامتدادها تجاه المشرق العربي.

الدولة الصفوية دولة ذات صفة خاصة، فهي تختلف عن جميع دول المشرق الإسلامي قديماً وحديثاً، من حيث طول المدة التي عمرت بها وفرضها المذهب الشيعي وتمثل تحولاً كبيراً في تاريخ إيران⁽¹⁾ بعد الإسلام، ونظر الإيرانيون إليها نظرة تقدير واحترام فهي في نظرهم الدولة التي أعادت لإيران وحدتها السياسية بعد فترة طويلة من الزمن عاشت فيها مسلوبة الاستقلال السياسي وفاقة للوحدة الوطنية والتوافق الاجتماعي .

(1) إيران أو بلاد فارس Persia، وفارس ولاية من ولايات إيران تقع في الشمال الشرقي من البلاد وكانت هذه الولاية تشمل عاصمة البلاد في بعض فترات التاريخ ما سبب إطلاق اسم الولاية على البلاد كلها تمجيذاً للعاصمة، أما إيران معناها موطن الآريين، وقد أطلقت هذه التسمية على الهضبة المرتفعة الواقعة جنوب بحر قزوين، ثم أطلق اسم الجزء على الكل، وظلت الازدواجية في التسمية موجودة في الأوساط المختلفة، حتى سنة 1935م عندما أعلنت حكومة إيران أن الاسم الرسمي للبلاد إيران، شلبي، أحمد موسوعة التاريخ الإسلامي، ج8، ص30-31.

لقد سادت الفوضى السياسية في إيران والمناطق المجاورة لها، إثر تفكك دولة تيمور لنك المغولي توفي (807هـ / 1404م) ⁽¹⁾ وكثرت المنازعات والحروب بين أبنائه وأحفاده فاستفادت القبائل التركمانية المقيمة في القسم الشمالي الغربي من إيران من هذا التفكك في البيت التيموري، وأخذت تقطع أجزاء من ممتلكات الدولة التيمورية فتمكنت قبائل القره قويونلو ⁽²⁾ من الاستيلاء على إقليم أذربيجان في 811هـ/1408م، كما تمكنت قبائل الأم قويونكو ⁽³⁾ من هزيمة القره قويونلو والاستيلاء على الإقليم الغربي من إيران، بينما كان أبناء تيمور يحكمون الإقليم الشرقي من إيران حتى 911هـ/1509م ⁽⁴⁾.

دفعت هذه الفوضى السياسة المجتمع الإيراني إلى حياة التصوف، والنظر إلى الحياة بنظرة تشاؤمية، فبدأ ينتشر التصوف، وتكاثر مراكز الصوفية، وكان من بين هذه المراكز والتكايا الصوفية، تكية صفي الدين الأدريلي، وإليه ينتسب الصفويون.

– أصل الصفويين .

تنسب الدولة الصفوية إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي (650-735هـ/1252-1334م) الجد الخامس للشاه إسماعيل الصفوي - مؤسس الدولة الصفوية - الذي كان يقيم في أردبيل بإقليم أذربيجان، فعلى الرغم من

(1) أبو الحسن عطر جي " الصفويون والدولة العثمانية "، بحث في شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) www.d-sunnah.net.p3

(2)، (3) كلمة قره قويونلو تعني باللغة التركية الخروف الأسود، وأم قويونلو الخروف الأبيض ويطلق على الأولى أيضاً اسم البارانية، وعلى الثانية البايديريه، الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ط5، دار التعارف، سوريا، 1995م، مج3، ص57، دائرة المعارف الإسلامية مج2، ص481.

(4) القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، (د-ت)، ص341-342.

إدعاء انتساب الصفيين إلى موسى الكاظم، الإمام السابع للشيعة الإثنى عشرية المنحدر من صلب الحسين بن علي، فإن ذلك لم يحدث إلا بعد أن وصلوا إلى الحكم، ولم يُشر أي مصدر قبل توليهم السلطة إلى انتسابهم إلى العلويين سوى كتاب صفوة الصفوة لابن البزاز، الذي ألفه في عهد الشيخ صدر الدين بن صفى الدين، وقد حدثت في مخطوطات هذا الكتاب تغييرات كثيرة تجعله عرضه للشك⁽¹⁾، وقد ذكر ابن البزاز أن سنجان أحد قرى مرو عاصمة خراسان، هي مسقط رأس الصفيين⁽²⁾، بينما رأى الباحث أحمد كسروي أن سنجان ينبغي أن تقرأ سنجان القرية العراقية المعروفة لتصبح بذلك الأسرة الصفوية كردية الأصل لا تركية⁽³⁾

إن ما يؤيد عدم انتساب الصفيين لآل البيت، ما كتبه رشيد الدين فضل الله وزير غازان خان المغول ثم وزير خليفته أولجايتو، في رسالته لأبنة أحمد حاكم أردبيل حيث يوصيه بالشيخ صفى الدين الأردبيلي لعل منزلته في الدين والتصوف، حيث يقول "جناب قطب فلك الحقيقة، سباح الحقيقة شيخ الإسلام والمسلمين، قدوة الأصفياء، الشيخ صفى الله والدين.." وهذه الألقاب كانت مما يخاطب به كبار رجال أهل السنة وعلمائها ولو كان الشيخ صفى الدين من أهل البيت لما أغفل هذا الوزير الإشارة إلى ذلك، كما أنه لو كان شيعياً لم ينعت به بـشيخ الإسلام، ولقال آية الله، أو حجة الله، أو غيرها من ألقاب رجال الدين الشيعة⁽⁴⁾.

-
- (1) فقد عاد الأمير أبو الفتح الحسيني بتكليف من الشاه طهماسب - ثاني ملوك الصفويين تنقيح هذا الكتاب، مؤكداً هذا النسب في محاولة لإقرار المذهب الشيعي، جمعة، بدیع، أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، 1976م، ص 28-29 (الهامش).
- (2) نقلاً عن، الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 26-27.
- (3) الشيبني، مصطفى، الطريقة الصفوية ورواسبها، ص 16.
- (4) فلسفي، نصر الله، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي 1500 - 1736 م، ترجمة فتحي الريس، دار الثقافة، القاهرة، 1989 م، ص (هـ) (المقدمة).

ثمة ما يؤيد هذا الرأي، بل ويؤكد على أن صفي الدين كان تركياً،
 فمؤلف كتاب عالم آراي صفوي، ينقل أول لقاء جرى بين صفي الدين
 وشيخه الزاهد الجيلاني ويقول : "كان من عادة الشيخ أن يعتكف في خلوته
 في شهر رمضان، لا يقابل أحداً، ولكنه في أحد الأعوام أدرك بلمح هدايته،
 أن صفي الدين وصل إلى زاويته فخرج إلى ابنه جمال الدين، وقال له
 اذهب إلى المكان الفلاني في الزاوية، وستجد شاباً تركياً في مقتبل العمر،
 وهو قائم يصلي هناك وعندما ينتهي من صلاته ويسلم، قل له إن أبي
 الشيخ الزاهد يطلبك فلما انتهى الشيخ الزاهد من اعتكافه رأى المريدون
 شيخهم يخرج من خلوته، وقد وضع يده في يد شاب تركي⁽¹⁾ .

معنى ذلك أن صفي الدين كان تركياً، ولم يكن علوياً، وإلا وصفه
 المؤلف سيّداً أو شريفاً، كما لم يقل أنه فارسي، بل قال صراحاً أنه تركي
 . ولهذا إن انتساب الصوفيّين لأهل البيت ليس صحيحاً لأن ادعاء النسب بعد
 وصولهم إلى السلطة كان ذريعة لتثبيت ملكهم، وإضفاء الشرعية على حكمهم
 حتى لا ينازعهم فيه منازع⁽²⁾، وهذا ما يؤيده الباحث الإيراني عباس إقبال،
 إذ يقول " إن هذه النسبة كاذبة ولم ترد في المؤلفات التي ألّفت قبل عهد الشاه
 طهماسب الأول، وفي أيام الشاه إسماعيل وأجداده "⁽³⁾.

بيد أن ذلك لا ينفي المكانة المرموقة التي حظي بها صفي الدين لدى
 الأهالي الذين كانوا يتوافدون عليه، بسبب زهده وورعه وتصوفه⁽⁴⁾، حتى

(1) مؤلف مجهول، عالم آراي صفوي، باهتمام يد الله شكري، تهران، 1355 هـ — ش، ص 11-12.

(2) فلسفي، نصر الله، إيران وعلاقاتها الخارجية. ص (و) (المقدمة) ؛ الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 27

(3) اشتياني، عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام...، ص 640

(4) Savory.R.op.cit.p8

قيل إن عدد الذين وفدوا على الشيخ صفي الدين من سكان مدينتي مراغة وتبريز خلال ثلاثة أشهر فقد زاد على ثلاثة عشر ألف مريد⁽¹⁾.

- حلقات الإرشاد .

كان صفي الدين (1252-1334م) من عارفي عصره المشاهير، راده كثير من المريدين والأتباع، حصلت تكيته التي أسسها في مدينة أردبيل في جنوب أذربيجان، على شهرة واسعة خصوصاً بعد أن مال الناس إلى التزهد إبان الحكم المغولي لإيران (1253-1336م)، وكان صفي الدين في بداية أمره مريداً للشيخ تاج الدين الزاهد الكيلاني، وتزوج ابنته فلما مات شيخه وحموه خلفه في مقام الإرشاد⁽²⁾ وعند وفاة صفي الدين خلفه ابنه صدر الدين موسى (1335-1392م) وفي هذه الفترة التي انهارت فيها أسرة ايلخانات المغول، تجزأت إيران إلى دويلات متصارعة، زادت من ميل الناس أكثر إلى الانزواء لشدة المآسي التي اتصف بها هذا العصر⁽³⁾.

أما الحدث الأبرز في سلسلة الأحداث المهمة لهذه الأسرة فقد تجلّى في عهد الشيخ علاء الدين علي (خواجه علي سياهيوش) (1392/1448م) الذي عاصر فترة الاجتياح التيموري لعدد من البلدان الإسلامية وكسب- على خلاف معاصريه- ثقة تيمورلنك الذي زاره ثلاث مرات في مشيخته على حسب الرواية الصفوية⁽⁴⁾ وأهم هذه اللقاءات، ذلك الذي حدث بعد هزيمة السلطان العثماني بايزيد عام 804هـ/1402م على يد تيمورلنك،

(1) جمعة، بديع محمد، الشاه عباس الكبير، ص 8.

(2) اشتيناني، عباس اقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرة حتى نهاية الدولة الفاجارية، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة، القاهرة، 1989م، ص 639.

(3) منصور، محمد، تاريخ إيران بعد الإسلام، القاهرة، 1979م، ص 739؛

Mazzaoui.M, the origins of the safavids viesbaden 1977 p52-53

(4) باسناتي باريزي، إبراهيم، سياسة واقتصاد عصر صفوي، طهران، 1367هـ.ش، ص 12.

وأُسره ثلاثين ألفاً من الجيش العثماني، وإحضارهم إلى أردبيل، فطلب خواجه علي من تيمور لنك أن يطلق سراح هؤلاء الأسرى، فوافق تيمور ووهبهم للشيخ، ليكونوا فيما بعد من أبرز مريدي الأسرة الصفوية، وإحدى لبناتها التي ارتكزت عليها، إبان قيامها في بداية القرن السادس عشر⁽¹⁾ كما حصل الشيخ من تيمور على إقطاعات واسعة في أذربيجان-أردبيل وضواحيها- وفرت له ولمريديه موارد مالية ضخمة، كانت دون شك الركيزة الاقتصادية التي ضمنت استمرارية هذه الأسرة⁽²⁾ وهكذا انتهت ملكية الوقف إلى أن يكون إرثاً يؤول إلى أعقاب الشيخ كمشيخة الطريقة، وكان يمثل الشيخ اتباعه المقيمين خارج أردبيل "خليفة" ينوب عنه⁽³⁾.

ما لبث أن مات خواجه علي في فلسطين أثناء عودته من مكة، وخلفه ابنه الشيخ إبراهيم (شيخ شاه) وظل يقوم بالإرشاد لتسع وعشرين سنة إلى أن مات في عام 851 هـ/1447م تاركاً من الأبناء، جنيد، أبو السعد أحمد، سيد بايزيد، خواجه جهان ميرزا وإبراهيم جواجكي⁽⁴⁾.

- التنظيم العسكري :

اكتسبت المشيخة الصفوية قدرة أكبر على الحركة، بتولي سلطان جنيد (1447-1460م) زعامتها، وبدأ يكشف عن رغبته في الملك تدريجياً، بتحويله الدعوة إلى حركة سياسية تعتمد على إثبات وجودها على الأعداء الضخمة من المریدين⁽⁵⁾.

(1) المرجع نفسه، ص 13.

(2) المرجع نفسه، ص 15؛ الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج 8، ص 20.

(3) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1988 م، ص 493.

(4) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية تاريخها السياسي والاجتماعي-علاقاتها بالعثمانيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1981م، ص 31.

(5) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 494؛ وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين، مطبعة دائرة المعارف، 1924م، مج 7، ص 187.

وأثر هذا التحول في الطريقة بتشكيل إدارة عسكرية لها، فجلب ذلك العداء للشيخ جنيد من قبل جيرانه فهرب الشيخ إلى الأناضول، وفي السنوات (1449-1456م) نجح جنيد نجاحاً كبيراً في نشر طريقته في قرمان (Karaman)، وفي جاننيق (Janik) و قسطموني (Kastamuni)، وفي ولاية تكة (Tekke) حول الأناضول، وفي جبل أرموس في شمال سوريا بين التركمان، وفي قلقيا (Cilicia) وطوروس (taurus) في شمال الأناضول⁽¹⁾.

أثار هذا العمل غضب جهانشاه التركماني، زعيم القره قويونلو، فأجبر السلطان جنيد على الرحيل إلى ديار بكر، حيث استقبله أوزون حسن زعيم الأق قويونلو، وأحسن وفادته وزوجه أخته خديجة بيكم⁽²⁾، وبعد مدة عاد جنيد إلى مقره السابق في أردبيل، ثم توجه بقواته التي شكلها من مريديه إلى شيروان⁽³⁾، لكنه هزم وقتل على يد حاكمها خليل سلطان على سنة 860-1455 م⁽⁴⁾ ولئن كانت هذه الحرب الأولى في تاريخ الصفويين، وانتهت لغير صالحهم، فأنها كانت بمثابة البداية لظهورهم على الميدان السياسي قوةً سياسيةً جديدةً .

أصبحت الحركة الصفوية أكثر قوة وتنظيماً في عهد شيخها حيدر بن جنيد (1460-1488م) والذي تزوج من ابنة خاله أوزون حسن المدعوة عالم شاه بيكوم أو حليلة بيكم التي أصبحت أما لإسماعيل أول ملوك الصفويين⁽⁵⁾.

(1) Parry.v . J , Aistory of the ottoman empire to 1730 , Cambridge university, press,1976,p63-64.

(2) The new cambridge modern history ,the renaissance 1493-1520,cambridge university press,(no.dot)vol1,p405.

(3) مدينة في غرب بحر الخرز (قزوين) بناها ملك الفرس أنو شروان، وصار الاسم يطلق على البلاد الواسعة التي تمتد بين مدينة دريند شمالاً ونهر الكرج جنوباً، قصبته مدينة شماخي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 3، ص339.

(4) الخولي، احمد، الدولة الصفوية، ص32.

(5) الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع من بعد القرن السابع تحقيق حسن بن عبد الله، دار الفكر، بيروت، 1998م، ص203 .

وقد اتخذ حيدر لأتباعه عمامة حمراء للرأس لتمييزهم عن غيرهم، جعلها من اثنتي عشرة ذؤابة، كناية عن الأئمة الإثنا عشر للشيعنة، وسمى بتاج الحيدرية (1) وقد اشتق منه المصطلح التركي قزلباش (Qizilbash) " الرؤوس الحمراء " (2)، ثم صار هذا الاسم يطلق على القبائل التي اعتمدت عليها الدولة الصفوية في بناء قوتها العسكرية .

ويذكر المؤرخ الصفوي كاشاني، أن العلاقات قد توترت بين البيت الصفوي والسلطان يعقوب زعيم أم قويونلو، فأضطر حيدر وأتباعه إلى الرحيل من ديار بكر، ثم جهز جيشاً وتوجه إلى شروان، وخاض حرباً، تلقى فيها هزيمة قاسية في رجب 893هـ أول يونيو 1488م (3) وقُتل وتفرق أتباعه، وأما باقي الأتباع فقد توجهوا إلى مراكز الطريقة في أردبيل وقرروا انتخاب علي بن حيدر زعيماً للطريقة خلفاً لوالده (4) على أن أخبار اجتماعهم - حسب رواية كاشاني - وصلت أسماع السلطان يعقوب، فهاجمهم على حين غرة وقبض على أبناء الشيخ حيدر الثلاثة: علي، إبراهيم، وإسماعيل وأودعهم سجن قلعة أصرخر بشيراز (5).

قبائل القزلباش :

إن الأسماء التي منحت لبعض القبائل التركمانية التي كانت أكثر نفوذاً، والتي عملت في خدمة الدولة الصفوية لاحقاً، هي القبائل القزلباشية التسعة :

-
- (1) القرماني، أبو العباس أحمد، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص 344 .
Tapper, richard, frontiernomads of Iran. cambridge, priess, 1996. p42.
 - (2) مؤلف مجهول، تاريخ قزلباش، به اهتمام مير هاشم محدث، تهران، 1361 هـ ش، ص 28.
 - (3) كاشاني، أحمد غفاري، تاريخ نكرستان، تهران، (د.ت)، ص 361.
 - (4) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 361.
 - (5) كاشاني، أحمد غفاري، تاريخ نكارستان، ص 361-362.

- 1- روملو، التحقوا بحلقة الصفويين منذ أيام خواجه علي، وهم الأسرى الأتراك الذين أسرههم تيمورلنك عند انتصاره على العثمانيين سنة 1402 م وأفرج عنهم بواسطة خواجه علي⁽¹⁾.
- 2- ذو القدر، كان أفرادها يسكنون ديار بكر، والتحقيق جمع منهم بخدمة الشيخ جنيد وبعد موته نهضوا لمساعدة ابنه الشيخ حيدر⁽²⁾.
- 3- استاجلو، من كبريات القبائل التي ساندت الدولة الصفوية في نشأتها واستمرارها وكانت تنتشر في منطقة أذربيجان، ومن أبرز رجالها محمد خان استاجلو، حاكم ديار بكر منذ عام 913 هـ/1507م⁽³⁾.
- 4- إفشار، هاجرت من تركستان إلى أذربيجان وشمال بلاد الشام، ثم التحقت بالأسرة الصفوية، ونالت مقابل ذلك حظوة لدى زعماء الأسرة الصفوية، وحكم أفرادها في معظم أنحاء إيران⁽⁴⁾.
- 5- شاملو، تنسب إلى بلاد الشام، لقدومها من أطراف حلب وأدنه وطرسوس، وسائر التخوم الشمالية لبلاد الشام، وقد تقلد زعماءها مناصب مهمة طوال فترة الحكم الصفوي، مثل حسن بك الله خان، أمير أمراء الشاه إسماعيل، وايشيك أغاس وزير الشاه عباس الأول⁽⁵⁾.
- 6- قاجار، تنسب إلى قاجار نويان أحد قادة المغول، وقد استوطن أفرادها أرمستان والشام، حيث عاشوا على السلب والنهب⁽⁶⁾، وعندما

(1) اشتياني، عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام...، ص 607؛ مكاريوس، شاهين، تاريخ إيران، ص 147.

(2) كوب، عبد الحسين رزين، روزكاران تاريخ إيران از اغاتا سقوط سلطنة بهلوي، ط 2، انتشارات سخن، طهران، 1379 هـ. ش، ص 661؛ الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مج 9، ص 144.

(3) مؤلف مجهول، تاريخ قزلباش، ص 45-46.

(4) المصدر نفسه، ص 51-56.

(5) المصدر نفسه، ص 6-11.

(6) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 43.

عاد تيمورلنك إلى إيران بعد هجومه على آسيا الصغرى والشام، وأحضر جمعاً من قبائل التركمان، من ضمنهم قاجار، أسكنهم لنجة وايروان وقراباغ، ثم التحق هؤلاء بخدمة الشاه إسماعيل عندما غادر لاهيجان إلى أذربيجان⁽¹⁾.

7- تكة لو (تكلو)، كانت تسكن على أطراف قونية، وتنتشر في أطراف "تكة" جنوبي الأناضول، من أوائل شيوخها الذين التحقوا بالشيخ حيدر، هو حسن خليفة⁽²⁾، الذي كلفه حيدر بالعودة إلى تكة والترويج للطريقة الصوفية وتجميع المريدين، فعاد ابنه إلى إيران ومعه خمسة عشر ألف رجل، ومن أبرز زعمائها " أولمة خان " حاكم أذربيجان، ومحمد خان حاكم هراه⁽³⁾.

8- ورساق، تسكن ناحية ورساق في ولاية قرامان في آسيا الصغرى، وقد نهض أبناؤها من هناك لنجدة الشاه إسماعيل⁽⁴⁾.

9- صوفية قراباغ، لم ترد معلومات واضحة عن هذه القبيلة في المصادر الفارسية - التي أمكن الاطلاع عليها- ما عدا حسن روملو، الذي يذكرها فيقول " تجمع في مجلسه [الشاه إسماعيل] سبعة آلاف مريد صوفي من قبائل استاجلو وشاملو... وصوفية قراباغ⁽⁵⁾، كما ذكرها حسن الأمين ضمن قبائل القزلباش⁽⁶⁾.

(1) فلسفي، نصر الله، زندكاني شاه عباس أول، ط5، طهران، 1352 هـ.ش، ص 165.

(2) والد الشاه قولي، الذي ثار ضد الدولة العثمانية في ولاية تكة سنة 1511 م، انظر، ص (101-103) من هذا البحث.

(3) مؤلف مجهول، تاريخ قزلباش، 29.

(4) الخولي، أحمد، الدولة الصوفية، ص43.

(5) روملو، حسن، احسن التواريخ، بسعي وتصحيح جارلسن نارمن سيدن، انتشارات، كتاخانه صدر، تهران، 1342 هـ، ش، ص 14 .

(6) الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج9، ص 144.

هكذا اتضح أن قبائل القزلباش، من أصول تركمانية، ومعظمها كانت تسكن الأناضول وفي التخوم الشمالية لبلاد الشام، وأن معظم زعمائها تسلموا مناصب عليا في الدولة أسهموا بشكل وافر في تأسيس الدولة الصفوية.

قيام الدولة :

بعد وفاة الشيخ حيدر سنة 893-1488 م حلت الأسرة الصفوية في بلاد السلطان رستم أمير الأق قويونلو، فيما يمكن تسميه بالضيافة الجبرية، غير أن الظروف تطورت سريعا بعد اندلاع الحرب الأهلية بين أمراء أسرة الأق قويونلو⁽¹⁾ وحسب رواية القرمان، استطاع في هذه الأثناء مائتان من أتباع ومريدي البيت الصفوي نقل إسماعيل وأخيه إبراهيم - بعد وفاة أخيهما الأكبر سلطان علي - من أردبيل إلى الركيلان وسرعان ما عاد إبراهيم، بينما بقي إسماعيل لدى حالم لا هيجان كاركيا ميرزا⁽²⁾ الذي طلب من الشيخ شمس الدين اللاهيجي القيام على تربية إسماعيل تربية عسكرية ليعده للملك، ومكث إسماعيل فترة الإعداد - خمس سنوات - أتاحت فرصة كبيرة لاتباع البيت الصفوي للاتصال بعضهم ببعض⁽³⁾.

في منتصف أغسطس 1499 م أصبح إسماعيل بن حيدر - وهو في السنة الثانية عشرة من عمره - القائد المعترف به للطريقة الصفوية، والمرشد الكامل⁽⁴⁾ وغادر جيلان برفقة سبعة من أتباعه المقربين، وتابع طريقه من تاروم واخلخال إلى أردبيل، المركز التقليدي للطريقة الصفوية، وفي أثناء مسيره تجمع لديه عدد من الأتباع وكونوا جيشاً مؤلف من 1500

(1) البديسي، شرف خان، شرفنامه، ترجمة عن الفارسية محمد علي عوني، القاهرة، 1962م، ج2، ص117

(2) القرمانى، أبو العباس أحمد، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص 349.

(3) أبو الحسن عطر جي، الصفويون والدولة العثمانية www.d-sunnah.net

(4) Roemer.H.R.The Safavid Period Chapter-cambridge history of Iran. vol6.p225.

رجل، وفي أربيل زار إسماعيل ضريح جده مؤسس الطريقة صفي الدين، وقد قدم حاكم تلك المدينة إنذاراً لإسماعيل بالمغادرة⁽¹⁾ وأذن إسماعيل لهذا الطلب وعسكر خارج المدينة، ثم توجه نحو منطقة طواليش المحاذية لبحر قزوين وأقام معسكره الشتوي في أرجوان (Arjuwan) وقد تم إقناعه من قبل مستشاريه أن يستدعي أعوانه في الأناضول وسوريا للتجمع في أذربيجان⁽²⁾. في عام 906هـ/1500م توجه إسماعيل إلى شماخي، على رأس جيش من سبعة آلاف مقاتل استطاع أن يهزم جيش شيروان ويقتل حاكمها⁽³⁾، ويغنم الكثير من ممتلكاته وخزائنه، وتوافد أتباعه "من كل صوب وحذب"⁽⁴⁾، ثم تقدم واحتل باكو المطلّة على بحر قزوين ودر بند المطلّة على الساحل الغربي لبحر قزوين⁽⁵⁾. وضع هذا النصر إسماعيل، وجهاً لوجه مع الوند ميرزا حاكم الأق قويونلو في أذربيجان فالتقى الطرفان في شروان سنة 1501 م، وانهزم الأخير مخلفاً خسائر كبيرة، وكان من أهم نتائج هذه المعركة، سيطرة الشيخ إسماعيل على مدينة تبريز التي دخلها سنة 907هـ - 1501م معلناً قيام الدولة الصفوية⁽⁶⁾، ومنصباً نفسه شاهاً على

(1) الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لتحقيق حسين المبدي، دار الفكر، بيروت، 1998، ص293.

(2) Allouche.Adel.the origins and development of the ottoman savavid conflict 1500-1555,berlin.1983,p70.

(3) يذكر الشوكاني أن الشاه إسماعيل أمر جيشه بأن يضعوا حاكم شروان "قرخ بار" في قدر كبير ويأكلوه، الشوكاني البدر الطالع بمحاسن من القرن السابع، ص 293.

(4) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 38 .

(5) محمد بن سليمان المراجعى "الدولة الدريندرية في بلاد القوقاز"، مجلة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، العدد 12، السنة 1420هـ - 1999م، ص65-70.

(6) البديسي، شرف خان، شرفانة، ج2، ص 118-119.

إيران، وبذلك تمثل قيام الدولة الصفوية في صيغة خلع (الشيخ) إسماعيل لملايس التصوف وإبدال ذلك بوضع التاج الديباجي على رأس (الشاه) ⁽¹⁾.
توالت انتصارات الشاه إسماعيل بعد ذلك تباعاً، ففُتِحَ جزئياً على دولة الأقباط قوبونلو وبدأ من سنة 1503 م بسط سلطانه على أنزليجان، واستولى في نفس العام على شيراز وأخضع فارس وكرمان وخوزستان ⁽²⁾ وماندوران واسترأباد وجميع أنحاء جيلان، وفي عام 1507-1508 م دمرت قوات الشاه إمارة ذي القدر وغزت خربوط وديار بكر واحتلت كردستان، وقد كان الشاه حريصاً على تطمين المماليك والعثمانيين بأنه ليس لديه نية عدوانية تجاههما ⁽³⁾.

الامتداد الصفوي نحو المشرق العربي :

أدى انتصار الشاه إسماعيل، واحتلال تبريز وإعلانها عاصمة لدولته الجديدة إلى ارتفاع المد الصفوي، الذي بدأ يتسع تدريجياً، فدخل الشاه في حرب مع قبائل الأوزبك ⁽⁴⁾ في منطقة ما وراء النهر، وأحتل خراسان ومرو، ووصل حدود نهر جيحون ⁽⁵⁾، وتوسعت الدولة الصفوية إثر هذه

(1) أبو مغلي، محمد وصفي، إيران، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، 1985م، ص 246 ؛ عماد أحمد الجواهري "العراق والتوسع الصفوي، 1502-1530م"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، تصدر عن جامعة الكويت، العدد 20، السنة الخامسة، 1979م، ص ؛ د هيوار، "إسماعيل الأول"، دائرة المعارف الإسلامية، مج 2، ص 175 - 176 .

(2) الموصلي، منذر، الحياة السياسية في كردستان، لندن، 1991م، ص 78، وليبر، دونالد، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم حسنين، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1985م، ص 86.

(3) parr.v.j.op.cit.p 65.

(4) تعني كلمة الأوزبك سيد نفسه والمستقل .

(5) اشتياني، عباس، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص 642.

الانتصارات، وأضحى الشاه مسيطراً على فارس وأذربيجان، وأتسع نفوذه بعد ذلك في جنوب الأناضول، محطماً تحالفاً جديداً إقامه السلطان مع آخر أمراء الأق قويونلو، مع علاء الدولة أمير دولة ذو القدر⁽¹⁾ وهكذا بدأ الطريق ممهداً للصفيين للامتداد نحو المشرق العربي من الجهة الشمالية .

لقد انكشفت أمام الصفويين الأراضي العربية - عبر العراق - بمناطقها السهلية ومسالكها الإستراتيجية البرية، بعد أن أمن الصفويون سيطرتهم على تلك السلاسل الجبلية التي تفصل إيران عن الأراضي العربية في حدود طبيعية لها جغرافيتها التاريخية⁽²⁾ وخلال عام 1508-1509 م غزا إسماعيل بغداد فعلياً، إضافة إلى معظم الجنوب الغربي من إيران، في ظل هدوء عثماني مملوكي واضح⁽³⁾، شجع الشاه على التفكير في توسيع عملياته العسكرية لتشمل الموصل وشمال سوريا .

إن أول توغل للقوات الصفوية في المشرق العربي، تمثل في غزو بغداد، الواقعة تحت سيطرة دولة الأق قويونلو، حيث بعث الشاه إسماعيل أحد قادته المدعو حسين، وما إن وصل المدينة حتى غادرها حاكمها " برناك "، وقام أهالي بغداد بإخراج محمد كمونه، نقيب أشراف الشيعة ببغداد، وتوليته الأمور إلى حين اتضاح الموقف، وقد بادر هذا الأخير إلى إعلان الخطبة باسم الشاه، كما صك النقود باسمه، كما جاء في رواية أحمد كاشاني⁽⁴⁾ وإكمالاً لهذه الرواية فإن البغداديين خرجوا لاستقبال طلائع

(1) الغزي، نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ج3، ص 135؛ القرماني، أبو العباس أحمد، أخبار الدول وأثار لأول في التاريخ، ص 344، الدولة الصفوية
www.al-shia.com..

(2) الجميل، كوكب سيار، بقايا وجذور التكوين العربي الحديث، منشورات الأهلية، عمان، 1997م، ص104، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، نقله من التركية إلى العربية محمد صبحي خرزات، دمشق، (د.ت)، ج2، ص570.

(3) Shaw , Stanford . History of the Ottoman Empire and Modern Turkey Cambridge University Press , 1977 , I , p. 78 .

(4) كاشاني، أحمد غفاري، تاريخ جهان آراء، طهران، 1343 هـ . ش، ص271.

الجيش الصفوي الذي دخل بغداد وسرعان ما لحق به الشاه، فدخل المدينة عام 914 هـ/1508 م وقام الشاه بعد ذلك بجولة في كربلاء والحلة والنجف ثم عاد إلى بغداد، ومنها إلى سامراء (1).

لعلها من المرات النادرة التي يخرج فيها سكان بغداد لإستقبال أجنبي محتل وعلى كل حال فالمرجح - إذا صحت رواية كاشاني - أن السيد كمونه وأعيان المدينة هم الذين استقبلوا الجيش الصفوي، ويرجع عماد الجواهري ذلك لسببين :

1- انه لم يكن في بغداد قوة عسكرية يمكن الإعتماد عليها للدفاع عن المدينة خاصة بعد هروب حاكمها من الألق قوينلو.

2- أن العناصر التي خرجت لاستقبال القوات المحتلة، كان لها ارتباطها ومصالحها التي تحرص على استمرار تقدمها خلال العهد الجديد، وهذه المسألة قد تحصل في كل زمان ومكان (2).

ولئن أفادت الرواية الصفوية، أن ثمة استقبلاً أجرى للقوات الصفوية المحتلة، فإن هناك مجموعة من المصادر التاريخية، ذكرت معلومات حول أعمال القتل والتخريب التي رافقت الاحتلال الصفوي للمدينة، ما يعزز أن الاحتلال لم يقف على أرض سهلة، فيذكر المؤرخ الموصلي العمري " أن الشاه إسماعيل حاصر بغداد وأفشى الرفض فيها بعد قتل المعارضين " (3) فيما نسب العزاوي إلى صاحب منتخب التواريخ قوله "بأن جيوش الشاه قتلت الكثير من مخالفيها بعد دخولها مدينة بغداد حتى جرت دجلة بدمائهم بدل اليم" (4). أما العماد الحنبلي فيذكر : " واستولى على بغداد وعراق العجم

(1) المصدر نفسه، ص 271-272.

(2) عماد أحمد الجواهري، "العراق والتوسع الصفوي"، ص 72.

(3) العمري، ياسين خير الله، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد، 1968م، ص 169.

(4) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، 1939م، ج3، ص 342.

وقهر ملوكهم وقتل عساكرهم بحيث قتل على ما يزيد على ألف ألف .. وقتل العلماء وأحرق كتبهم ومصاحفهم " (1). ومع الإقرار أن هناك مبالغة في وصف صورة ما جرى من أحداث بين أهالي بغداد والجيش الصفوي، إلا أن الإصطدامات التي جرت بين قوات الاحتلال وبين الأهالي هي حقيقة، وهذا ما أثبتته الأحداث اللاحقة، فقد دعم الشاه إسماعيل - وخلفه طهماسب - الوجود الصفوي في العراق عن طريق إبقاء حاميات عسكرية في كركوك والحلة ومنذلي والرماحية والأحواز (2).

أدت سيطرة الشاه إسماعيل الصفوي على جزء كبير من العراق إلى تطلعه للاستيلاء على مزيد من مناطق المشرق العربي، فجنده يبعث بالرسل إلى أوروبا مفاوضاً بعض ملوكها، بأن يكونوا معه عوناً على سلطان مصر، وأنهم يجيئون من البحر، ويجيء هو من البر في حركة كماشة تؤدي إلى سقوط الدولة المملوكية ليقسمها الشاه مع ملوك أوروبا وتكون مصر من نصيبهم، بينما يستحوذ هو على الشام مطلاً بذلك على البحر المتوسط (3).

وبعد توسع الدولة الصفوية في إيران، وجزء كبير من العراق، أصبحت في حدود مشتركة مع الدولة العثمانية، المتجهة بأنظارها للمشرق العربي، إضافة إلى دولة المماليك في الشام والحجاز، والآخذة في الضعف والانحطاط، علاوة على الوجود البرتغالي في المنطقة، أمام هذه المعطيات، بدأت تظهر صراعات عديدة في المنطقة، كان من ضمنها الصراع الصفوي العثماني، الذي شغل المشرق العربي معظم معاركه، كما أن هذا الصراع لم يكن وليد اللحظة، بل كانت له جذوره التاريخية المتمثلة بمجموعة من الأسباب أدت إلى نشأته، وأخرى أسهمت في استمراره، وهذا ماسيعالجه الفصل الثاني .

(1) العماد الحنبلي، أبو فلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري بيروت، (د.ت)، ج8، ص144.

(2) الحلو، على نعمة، الأحواز "عربستان" في أدوارها التاريخية، بغداد، 1969م، القسم الأول، ص 174.

(3) نوار، عبد العزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 71.

الفصل الثاني

أسباب الصراع الصفوي العثماني

المبحث الأول : الادعاءات المذهبية للصراع .

- تبني الدولة العثمانية للمذهب الحنفي .
- إعلان المذهب الشيعي في إيران .
- وسائل نشر المذهب الشيعي .
- تأويل الاختلاف المذهبي للصراع .
- حروب الدولتين مع دول تتوافق معهما في المذهب .

المبحث الثاني : الأسباب الاجتماعية والاقتصادية للصراع .

- تحركات البدو على الحدود والأزمة الاجتماعية الاقتصادية العثمانية.

- طرق التجارة .

- التنافس من أجل احتكار الحرير .

- توظيف الروابط الاقتصادية

المبحث الثالث : الأسباب السياسية للصراع .

- دور السلاطين و الشاهات في اندلاع الصراع .

- الرغبة في تزعم العالم الإسلامي.

- إيواء الصفويين للأمير مراد.

المبحث الأول

الادعاءات المذهبية للصراع

- تبني الدولة العثمانية للمذهب الحنفي .
- إعلان المذهب الشيعي في إيران .
- وسائل نشر المذهب الشيعي .
- تأويل الاختلاف المذهبي للصراع .
- حروب الدولتين مع دول تتوافق معهما في المذهب .

تبني الدولة العثمانية للمذهب الحنفي .

تصديقاً للراوية التي تبناها العثمانيون رسمياً بعد فتح القسطنطينية سنة 1453 م، بشأن أصل الدولة العثمانية - والتي تمت الإشارة إليها في الفصل الأول - والتي تجعل عثمان بن أرطغول المؤسس الحقيقي للدولة، وقد اعتنق عثمان الإسلام وأصبح من أهل السنة، وتحديداً على المذهب الحنفي، منذ ذلك الوقت أصبح العثمانيون يعتقدون المذهب السني الحنفي (1) . فبعد أن خلف العثمانيون السلاجقة في الحكم والمذهب لم تسجل المصادر المؤرخة للدولة العثمانية أحداثاً تدل على تعصبهم للمذهب الحنفي (2)، ولم توجد إشارة واضحة في براءات " مراسم التعيين " القضاة في المرحلة الأولى من عهد العثمانيين، ما يدل على أنهم أصدروا أحكاماً طبقاً

(1) إسكيتي، محمد اعظم بن عباسيان، برفارس إحداث ووقائع ومشايخ بستك وخنج والنجة ولارا، ترجمة وتعليق محمد وصفي أبو مغلي، مؤسسة الأيام، المنامة، 1993، ص37.

(2) هنالك من يدعي بعكس ذلك، يدعي بأن العثمانيين لم يكتفوا في جعل المذهب الحنفي فوق المذاهب الأخرى بأسرها، بل عمدوا إلى ضرب المذاهب الأخرى، وسعوا إلى نشره بأسلوب

الترغيب والترهيب (الدولة العثمانية والتشيع . www.alahirzi.com

للمذهب الحنفي، ولعل القضية في تلك الفترة لم يجدوا ما يدعوهم للتصريح بتطبيق المذهب بالذات، لأنهم كانوا في الغالب من فقهاء الحنفية، إضافة إلى ذلك أن المذهب الحنفي مع كونه كان الراجح إلى حد بعيد في تلك الفترة، لكن لم يكن هناك تعصب مذهبي في هذا الموضوع بالقدر الذي سنتشاهده القرون التالية . لذا من المحتمل أنهم تركوا الباب مفتوحا لآراء المذاهب الأخرى، حتى مجيء القرن السادس عشر الميلادي كان يحدث بين الحين والآخر أن يستعان برأي المذاهب الأخرى في المحاكم العثمانية (1).
السؤال المهم هنا، لماذا اعتنق العثمانيون المذهب السني الحنفي، على وجه الخصوص دون غيره ؟!

من خلال الرجوع لعدد من المصادر المتعلقة بتاريخ الدولة العثمانية، لم يجد الباحث إجابة واضحة عن هذا السؤال، إلا ما اعتبر إن ذلك جاء نتيجة لتأثر المنطقة - موطن العثمانيين - بأسلافهم السلاجقة الحنفيين .
فقد أخذ العثمانيون بالمذهب الحنفي أحد المذاهب الأربعة السنية، الذي كان يعتمد أكثر على الإجماع للاستنتاجات الفقهية، ولذلك فقد كان أكثر مرونة ومسامحة، وفي واقع الأمر أخذت كل الدول التركية - السابقة العثمانية - بالمذهب الحنفي، وذلك منذ القراخانيين الذين أسسوا أول خانية إسلامية تركية في آسيا الوسطى من القرن العاشر الميلادي حتى القرن الثاني عشر، ويرجح الباحث التركي خليل اينالجيك أن سبب ذلك، يكمن في رغبة الحكام الأتراك بأن يحتفظوا بأكثر قدر من الحرية في سلطتهم السياسية والتنفيذية، فأصبح هذا الاختيار العامل الرئيسي الذي أعطى المجتمعات التركية طابعها الاجتماعي والثقافي المميز في العالم الإسلامي، بل إن " اينالجيك " يرى أبعد من ذلك، ويربط بين الحركة الصوفية المعادية للدولة

(1) أوغلي، اكمل الدين إحسان " إشراف"، الدولة العثمانية . تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية صالح سعداوي، استانبول، 1999، ج1، ص473.

العثمانية، وتجذر المذهب الحنفي في مؤسسات الدولة، باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية⁽¹⁾، في الوقت الذي تراجع تأثير التقاليد الحدودية وتزايد الوعي بالدولة العثمانية باعتبارها خلافة إسلامية .

يبدو أن الإجابة التي تبدو أكثر قبولاً للسؤال المطروح - إضافة إلى رأي اينالجيك - تتعلق بالمذهب الحنفي نفسه، و لها علاقة أيضاً بظروف توسع الدولة العثمانية، فكما هو معروف فإن الدولة العثمانية اعتمدت بشكل كبير في توسعها أثناء الحروب والفتوحات الحربية، على رفعها راية الجهاد، وهذا ما نبه إليه الدكتور عقيل البريار، بأن سبب تبني أو اعتناق العثمانيين للمذهب الحنفي، أن هذا المذهب أكثر المذاهب الإسلامية حثاً على الجهاد⁽²⁾ أي أن الدولة العثمانية اتخذته عاملاً استراتيجياً في سياستها الساعية إلى التوسع والفتح .

لئن كان اعتناق الدولة العثمانية للمذهب الحنفي قبل اندلاع حربها مع الدولة الصفوية بأكثر من قرنين، فإن قيام هذه الأخيرة وإعلانها المذهب الشيعي مذهباً رسمياً في إيران عشية بدء الصراع ذات العلاقة، وهذا ما جعل جل الدراسات - المتعلقة بتاريخ الدولتين وصراعهما - تؤكد على الاختلاف المذهبي باعتباره أحد أهم الأسباب لاندلاع الحرب وبدء الصراع . تأسيساً على ذلك يختص هذا المبحث بمناقشة الاختلاف المذهبي بين الطرفين وتفنيد كونه أحد أسباب الصراع، وهذا يستدعي أولاً معرفة الظروف التي أعلن فيها المذهب الشيعي في إيران من قبل الدولة الصفوية .

(1) اينالجيك، خليل، الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد . م . الأرنؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص275.

(2) البريار، عقيل محمد، محاضرات في تاريخ الدولة العثمانية " غير منشورة " جامعة الفاتح/ كلية الآداب، 1998.

- إعلان المذهب الشيعي في إيران :

إن الدارس لتاريخ إيران منذ الفتح الإسلامي إلى يومنا هذا، يستطيع أن يتبين في سهولة ويسر أنه سار في اتجاهين معاكسين، كل منهما يختلف عن الآخر اختلافاً بيناً . الاتجاه الأول منذ انتشار الإسلام في إيران إلى بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، الذي غلب عليه الفكر السني، وهو اتجاه سار فيه تاريخ إيران منذ الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الصفوية - باستثناء دولة آل بويه - أما الاتجاه الثاني فقد غلبت عليه الصبغة الشيعية، وهو اتجاه سار فيه تاريخ الإيرانيين منذ قيام الدولة الصفوية الشيعية وإعلانها المذهب الشيعي الاثني عشري مذهباً رسمياً لإيران عام 907هـ / 1501 م⁽¹⁾.

كان لغلبة كل صبغة من هاتين الصبغتين أثر واضح في توجيه مظاهر النشاط في إيران وفي رسم سياستها الخارجية، وفي تحديد صلاتها بالبلاد الإسلامية وغير الإسلامية التي جاورتها أو اتصلت بها⁽²⁾.

قبل الحديث عن إعلان المذهب الشيعي في إيران يجب الإشارة إلى الوضع "المذهبي" قبيل قيام الدولة الصفوية، فإذا رُسِّمَت خريطة لإيران يظهر عليها التوزيع الجغرافي للسكان، يلاحظ أن أكبر تجمع سكاني شيعي يرتكز في الوسط باتجاه الشمال، أي في الحواضر الثلاث التي تضمنها دائرة مركزها (قم) ثم (الري) - طهران اليوم - شمالاً و كاشان جنوباً، وأن هذه الكثافة تزداد كلما اقتربنا من مركز الدائرة⁽³⁾، وإذا تطلعنا خارج هذه الدائرة نجد تجمعات أخرى كقرية " أوة " إحدى قرى أصفان

(1) محمد غريب، " كيف تحولت إيران من السنة إلى الشيعة "، www.khayma.Com

(2) الموقع السابق .

(3) المهاجر، جعفر، الهجرة العاملة إلى إيران في العصر الصفوي، دار الروضة (د.ت)،

ص105.

شيعة، أما ساوه المجاورة فقد كان أهلها شافعية⁽¹⁾ بينما كان ريفها شيعياً، في حين كان ثلثا أهالي تبريز " عاصمة الصفويين الأولى " من السنة⁽²⁾.

إذا لا ينكر أن إيران كانت قبل ظهور الصفويين، تحتوي على عدد غير قليل من الشيعة، ولكن هؤلاء كانوا محصورين في مدن معينة : قم نيسابور، أما المدن الإيرانية لاسيما الكبرى منها، كأصفهان، وشيزار فكان معظم سكانها سنيين⁽³⁾.

جرت مراسم فرض المذهب الشيعي في مدينة تبريز العاصمة، وتقول كتب التاريخ إن رجال الشاه إسماعيل الصفوي، وعلماء الشيعة أنفسهم، كانوا قد حذروه من خطورة الإقدام على ذلك الأمر، وقالوا له إن ثلثي سكان مدينة تبريز من أهل السنة، إن إعلان المذهب الشيعي قد يؤدي إلى قيامهم بالثورة، ما قد يعرض ملكه للخطر، ولكن الشاه قال لهم إن الإمام علي كلفه بهذه المهمة⁽⁴⁾، ثم أمر جنده بالتواجد في المسجد الجامع في يوم الجمعة الذي

(1) المستوفي، نزهة القلوب، ص 68.

(2) الموردي، علي، لمحات إجماعية عن تاريخ العراق الحديث، كوفان للنشر، لندن، 1991، ج 1، ص 57.

(3) أدعى الشاه إسماعيل أنه أخذ إجازة من (صاحب الزمان : المهدي المنتظر) بالثورة والخروج ضد أمراء التركمان الذين كانوا يحكمون إيران وبينما كان ذات يوم مع مجموعة من رفاقه الصوفية خارجيين للصيد في منطقة تبريز، مروا بنهر، فطالبهم بالتوقف عنده، وعبر هو النهر بمفرده ودخل كهفاً.. ثم خرج متقلداً سيفاً، وأخبر رفاقه أنه شاهد في الكهف " صاحب الزمان " وأنه قال له لقد حان وقت الخروج... ووضع خنجرأ في حزامه وقال له : اذهب فقد رخصتك، وادعي بعد ذلك أنه شاهد الإمام علي في المنام، وأنه حثه على القيام وإعلان الدولة الشيعية، وقال له بالحرف الواحد : أبني لا تدع القلق يشوش أفكارك .. احضر الفزلباشية مع أسلحتهم الكاملة إلى المسجد و أمرهم أن يحاصروا الناس ... وإذا أبدى هؤلاء أية معارضة أثناء الخطبة باسم آل البيت، فإن الجنود ينهون الأمر ؛

نظرية النيابة الملكية " www.Htinternrt.com

(4) مؤلف مجهول، عالم أراي صفوي، باهتمام يد الله شكري، تهران، 1350 هـ . ش، ص 64 ؛ فلسفي، نصر الله، تاريخ إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي 1500-1736م، ترجمة محمد فتحي الرئيس، دار الثقافة. القاهرة، 1989، ص " ك " .

حدده لإعلان المذهب رسمياً وصعد الشاه المنبر وهو شاهر سيفه وقرأ الخطبة باسم الإمام علي وأئمة الشيعة⁽¹⁾ ولقب بأبي المظفر، الشاه إسماعيل الهادي الوالي، وضرب السكة وكتب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله⁽²⁾.

لا تخفي المصادر - سواء العربية منها أم الفارسية - القسوة و الشدة التي أظهرها الشاه إسماعيل في فرض المذهب الشيعي، وإن برر بعضهم عمله هذا من أجل توحيد إيران ووقوفها موحدة في وجه أعدائها في الخارج .

يقول صاحب شذارات الذهب " أظهر (إسماعيل الصفوي) مذهب الإلحاد والرفض وغير اعتقاد أهل العجم (الفرس) " إلى يومنا هذا "، يوصل الحنبلي قوله " وقتل العلماء وأحرق كتبهم ومصحفهم ونش قبور المشايخ من أهل السنة وأخرج عظامهم وأحرقها...."⁽³⁾، بينما يذكر الغزي أن سبب حرب السلطان سليم العثماني للشاه إسماعيل " إشاعته للرفض وقتله لعلماء أهل السنة وأكابرها "⁽⁴⁾، أما ياسين العمري، عند حديثه عن الشاه إسماعيل ودخوله تبريز وإعلان المذهب الشيعي فيكتفي بالقول " وملك عدة قلاع وعمل السيف، حتى قيل إن جملة ما قتل الشاه في هذه السنة (907هـ)، ألفاً وخمسمائة نفس"⁽⁵⁾ وجاء في مخطوط للبهليكان (خط بتاريخ 922هـ) " شاع من الرفض في مملكة الأعاجم وظهر فيها الشرك، واخترع مذهب لا يجب " ويستطرد صاحب المخطوط مشيراً إلى الشاه إسماعيل

(1) الشيباني، نظام الدين مجبير، شاهنشاهي صفوية، تهران، 1346 هـ. ش، ص 89.

(2) انظر الملحق، ص 289 .

(3) الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري، بيروت (د.ت)، ج 8، ص ص 86-144.

(4) الغزي، نجم الدين أبوب، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ج 1، ص 209.

(5) العمري، ياسين خير الله، زبد الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية، مطبعة الأدب، بغداد، 1974، ص 58.

الصفوي فيقول " فلقد ظل ظلالاً بعيداً وخسر خسراً مبنياً، ولو أردت أن أصف جميع قبايحه وأستوفي جملة فضايحه لعجزت عن إحصائها .. وبالجملة فقد استطار الشر وظهر الفساد في البر والبحر هذا كما مضى وأقول وأسكت عجزاً في أمور كثيرة .." (1) . ويقول العبيدي ملخصاً الأمر في جملة واحدة " شاه إسماعيل هو أول من أظهر الرفض في بلاد العجم" (2).

في المقابل لا تختفي المصادر الفارسية الشدة التي عامل بها الشاه إسماعيل معارضييه من أجل نشر المذهب الشيعي (3)، ويروي صاحب عالم آراي صفوي، حديث الشاه عندما حذره علماء الشيعة من التسرع في فرض المذهب الشيعي " أنا لا أخشى أحداً، وبإذن الله تعالى لو قال واحد من الرعية حرفاً واحداً، فأسحب سيفي، ولن أترك أحداً يعيش، ثم أمر الخطباء والمؤذنين بأن يتلوا تشهد الشيعة، " أشهد أن علياً ولي الله حي على خير العمل في الأذان" (4)، ويؤكد هذه الرواية المؤرخ الفارسي بستكي (5)، في حين يذكر غيات الدين مبسطاً الأمر " أستسلم الناس لهذا التصميم على فرض المذهب الشيعي، ماعدا البعض الذين لقوا حتفهم على يد إسماعيل، وبذلك تمكن الشاه من فرض المذهب الشيعي بحد السيف" (6).

(1) بهليكان، يوسف بن علي بن محمد شاه، غزوة السلطان سليم لروافض الاعجام، مخطوط محفوظ بدار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ميكرو فيلم 1678، ص 7-8.

(2) العبيدي، إبراهيم، بن عامر، قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان، شمس الحقيقة، القاهرة، 1317هـ، ص 36.

(3) يدعي مكاريوس " إن الشاه في نشره للمذهب الشيعي لم يلقي معارضة تذكر، لأن الإيرانيين عدوا هذا الانفصال عن بقية المسلمين استقلال لهم، وفضلوا مذهب القائلين بتكريم الإمام علي كرم الله وجهه . مكاريوس، شاهين، تاريخ إيران، دار المعارف العربية، 2003، ص 149.

(4) مؤلف مجهول، عالم آراي صفوي، ص 64 ؛ المصري، حسن مجيب، صلات بين العرب والفرس والترک مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1969، ص ص 399-400.

(5) بستكي، محمد أعظم عباسيان، برفارس، ص 36.

(6) خوندمير، غيات الدين بن همام الدين، حبيب السير في أخبار أفراد وبشر، مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ميكرو فلم 49051، ص 343 ؛ الشيباني، نظام الدين مجير، شاهنشاهي صفوية، ص 91 .

لم تختلف نظرة المستشرقين عما ذهبت إليه المصادر سائلة الذكر فيما يخص الطريقة التي اتبعها الشاه إسماعيل الصفوي في فرضه مذهبه عنوة، بل زادوا عنها بطريقتهم التي لا تتأى عن التأكيد على انقسام العالم الإسلامي، وبغض المسلمين لبعضهم في المذهب، وسأكتفي بذكر بعض من آراء هؤلاء المستشرقين، فهذا (Mccarthy) يقول "لقد قمع الصفويون بقسوة الإسلام السني في جميع ممتلكاتهم، وقاموا بنفي وقتل القادة الدينيين السنة والاستيلاء على المؤسسات الدينية السنية، وكجزء من حملتهم لجعل المذهب الشيعي مهيمنا في إمبراطوريتهم، فإن الصفويين سلبوا المزارات السنية المقدسة في القرى التي سيطروا عليها⁽¹⁾، ويقول دونالد ولبر (D, Wiledr)، إن إسماعيل لم يعط فرصة للمعارضة في اعتناق هذا المذهب، وإنه استعمل القوة الغاشمة في تغيير مذهب رعاياه إلى التشيع⁽²⁾، بينما اكتفي مورجان (morgan) بمبالغة الشاه إسماعيل بسفك دماء أهل السنة⁽³⁾، أما جان لوي، وريتشارد، فيشيران إلى نقطة أخرى إلى جانب تأكيدهما على الآراء السابقة، وهي أن الممارسات الدينية الشاه إسماعيل وأتباعه القزلباش، أصبحت بعيدا جدا عن الشيعية الحقيقية، نتيجة لإدخالهم عقائد مأخوذة من الشامانية القديمة المميزة لسكان البراري⁽⁴⁾.

يوافق د.عباس إقبال على الأقوال السابقة مضيفاً ومعللاً الأمر من وجهة نظره - باعتباره مواطناً إيرانياً - فيقول "يعد الشاه إسماعيل بلا شبهة أحد أرشد وأكبر ملوك إيران، ومع أنه تخطي جادة الإنصاف والمروءة في

-
- (1) Mccarthy, Justin, The Ottoman Turks An Troductin History . Landan , 1923.p90.
- (2) ولبر، دونالد، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد المنعم حسنين، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1985، ص86.
- (3) Morgan, David, Medieval Persia 1040 - 1797 Largman . London , 1988 . p120.
- (4) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص 210 ؛
- Tapper, Richard, Frontier Nomads Of Iyan, Cambridge University . 1996 .p43.

تحميل مذهب التشيع على شعب إيران وكان أغلبهم حتى ذلك الوقت من السنة، سفك دماء كثير من الأبرياء بقسوة، إلا أن سياسته في هذا السبيل أي إيجاد الوحدة المذهبية في إيران وجعل المذهب الشيعي رسمياً واختيار السيرة التي سار عليها خلفاؤه، قد أفضت إلى نتيجة هامة جداً، هي حفظ المجتمع الإيراني من شر هجمات السلاطين العثمانيين⁽¹⁾.

بعد هذا العرض السريع لما جاء في كتب المصادر والمراجع المختلفة، والتي أكدت بمجملها على قسوة فرض المذهب الشيعي من قبل الشاه إسماعيل، أود تسجيل ملاحظة تتعلق بظروف فرض المذهب الشيعي على الأرض التي حكمها الصفويون، إن المصادر المعاصرة للصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية، لم تسجل ارتداد جماعات أو جنود من جيش الصفويين عند المذهب ونزوحها للطرف الآخر: العثماني السني، من ذلك يمكن أن يستنتج ملاحظتين مهمتين يبدو أن العديد من الباحثين في هذا الموضوع قد أهملوهما:

الأولى، وجد نوع من التقبل للمذهب الشيعي لدى مجموعات كبيرة من سكان المنطقة⁽²⁾، ولعل ذلك راجع إلى نشاط الدعاة الذين أرسلهم الشاه إسماعيل للتبشير بمذهبه⁽³⁾ أو بسبب الخلفية الاجتماعية والاقتصادية لسكان المنطقة التي ستوضح لاحقاً ضمن المبحث الثاني من هذا الفصل.

الثانية، أن تقبل المذهب الشيعي من جهة، وعدم الإرتداد هذا من جهة أخرى، يشير إلى عدم صحة الآراء القائلة، إن سبب هذا الصراع هو الاختلاف المذهبي بين الدولتين، وهذا ما تحاول هذه الدراسة تأكيده.

(1) اشتياني، عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص 646-647.

(2) الصدقي، رزق الله، تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال القاهرة، 1908، ج3، ص 182.

(3) أبو الحسن علوي، عطر جي، "الصفويين والدولة العثمانية" www.d-sunnah.net

- وسائل نشر المذهب الشيعي .

تمثلت وسائل نشر المذهب الشيعي، بإرسال الشاه للمئات من الدعاة الصوفييين للأناضول و يعرف الواحد منهم باسم (خليفة)⁽¹⁾، وكذلك كان للديوان المنسوب للشاه إسماعيل نفسه تأثير واضح في نشر المذهب، إذ يصاغ في قالب يعرفه التركمان جيداً منذ العهد الشاماني، ويقرأ عادة بمصاحبة الرباب، بشكل يناسب المعتقدات الشيعية الأساسية الموجودة حول الهالة القدسية للإمام علي والأئمة الاثني عشر وحادثة كربلاء⁽²⁾، فيما يلاحظ تغير في وسائل نشر المذهب في عهد خليفة إسماعيل وابنه طهما سب(1524-1576) (الذي اتخذ من الشعراء والعلماء وسيلة لمساعدته في نشر المذهب)⁽³⁾. لقد اتخذ الشاه إسماعيل وسيلة أخرى للدعاية والإقناع النفسي، حيث أمر بتنظيم الاحتفال بذكرى مقتل الحسين بن علي، علماً بأن هذا الاحتفال كان قد بدأ به البويهيون في بغداد في القرن الرابع الهجري، ولكنه أهمل وتضاءل شأنه من بعدهم، فجاء الشاه إسماعيل فطوره و أضاف إليه "مجالس التعزية" بحيث جعله قوي الأثر في القلوب، قد يصح القول إنه كان من أهم الوسائل في نشر التشيع في إيران، لأن ما فيه من مظاهر الحزن والبكاء، وما يصاحبه من كثرة الإعلام ودق الطبول، يؤدي إلى تغلغل العقيدة في أعماق النفس والضرب على أوتارها الكامنة⁽⁴⁾.

(1) سمير، حلبى، "جالديران: الطريق إلى المشرق العربي" www.ldiamonline.net

(2) أوغلي، إكمال الدين حسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، نقلة من التركية إلى العربية، صالح سعادوي، أسنا نبول، 1999، ج2، ص 196 ؛ إينالجيك، جليل، تاريخ الدولة العثمانية، ص294.

(3) كوب، عبد الحسين زين، روزكاران تاريخ إيران از اغارتا سلطنت بهلوي، انتشارات سخن، ط2، تهران، 1379 هـ. ش، ص666 ؛

(عصر الدولة الصفوية) WWW. Mogatel . com

(4) الموردي، علي، لمحات من تاريخ العراق الحديث، ص 59.

إضافة إلى ذلك اتخذ الشاه، سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، فمن يسمع السب منهم يجب عليه أن يهتف قائلاً " بيش بادكم باد" هذه العبارة تعني باللغة الأذربيجانية أن السامع يوافق على السب ويطلب المزيد منه أما إذا امتنع السامع عن النطق بهذه العبارة قطعت رقبتة حالاً⁽¹⁾. لدى إعلان المذهب الشيعي مذهباً رسمياً في إيران، كانت الكتب التي تبحث في المذهب الشيعي الاثني عشري نادرة، الأمر الذي تعذر معه استيضاح أصوله وقواعده، فأخرج القاضي نصر الله الزيتوني الجزء الأول من كتاب قواعد الأحكام الإسلامية⁽²⁾ لجمال الدين بن علي المصهر الحلي، وأصبح الأساس في تعاليم الشيعة⁽³⁾، ثم بدا الشاه يفكر في جلب أتباع الأسرة الصفوية من آسيا الصغرى وممتلكات الدولة العثمانية، فبعث إليهم بالرسول، بل إنه كتب إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني (1481-1512 م) أن يأمر ولاته بالسماح لمريدي البيت الصفوي بزيارة أردبيل، المقر الروحي للصفويين، وأن لا يضعوا العراقيين أمامهم⁽⁴⁾.

رغم هذه السياسة التي اتبعتها الدولة الصفوية في نشر المذهب الشيعي، فقد نجحت في مساعيها إلى حد كبير، ساعدها على ذلك الضغط الذي كانت تتعرض له إيران وبذلك يمكن القول إن الضغط الخارجي سواء من جانب العثمانيين في الغرب أو قبائل الازبك في الشرق ضد الصفويين، كان عاملاً مؤثراً في توحيد إيران والتفاف شعبها حول ملوك الصفويين والمذهب

(1) أبو الحسن عطر جي، " الصفويون والدولة العثمانية " WWW.d-sunnah. Net

(2) بينما يذكر أكمل الدين أوغلي أن الشيعة في تلك الفترة قد اعتمدوا على كتاب " الوصية "

للإمام جعفر الصادق، أوغلي، أكمل الدين إحسان، الدولة العثمانية، ج2، ص197.

(3) جمعة، بديع، أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، (د.م)، 1976،

ج1، ص 56 ؛ الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 52.

(4) الشيباني، نظام الدين مجير، في تشكيل شاهنشاهي صفوية، ص 91.

الشيعة⁽¹⁾، وأصبحت الكتلة الشيعية تفصل بين السنيين في وسط آسيا والهند وأفغانستان والسنين في تركيا والشام وغرب العراق ومصر⁽²⁾.

تأويل الاختلاف المذهبي للصراع :

في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي كانت الدولة العثمانية المتمركزة في القسطنطينية، ومعظم أراضي الأناضول إضافة إلى سيطرتها على معظم الأراضي البلقانية، قد تحولت توسعاتها الحربية من الغرب في أوروبا إلى الشرق (الفارسي والعربي) وكانت تتخذ المذهب السني الحنفي مذهباً رسمياً للدولة، دون أن تسجل المصادر تعصبها له، وإن ميزته وقدمته على المذاهب السنية الأخرى (الحنبلي، الشافعي، المالكي) . في المقابل كانت الدولة الصفوية الناشئة في إيران - شرق الدولة العثمانية - قد مدت نفوذها على الأراضي الإيرانية وشمال ووسط العراق " الموصل وبغداد "، وديار بكر، ناشرةً المذهب الشيعي.

إذا كانت الدولتان العثمانية والصفوية متجاورتين وتقسمان الحدود، كل منها تعتنق مذهب مغاير لمذهب الأخرى، بذلك ساد الاعتقاد لدى العديد من المؤرخين، أن الصراع الصفوي العثماني، هو صراع " شيعي - سني " توفقاً عند العديد من المظاهر الموحية بهذا الاعتقاد، كمحاولات الانتقال التي رافقت الحرب والمعارك تجاه السكان الشيعة في أماكن تواجدهم، أو السكان السنة في أماكن تركزهم، وموجات التهجير والاقتلاع المتبادلة، ثم شيوع فتاوى التكفير التي كانت تصدر عن الفقهاء، وأشكال التعبئة المذهبية التي لجأ إليها الجانبان .

(1) روملو، حسن، احسن التواريخ، بسعى وتصحيح جارلسن نارمن، تهران، 1349هـ.ش، 309؛ بدوي، جمال، الشيعة قادمون، القاهرة، 1988، ص 67.

(2) " الصراعات الإقليمية ومحاولات الاستقلال " العصر الصفوي " www.mogtel.com

بيد أن الرؤية المقترحة في هذه الدراسة تحو منحى يختلف كلياً عن هذا الرأي بل وتتفي السبب المذهبي للصراع، مدعمةً ذلك بأدلة وأحداث تاريخية ستطرح تباعاً، ويبدو أن الطريق الأمثل لذلك يتمثل أولاً البحث في صفحات التاريخ عن السبب الذي جعل الدولتين المتحاربتين تتستر بالشعار المذهبي، وتدعي أن حربها من أجل الدين الإسلامي ونصرتة، أي رفع راية الجهاد لمحاربة أعداء الدين، ثانياً للتأكيد على بطلان الادعاء المذهبي للصراع سيتم ذكر حروب الدولتين " العثمانية والصفوية " مع دول تتوافق معهما في نفس المذهب .

في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، عندما تركز العثمانيون في غاليبولي (سنة 1354م) واحتلوا أنقره، وبدأ التوسع العثماني في المناطق الداخلية الإسلامية، وهذا ما أوقع العثمانيين في خلاف مع أمير سيواسي وكرمان⁽¹⁾، اللذين التقى حولهما أمراء الغزاة المسلمين في الأناضول - إمارة توقات بزعامة الغازي برهان الدين، إمارة اسفنديار قسطنطيني أميرها الغازي بايزيد - الذين أخافهم التوسع العثماني، إلا إن مراد الأول (1359-1389) هاجم قونيه، ولم يستطع أن تقضي على إمارة كرممان، لأن الأمر كان يتعلق بمحاربة العثمانيين لإمارات مسلمة .

بيد إن أبنه وخلفته بايزيد الأول يلدرم⁽²⁾ (1389-1402) عزم على القضاء على هذه الإمارات الإسلامية، وتم له ذلك بمساعدة فرق بلقانية، غير أن حرب بايزيد أدى إلى أزمة في الدولة العثمانية، كادت أن تقضي عليها⁽³⁾ لماذا ؟ .

-
- (1) المحامي، محمد فريدبك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص48-49 (بتصرف)
 - (2) لقب بايزيد الاول بيلدرم أي البرق أو الصاعقة، لخفته ومهارته في القتال، عامر، محمد علي، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، دار الرحاب، دمشق، 2001، ص134.
 - (3) عبد الرحيم، مصطفى، العرب في ظل الرابطة العثمانية، العلاقات العربية التركية من منظور عربي، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، 1991، ج1، ص130 ؛ رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون 1516 - 1916، مطابع ألف با، دمشق، 1974، ص38.

إن الإطاحة بأمراء هذه الإمارات الذين كانوا قبل كل شئ مسلمين واستخدامه - أي يزيد - قوات غير مسلمة، أثار عليه نقمة الغزاة والعلماء لأن الدولة كانت، كما هو معروف ترفع راية الجهاد في توسعها ضد الأراضي البيزنطية، وفي محاولة منه ليسبغ على عمله في القضاء على هذه الإمارات المسلمة صفة شرعية، فإنه أرسل في عام 1394 م يطلب من الخليفة العباسي في القاهرة منحه لقب سلطان الروم⁽¹⁾، ثم قام بايزيد بإرسال جيش لحصار القسطنطينية المنيع، ليؤكد للعالم الإسلامي أنه لا يزال زعيم الغزاة المسلمين، في حين لجأ أمراء الغزاة الذين هربوا من وجه العثمانيين في الأناضول إلى تيمورلنك، وشجعوه على مهاجمة العثمانيين⁽²⁾، فقام تيمورلنك بالزحف نحو أنقرة وهزم العثمانيين وأسر سلطانهم بايزيد في 1402 م⁽³⁾.

في بداية القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري، عندما أرادت الدولة العثمانية أن تدخل في حرب مع الدولة الصوفية المسلمة في إيران لأسباب اقتصادية وسياسية ستذكر لاحقاً، كان عليها أن تستفيد من الخطأ الذي وقع فيه بايزيد الأول إذ أن الإجراءات التي قام بها آنذاك لدفع الخطر عن إمارته لم تعد تجدي، فكان على الدولة أن تجد مبرراً وسبباً مقنعاً للدخول في حرب مع الصفويين .

حيث إن الدولة العثمانية دولة إسلامية جهادية قائمة على الفتوح والغزو أي أنها تحمل لواء الجهاد من أجل نشر الإسلام والدفاع عن المسلمين وعندما تفكر في تحول جبهة فتوحاتها ناحية المشرق الإسلامي " الفارسي

(1) السيد، محمد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000، ص22.

(2) رافق، عبد الكريم، العرب و العثمانيين، ص38.

(3) الحموي، أحمد بن محمد، فضائل سلاطين بن عثمان، تحقيق محسن سليم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1993، ص 25-26.

والعربي " فإن هذا يتنافى مع فلسفة أو عقيدة الدولة، فكان لزاماً على ساسة الحكم العثمانيين إقناع " الرأي العام العثماني "، من غرض التوجه ناحية المشرق الإسلامي، لذا فإن الدولة العثمانية لم تكن لتقدم على قتال الصفويين دون استصدار فتوى ⁽¹⁾ دينية، تعطى للسلطان الشرعية والحق عند دخوله الحرب على أنه جهاد في سبيل الله.

وبناء على ذلك أصدرت الدولة العثمانية عبر أعلى مرجع ديني في الدولة أي شيخ الإسلام حمزة كوريز (Hamza Saru Gorez) ⁽²⁾، فتوى دينية تجيز ذبح الصفويين حتى آخر رجل واسترقاق نسائهم وأطفالهم، ومن هنا فإن هذه الفتوى تضيء الشرعية على دخول الحرب ضد الصفويين ⁽³⁾ ففي هذه الفتوى نعت القزلباش بالباغيين والكفرة، كما لم يُعترف بهم أتباعاً لأحد المذاهب الشيعية حتى كمسلمين، ثم تضمنت الفتوى أمثلة على كفرهم وضلالهم وأقردت الحجج الشرعية لقتالهم، بل واعتبرت القضاء عليهم أكثر ضرورة وإلحاحاً من القيام بأي عمل آخر ⁽⁴⁾، وكمثال على ذلك قتال أبي بكر للمرتدين بعد وفاة الرسول عليه السلام، مؤجلاً الفتوحات الإسلامية في الشام إلى أن ينتهي من القضاء عليهم ⁽⁵⁾.

(1) Alloche . Adel, op. cit . p. 110; Repp . r . c . The Mafti Of Istambul . Oxford. 1986. p76.

(2) يوجد نص هذه الفتوة في ملحق الرسالة، الوثيقة الأولى، ص 260 : 262 .

(3) الحموي، احمد بن محمد فضائل سلاطين بن عثمان، ص 34؛ الدجيلي، حسن، العلاقة العراقية الإيرانية خلال خمسة قرون، ط3، دار الأضواء، بيروت، 1991، ص 23؛ مانتران، روبري، تاريخ الدولة العثمانية، ص 209؛ عبد المنعم، صبحي، الشرق الإسلامي، العربي، القاهرة، (د.ت)، ص 98؛ عبد المنعم الجميعي " دور الدين في التوجه السياسي للدولة العثمانية " مجلة تاريخ العرب، العدد 20، السنة 1422هـ، 2001، ص ؛ حسنين، عبد المنعم، ماذا بعد البصرة ؟ المكتب العربي الإسلامي، القاهرة 1988، ص 23 مغنية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون، ط2، المكتبة الأهلية، بيروت، 1962

(4) تصنيف الرواية الصفوية أن الفتوى تضمنت أيضاً " من يقتل شيعياً يساوي قتل سبعين كافراً مسيحياً " مهدي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 19.

(5) العربي، توفيق حسن، الصراع العثماني الصفوي 1520-1622 على ضوء المصادر والوثائق التركية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة

Alloche . Adel. op.cit.p112

1993، ص 12.

تتضح هذه السياسة جلياً ، من خلال الرسائل التي بعثها السلطان العثماني سليم الأول (1512- 1520م) - قبل معركة جالديران - للشاه إسماعيل الصفوي

تتضمن نصيحة للصفويين بترك الرفض " التشيع " والرجوع إلى الدين الحنيف، وإلا اضطر العثمانيون للحرب وإجبارهم بقوة السلاح للعودة إلى الإسلام، فقد جاء في رسالة ⁽¹⁾ بعثها السلطان سليم إلى الشاه إسماعيل (920 هـ)، " فقد حق على كافة المسلمين أن يقوموا بالواجب المقدس القاضي عليهم بمحاربتك دفاعاً عن حرمة الإسلام وذباً عن بيضة شريعة سيد الأنام واستئصالاً لشافة الكفر والفساد، وقطعاً لدابر الإلحاد الذي نشرته بين العباد، وإذ قد أفتى العلماء الذين بين ظهرانينا بوجوب قتلك ومقاتلة قومك، فقد حق علينا أن ننشط لحربك، ونخلص الناس من شرك ... " ⁽²⁾.

في ذات السياق استفادت الدولة العثمانية من الأعمال التي قام بها الصفويون سواء في إيران أم في العراق، بإجبارهم الأهالي على اعتناق المذهب الشيعي بالقوة ⁽³⁾، حيث اتخذ العثمانيون من ذلك حجة على محاربتهم ورفع الظلم عن رعايا الصفويين وكان شعار العثمانيين " نحن مذهب الحق

(1) توجد نسخة من هذه الرسالة في ملحق الرسالة، الوثيقة الأولى، ص 243 - 245، وترجمة لهذه الرسالة، ص 263 .

(2) كان السلطان بايزيد والد السلطان سليم قد بعث برسالة مماثلة سنة 917 هـ، إلى الشاه إسماعيل جاء فيها " أيها الشاب قليل التجربة اسمع نصيحة من والد، ولا ترق دم المسلمين، من أجل قبول مذهبك الجديد، ولا تفعل الوعيد القائل " من قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها " واجعل طريقة أجدادك العظام أنار الله برهانهم منها لك، الخولي، احمد، الدولة الصفوية، ص 73 .

(3) في هذا الشأن استفادت الدولة العثمانية من آراء علمائها الدينيين في إضفاء الشرعية على سياستها، في مؤلفاتهم الدينية كاهتمامها بمؤلفات العالم والفقهاء العثمانيين ابن كمال، الذي حاول في مؤلفاته أن يستخدم الأدلة الدينية ليثبت شرعية الجهاد ضد الشيعة ؛ إينالجيوك، تاريخ الدولة العثمانية، ص 164.

مذهب السنة ضد الشيعة الكفار " على حد قول الباحث الروسي بيكولوسايا⁽¹⁾ وليس هناك ما يؤيد رأي محمد فروخ، بأن الدولة العثمانية اتجهت للمشرق العربي حيث استجد بها أهل العراق السنيون الذين كانوا يعانوا من نشر المذهب الشيعي⁽²⁾.

لأن كانت هذه وجهة النظر العثمانية في تعبئة " الرأي العام العثماني " في خوض الحرب ضد صفوي إيران، فإن الطرح الصفوي لهذه التهيئة لم يختلف كثيراً عن العثمانيين، وإن سلك طريقاً آخر .

قبل إعلان قيام الدولة الصفوية (1501 م) رفع أجداد الشاه إسماعيل راية الجهاد ضد مسيحي جورجيا، حيث قام الشيخ جنيد بعمليات ناجحة بين سنتي (1483- 1487 م) في تلك المنطقة⁽³⁾، فكان لهذه الولاية تأثير فعال في التأسيس لبدايات التوسع الصفوي، ونظراً للحماس الذي شحنته الشاه إسماعيل به أتباعه ومؤيديه، وبخاصة شخصيته الكارزمية⁽⁴⁾ واعتقد بعضهم بأنه تجسيد الله على الأرض⁽⁵⁾، لم يكن بحاجة إلى إصدار فتاوى دينية لتدعيم موقفه في حرب العثمانيين، لاسيما وأن القزلباش كان ولاؤهم في المقام الأول لأفراد الأسرة الصفوية⁽⁶⁾ ثم للمذهب الشيعي⁽⁷⁾ إضافة إلى

(1) فروخ، محمد، الأمة العربية على طريق وحدة الهدف، دار الفكر العربي، (د.ت)، ص13.

(2) بيكولوسايا . ن . و، تاريخ إيران از دوران باستان تاایان سده هجدهم میلادی، نقلة إلى الفارسية كريم كشاورز، ط4، انتشارات بسسام، تهران، 1954، ص475.

(3) The Middle East Intelli Gence Hand Books . p264.

(4) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص 164. ط

(5) Tapper . Richard , op. cit, p42.

(6) ذكر تاجر أيسالي زار تبريز سنة 924هـ-1518 م، أن الناس يحبون الصوفي " الشاه إسماعيل " ويعتبرونه مثل الله، وخاصة جنوده فكثير منهم يخوض المعارك بدون سلاح معتقدين أن سيدهم إسماعيل يحفظهم في الحرب عبد المؤمن، محمد سعيد، الظواهر الأدبية في العصر الصفوي، الأنجلو مصرية، القاهرة، 1978، ص43.

(7) العربي، توفيقهم، الصراع العثماني الصفوي على ضوء المصادر والوثائق التركية، ص 7.

ذلك فإن الأسرة الصفوية رافق صعودها في إيران شعور عاطفي قوي، بسبب حب الإيرانيين لآل علي⁽¹⁾ فإسماعيل الصفوي كان قد أعلن أنه سليل الإمام السابع عند الشيعة الإثني عشرية (موسى الكاظم)⁽²⁾ . علاوة على ذلك فإن القزلباش يطلقون على أنفسهم أهل الحق وهو اسم من أسماء الله، في الوقت نفسه فإن كلمة الحق تساوي بحساب الجمل "108" وإذا تم حساب نقطتي القاف يصبح مجموعها "110"، وكذلك كلمة علي تساوي بحساب الجمل أيضا "110" وبذلك يمكن أن يقال "أهل علي" بدلاً من أهل الحق⁽³⁾، بناءً على ذلك فإن حربهم مع العثمانيين هي حرب أهل الحق مع أهل الباطل حسب اعتقادهم .

إن عدم الحصول على أي فتوى، يمكن أن تكون قد أصدرت من قبل فقهاء الشيعة الصفويين في إطار حربهم مع العثمانيين، تجعل الباحث يعتقد أن دور هؤلاء الفقهاء والعلماء في إيران قد تركز على نشر المذهب في الأراضي التي تتم سيطرة الدولة الصفوية عليها⁽⁴⁾، مثلما كان الأمر مع أشهر علماء الشيعة في العصر الصفوي نور الدين الكركي⁽⁵⁾، الذي كلفه الشاه إسماعيل مع مجموعة من علماء النجف بنشر المذهب الشيعي الاثنى عشري في المناطق الشرقية التي فتحها الشاه سنة 1510 م⁽⁶⁾.

-
- (1) Sykes , Percy , Hisory Of Persia , Macmillan And Co . Limited . 1951 . Vol . p72
- (2) العربي، توفيق حسن، الصراع العثماني الصفوي على ضوء المصادر و الوثائق التركية، ص 10.
- (3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (4) WWW. Khayma.com
- (5) صاحب كتاب اللجاج في تحقيق حل الخراج، وكتاب صلاة الجمعة، توفي سنة 940هـ، وقيل أنه مات مسموماً من قبل بعض أمراء القزلباش، الذين لم يوافقوا على تعيينه من قبل الشاه طهماسب، نائباً عن الإمام المهدي، وشيخاً للإسلام، للمزيد انظر : "نظرية : النيابة الملكية" WWW.bt. intente . com
- (6) كوثراني، وجيه، الفقيه والسلطان، دراسة في تجربتين تاريخيين : العثمانية والصفوية - القاجارية، دار راشد، بيروت، 1989، ص 143.

إن السنيين قد تغير أو تقلل من حماس أتباع ومريدي الأسرة الصفوية الحاكمة، لاسيما أن حروبهم مع العثمانيين استمرت أكثر من قرنين، فإنها تحتاج بين الفينة والأخرى إلى مبررات وأساليب تقوى من عزيمة أتباعها، ولعل أهم هذه الأساليب الفتوة الصفوية⁽¹⁾، حيث أعلنوا أن الجهاد - ضد العثمانيين والأوزبك السنة - فريضة على كل فرد في الدولة، وأن الفتوة هي الوسيلة الوحيدة للانتصار على العدو، و أوجدوا المعسكرات في طوال إيران وعرضها، لتدريب الشباب على الفتوة⁽²⁾.

- حروب الدولتين مع دول تتوافق معها في المذهب :

في إطار تنفيذ الادعاءات المذهبية لحقيقة الصراع الصفوي العثماني، يمكن أن يعرض الباحث بشيء من الإيجاز الحروب التي خاضتها الدولتان مع الدول أخرى تتوافق معها في المذهب نفسه، وفي حقيقة الأمر لا يقصد من ذكر هذه الحروب أنها دليل قاطع على أن الاختلاف المذهبي لم يكن سبباً من أسباب الصراع الصفوي العثماني، بل إن المقصد من ذلك يكمن في الطريقة التي تمت بها هذه الحروب أو الحجج التي أعلنت كسبباً لها و لتكن البداية بحرب الدولة الصفوية لإمارة آل المشعشع .

(1) الفتوة، لفظ أستعمل للدلالة على مجموعة من الصفات أهمها الشباب، القوة، الكرم، الشجاعة، الوفاء، الفصاحة، الإيثار، وغير ذلك من الصفات الحميدة، وقد وردت في القرآن الكريم في أكثر من مرة "إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وبطنا على قلوبهم" سورة الكهف، آية 13، "قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم" سورة الأنبياء، آية 60، لكن الصفويين جعلوها شيعية، و أعلنوا إن كلمة "فتى" نزلت من السماء على علي بن أبي طالب، بلسان جبريل في غزوة بدر الكبرى، للاستزادة، عبد المؤمن، محمد سعيد، الأدب في العصر الصفوي، ص ص 1-71.

(2) حسنين، عبد المنعم محمد، ماذا بعد البصرة، ص 23.

هي إمارة عربية شيعية المذهب، قامت في إقليم عربستان⁽¹⁾، أسسها محمد ابن فلاح المعروف بالمشعشع سنة (820 هـ — 1440 م)، في أواسط، وقد دانت لها أغلب قبائل المنطقة ووصل نفوذها في فترات قوتها إلى بغداد⁽²⁾، والبصرة وسواحل الخليج العربي إضافة إلى القبائل البختيارية ولورستان، وضرب آل المشعشع النقود باسمهم في تستر⁽³⁾.

وفي عام 1508 م بعد فراغ الشاه إسماعيل من بغداد توجه إلى آل المشعشع وخاض حرباً ضروساً مع أميرها علي بن محسن و أخيه أيوب، وتقول الرواية الصفوية " عندما هاجم الشاه إسماعيل بغداد توجه صوب الحويزة ولما كان علي من المنتمين إلى المذهب الشيعي، فإنه لم يخف هجوم الشاه، واستقبله باطمئنان تام مبدئاً له الإخلاص والتواضع، ولما كان الشاه متأكداً من خروجه عن الدين، أمر بقتله، وقتل أخيه، وجميع رو ساء المشعشعين⁽⁴⁾."

هكذا لم يراع الصفويون الإمارة المشعشعية التي تعتنق مذهبهم، بل ساروا إلى ضربها وإزاحتها عن طريقهم، علماً أن هذه الإمارة قد خلت في حروب مع العثمانيين عندما كانت علاقتهم مع الدولة الصفوية جيدة⁽⁵⁾، وفي الوقت الذي قامت فيه الدولة الصفوية بالقضاء على الدولة البائدة (أق

(1) إقليم عربستان يقع على الخليج العربي بين جبال البختيارية شمالاً التي تفصله عن باقي الأراضي الفارسية، وبين شط العرب من الغرب، ويعرف باسمه الفارسي " ولاية خوزستان " مساحة 185 ألف كم2، وفيه عدة مدن رئيسة وهي عيدان، المحمرة، الاحواز، والحويزة " عربستان " www.Mokatle. Com.

(2) عزيزي، يوسف، القبائل العربية في خوزستان، عربه عن الفارسية جابر أحمد، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1996، ص 98 ؛ كوب، عبد الحسين رزين، روزكاران تاريخ إيران از اغاز تا سقوط سلطنت بهلوي، ص 668.

(3) الحلو، علي نعمة، الاحواز " عربستان "، بغداد، (د.ت)، ص 167.

(4) مؤلف مجهول، تاريخ عربستان خلال خمسمائة عام، تاريخ المشعشعين في عربستان، عربه عن الفارسية، سعيد السيد الباجوري، دار الثقافة، مصر، 1984، ص 60- 62 .

(5) " تاريخ الاحواز " www. Al - Ahwaz . com

قوينلو) أي الخروف الأبيض، باستيلاء الشاه إسماعيل على بغداد سنة 1508م⁽¹⁾.

إن دولة اق قوينلو السنية - قبل أن يقضي عليها الصفويون - كانت قد دخلت في حروب طويلة مع الدولة العثمانية خاصة في الفترة (1463-1474م) في عهد سلطانها أوزون حسن، حيث اعتبره " نيقولا فاتان " الخصم الأول للسلطان العثماني محمد الثاني (1451-1481م)، ففي صيف 1472 م غزت قوات أق قوينلو الأراضي في قرمان، وتتحقق بعض الانتصارات، وفي أكتوبر من نفس السنة غزت قوات أق قوينلو " قوينيه " العثمانية، وأجبرت الأمير مصطفى بن السلطان محمد الثاني إلى الانسحاب منها بعد أن قتل من جيشه اثني عشر ألف جندي⁽²⁾، نتيجة لهذا الخطر الذي يتهدد الدولة العثمانية أمر السلطان محمد الثاني بحشد الجيوش وتوزيع مقدمات رواتب وهدايا على الجنود، وعاد الأمير مصطفى وهزم قوات الأق قوينلو في قرمان، وفي أغسطس 1473 م، تكبدت قوات الاق قوينلو هزيمة ساحقة في (اوتلوكبيلي) قرب باشكت، ما جعل أوزن حسن يدخل في مفاوضات مع البنادقة أعداء الدولة العثمانية⁽³⁾.

النموذج الأخير لهذه الحروب، حرب الدولة العثمانية مع دولة المماليك في " مصر والشام " السنية أيضا، ولم يحتج العثمانيون إلا إلى معركتين فاصلتين من أجل القضاء عليها، والسيطرة على ممتلكاتها في مصر والشام والحجاز، الأولى في أغسطس 1516 م، في (مرج دابق)، والثانية

(1) الورد، باقر أمين، حوادث بغداد في اثني عشر قرناً، مكتبة النهضة، بغداد، 1989، ص 180؛ الحسني، عبد الرزاق، عبد العزيز النروي، بغداد، دار الكتاب اللبناني، 1984، ص125.

(2) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 17؛ السيد، محمد، تاريخ الدولة العثمانية، ص 99-100.

(3) McCarthy , N . Op.Cit . p81.

في (الريدانية) 1517 م⁽¹⁾، لتطوي بذلك صفحة دولة المماليك وتنتقل من مسرح التاريخ إلى كتبه .

إن المتتبع لتاريخ الدولة الصفوية، يلاحظ أنها دخلت في حروب مستمرة - في الوقت إلى تحارب فيه العثمانيين - مع دولة الأوزبك في الشرق منذ قيامها حتى سقوط، علماً بأن الأوزبك كانوا على المذهب السني⁽²⁾، بيد أن الغريب في الأمر أن هذه الحروب (الصفوية الأوزبكية) لم يتناولها الباحثون من ناحية مذهبية كما حدث لحروب العثمانيين مع الصفويين وهذا موضوع جدير بالدراسة .

ثمة نقطة في غاية الأهمية تكونت نتيجة الفهم الخاطئ لمسببات الصراع الصفوي العثماني، وبخاصة التأكيد على الاختلاف المذهبي للصراع، وهي إضفاء العامل القومي على الصراع، بوصفه صراعاً بين دولتين قوميتين⁽³⁾، يقف فيه الأتراك العثمانيون ضد الإيرانيين الصفويين، إن هذا التصور لا يمكنه الصمود لفحص منطقي دقيق، فالشاه إسماعيل الصفوي هو سليل لأسرة تركية - ينسب إلى أسرة كردية في بعض الأحيان⁽⁴⁾ - بينما جهازه الإداري يتألف من الكتبة الإداريين المجريين المورثين من الولايات

(1) سيار، الجميل، بقايا وجذور وتكوين العرب الحديث، ص 117-121؛ الجمعي، عبد المنعم إبراهيم، العثمانيون في الميزان الإسلامي والعربي، القاهرة، 1995، ص 37-38.

(2) بويرنيا، حسن، عباس إقبال، زاغارتا أنقراض قارجارية، انتشارات كتابه جانة خيام، ط6، تهران 1730 هـ . ش، ص 665.

(3) أنيس، محمد، تاريخ الشرق الأوسط الحديث 1516-1914، دار العلم العربي، القاهرة " دت"، ص 34؛ لويد سيتون، الرافدين نقلة إلى العربية طه باقر، بشير فرنسيس، مطبعة جامعة أكسفورد، (دت)، ص 239

(4) الشيخ، رأفت، محمد رفعت، أسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، عين للدراسات، 2001، ص 246؛ نوار عبد العزيز، وآخرون، العلاقات العربية - الإيرانية، الاتجاهات الراهنة وأفاق المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996، ص 111 ؛

www.Alayislam.com :

" الكرديين الماضي الحاضر "

التركية السابقة التابعة لإيران⁽¹⁾، إضافة إلى إن جزءاً من الجيش العثماني الذي انهزم في معركة أنقرة 1402 م، أمام تيمورلنك، صار أحد الفصائل الرئيسية للقرلباس منذ عهد الشيخ الصفوي علي بن صدر الدين موسى (1392- 1448 م)⁽²⁾.

إن الملاحظات السابقة التي استهدفت وقائع وأحداث تاريخية، إنما تشير إلى أن الاختلافات المذهبية⁽³⁾، لم تكن إلا وقوداً للمعارك أو مسرح التعبئة لها في الصراع الصفوي العثماني، ولذا وجب البحث عن أسباب مقنعة، توضح وتفسر سبب هذا الصراع .

إن دراسة للظروف الاجتماعية و الاقتصادية لمنطقة الصراع، يمكن أن تعطي تفسيراً أكثر قبولاً، مع التشديد على تداخل وتكامل كافة الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الصراع، وإن الفصل بينهما ما هو إلا فصل لضرورات البحث والدراسة ليس إلا .

-
- (1) ما نتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص 210.
 - (2) صباح، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلم بين العثمانيين و الصفويين، دار النفائس، بيروت، 1999، ص40.
 - (3) أن حدثاً تاريخياً جديراً بالذكر - وأن لم يكن ضمن الفترة الزمنية للدراسة - قد يقلل من أهمية الاختلاف المذهبي في الصراع، فبعد نهاية الدولة الصفوية، سنة 722م، قامت على أنقاضها، دولة أخرى في إيران هي الدولة الافشارية، ورغم اعتناق زعيمها للمذهب السني دخلت في حروب مع العثمانيين، توصف في بعض الأحيان بأنها أقوى من الحروب العثمانية الصفوية قدم أثناءها نادر شاه حلاً " للمسألة السنية - الشيعية " لوحدة العالم الإسلامي، وكان هذا الحل يقضي بأن يقبل العثمانيون الأمامية الاثني عشر تحت أسم الجعفرية، كأحد المذاهب الخمسة للإسلام إلى جانب " الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنبلية " وقدمت اقتراحات عملية للسلطان العثماني في هذا الشأن، وهي أن يخص للأمامية الجعفرية محراباً في مسجد مكة، وأن يسمح لهم بإيفاد أمير وقافلة حج عبر بلاد الشام، رفض العثمانيون هذا الحل لخشيتهم أن يصبح نادر شاه الزعيم المحقق لوحدة العالم الإسلامي، لذلك لم يتأخر السلطان العثماني بالرفض مرتكباً بذلك إلى فتوى شيخ الإسلام . كوثراني، وجيه، الفقيه والسلطان، ص 58 - 59؛ نوار عبد العزيز، الشعوب الإسلامية، ص 301-313 ؛ " العصر الافشاري

المبحث الثاني

الأسباب الاجتماعية والاقتصادية للصراع الصفوي العثماني

- تحركات البدو على الحدود والأزمة الاجتماعية الاقتصادية العثمانية.
- طرق التجارة .
- التنافس من أجل احتكار تجارة الحرير .
- توظيف الروابط الاقتصادية .

إن التعبئة الفكرية والروحية تندرج في العامل الأيديولوجي وهو إن كان يلعب في بعض الأحيان والظروف دوراً حاسماً في معركة أو انتفاضة، فإنه يبقى جزءاً من مشروع كبير يقوم على عوامل ومقومات، تحتل فيها العناصر الاستراتيجية والجغرافية - السياسية والعناصر الاجتماعية والاقتصادية حيزاً لا يستهان به، وإن لم يعلن عنه، وغالباً ما يطمر هذا الحيز " الاجتماعي والاقتصادي " تحت ركام من الادعاءات التي تصدرها مؤسسات وأجهزة الدولة .

ولم تكن الدولتان العثمانية والصفوية في صراعها بعيدتين عن هذا التصور، وإن فترة هذا الصراع " القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري " تكشف عن أسباب اجتماعية واقتصادية، أدت دوراً فاعلاً في قرارات الحرب لدى كل طرف : تأسيساً على ذلك يناقش هذا المبحث مجموعة من النقاط، في ظاهرها تعطي فكرة عامة عن أهمية منطقة الصراع، وفي باطنها تعد أسباباً حقيقة لاندلاع الصراع بين الدولتين .

أولاً : تحركات البدو على الحدود و الأزمة الاجتماعية الاقتصادية العثمانية.
يمكن ربط الأحداث السابقة لبداية الصراع الصفوي العثماني بمجموعة من الأحداث، جرت برمتها فوق أرضية اقتصادية و اجتماعية، كان لها بالغ الأثر في تحول ولاء مجموعات كبيرة من سكان المناطق الحدودية لصالح أحد الطرفين .

إن مجموعات التركمان " البدو " التي اعتنقت الإسلام في آسيا الوسطى، ثم هاجرت إلى الأناضول، وحافظت على نفس بنائها هناك في عهد السلاجقة، كما حافظت على إسلامها وظلت متمسكة بتركبيتها الاجتماعية والدينية منذ القرن العاشر الميلادي، دون تغيير يذكر، حتى بلغ بها القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري مستقلة في كثير من الأحيان عن سيطرة الدولة، وكانت مرحلة النظام المركزي الصارم في الحكم العثماني، قد بدأت في النصف الثاني من القرن الخامس عشر - خاصة في عهد محمد الثاني " 1451م - 1481 م " فاضطرت الدولة هذه المجموعات في نهاية المطاف إلى حياة الاستقرار بغية السيطرة وسهولة فرض الضرائب عليها، فتعرضت أثناء ذلك لضغط واضطهاد شديد⁽¹⁾.

كل ذلك كان يحدث في ظل حدود مشتركة بين الدولتين العثمانية والصفوية، سيما بعد أن قضت الأخيرة على الدول التركمانية دولة القره قوينلو " الخروف الأسود "، والإق قوينلو " الخروف الأبيض " في الوقت الذي دب فيه الضعف إلى دولة المماليك، ولم تكن الحدود مضبوطة بين الدولتين، وبخاصة أن المناطق الحدودية تضم عناصر مختلفة من أكراد و تركمان وعرب وأتراك⁽²⁾ . كذلك لم يكن مفهوم الحدود واضحاً في أذهان

(1) أوغلي، أعمال الدين إحسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج2، ص 195 " بتصرف "؛

Alloche . Adel, op. cit , p. 104.

(2) أنيس، محمد، تاريخ المشرق الأوسط، ص 35 .

شيوخ القبائل، و إنما كانت القبائل تنتقل إلى المشاني، حتى لو كانت داخل أراضي الدولة العثمانية، أو المصايف حتى لو كانت داخل إيران⁽¹⁾.

وقد شجعت الإجراءات الإدارية المرنة التي اتخذها بايزيد الثاني (1481-1512 م) العناصر الساخطة في الأناضول (ملاك الأراضي من العائلات العريقة والجنود السابقين الذين لم يعد لهم مصدر للدخل، وبخاصة القبائل الرحل) على التمرد ضد الحكم العثماني⁽²⁾. ومن ناحية أخرى كانت المجموعات القوية للتركمان في سهول الأناضول الأوسط وجبال طوروس ومرتفعات طوقات وسيواس، تقاوم باستمرار النزعة المركزية للإدارة العثمانية، فقد أرادت الدولة من ناحيتها - وذلك لأجل حماية السكان المحليين وحماية المحاصيل الزراعية - أن تسيطر على هذه القبائل بتسجيلها في الدفاتر المحلية لكي تدفع الضرائب باستمرار، فالنظام العثماني لم يكن ينسجم مع الاقتصاد المتنقل ومع القانون العرفي العشائري، وهكذا اتجه هؤلاء بطموحاتهم الاجتماعية والاقتصادية إلى الطريقة الصفوية بإيران.

في هذا الأثناء كانت الدعاية الصفوية على أشدها في استقطاب أنصارها وعاملة في نفس الوقت على خلخلة الدولة العثمانية من الداخل، فاختارت الدولة الصفوية هذه التجمعات الغاضبة على دولتها لتكون هدفاً لدعايتها، فعملت على استقطابها .

وبعبارة أخرى إن استقطاب هذه التجمعات كان نتيجة المتاعب الإدارية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها في الأناضول منذ القرن الخامس عشر إلى السادس عشر الميلادي، وهيأتها لقبول الدعاية الصفوية⁽³⁾، فكانت

(1) جمعة، بديع محمد، العلاقات العربية الإيرانية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1993، ص 49 انيالجبك، أيضاً خليل، الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص 51 .

(2) المرجع نفسه، ص 52 .

(3) (يلماز، أوزو تونا، الدولة العثمانية، ص 203 ؛

Tapper . Morgan . David . op. cit . pl 16 ; Richard . op. cit . p 44

الاستفادة الصفوية من هؤلاء كبيرة، فكما يؤكد توبيني أن الدولة لا تقوم بدون زراع وصناع وتجّار يدفعون لها الضرائب ولا بدون جيش مدرب موال لها⁽¹⁾، فتم جلب العديد من الأنصار للدولة الصفوية الذين سيكونون من أشد المؤيدين لها " القزلباش " بالتالي وقوداً للصراع اللاحق مع العثمانيين، بل إن الأمر قد تعد ذلك، كيف ؟ .

إن وثائق الأرشييف العثماني تؤكد أن " قطاعاً من البدو شبه الرحل من أهل السنة " من مواطني الدولة العثمانية الذين عجزوا عن تأمين سبل معيشتهم بسبب سوء الإدارة المركزية وظلمها أحياناً، قد انضمت إلى الدولة الصفوية وحاربت في صفوفها ضد الدولة العثمانية⁽²⁾، والأهم من ذلك أن الأرشييف العثماني يؤكد في موضع آخر أن السباهية (الفرسان) العثمانيين أصحاب التيمارات قد انضموا إلى صفوف الصفويين⁽³⁾، وذلك يفسر ما قامت به السلطات العثمانية - في نفس الفترة - من عزل التيماريين المتواطئين، وإعدام المتآمرين المعروفين⁽⁴⁾.

في الجانب الآخر كان أمراء التركمان في الأناضول، قد فقدوا كافة امتيازاتهم تحت وطأة الإدارة المركزية، وأصبحوا مواطنين عاديين، وكانت الامتيازات بالنسبة لهم أهم من مسألة المذهب، لذلك لم يترددوا في الذهاب إلى إيران واعتناق المذهب الشيعي بينما كانوا سنيين في الأناضول، حيث إن والي الإيالة هناك يكون قائداً وتستمر امتيازاته كلها، أما في الأناضول فكانوا تحت إمرة الموظف الصغير الذي ترسله الدولة العثمانية، ولذا لا يمكنهم جمع الضرائب وحشد الجنود أو ممارسة السلطة⁽⁵⁾.

(1) توبيني، أرنولد، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، الأهلية للدراسات والنشر، بيروت، ج2، 1981 م، ص 184.

(2) نقلاً عن أوغلي، أكمال الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج 2، ص 196.

(3) المرجع نفسه، ص 201.

(4) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص 209.

(5) يلماز، اوزوتونا، الدولة العثمانية، ص 204 .

بعبارة أخرى كانت الظروف الاقتصادية التي يعيشها هؤلاء التركمان تجشع الشاه إسماعيل الصفوي على إرسال مئات " الوعاظ " الدين نجحوا في نشر الدعاية الصفوية⁽¹⁾ .

الأمر الذي فسرهُ العثمانيون بأنه تهديدٌ خطيرٌ، إذ سُمح للصفويين بحرية تنظيم التركمان، فسوف تقوض الحكم العثماني في ولايات الأناضول كافة⁽²⁾ بخاصة أن تركمان الأناضول قد حافظوا على علاقتهم الوثيقة بإيران، ما جعلهم يتصرفون كما لو كانوا تابعين للصفويين، وهكذا كان الشاه يعين ممثلين له من بينهم ويرسل إلى كل واحد منهم كتاباً بتعيينه وعباءة وسيفاً ومالاً، وفي المقابل كان أتباع ومريدي الشاه في الأناضول يرسلون بانتظام إلى الشاه ضريبة تسمى " حق الشاه "، بالإضافة إلى النذور، ولم يكن هؤلاء يذهبون إلى مكة للحج، بل إلى أردبيل في إيران حيث يرقد هناك صفى الدين الجد الأعلى للصفويين⁽³⁾ .

إن الرد العثماني من الاستفادة الصفوية للأزمة الاجتماعية لتركمان الأناضول، قد جاء من السلطان بايزيد الثاني، الذي أمر أتباع عديد من الشيعة أن يرحلوا من تكة) انطاليا (إلى المناطق التي انتزعت مؤخراً من البنادقة في مودون (Modon) و كورون (Coron) في الموره⁽⁴⁾ يقدر عددهم عادل علوجي بحوالي 30 ألفاً من القزلباش⁽⁵⁾، ورفض احتجاجاً من الشاه إسماعيل الذي اشتكى أن الموالين له في الأراضي العثمانية قد

(1) Shaw, Stanford , op.cit. p.77 ; McCarthy, Justin.op.cit. p83.

(2) Parrye . V. J, Op.Cit . p 64.

(3) اينالجيک، خليل، الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص 297.

(4) مهدي، عبدالرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران از ابتدي دوران صفوية تايايان جتک دوم جهاني، انتشارت أمير كبير، تهران، 1340 هـ.ش، ص 16-17.

(5) Allouhe. Adel . Op. Cit. p112

منعوا من الذهاب إلى بلاد فارس" إيران ⁽¹⁾ ويضيف المؤرخ الإيراني شيباني أن سبب منعهم من قبل السلطات العثمانية هو الجندية وليس زيارة مدنها المقدسة ⁽²⁾.

بيد أن هذه الإجراءات لم تقلل من الخطر الصفوي، ما حدا بالسلطان العثماني إلى إغلاق الحدود في صيف 1502م، وهكذا لم يعد بوسع هؤلاء التركمان لا الخروج من الدولة العثمانية ولا معاودة الدخول إليها، علي أن هذا الإجراء كان قليل الأثر لأن المحرضين التابعيين للشاه الصفوي مستفدون من السماح للقوافل التجارية بالمرور، قد تغلغلوا في الأناضول العثمانية ⁽³⁾، فضلاً على ذلك فإن مناطق الحدود هذه كانت لها أهميتها الاقتصادية، باعتبارها جزءاً من المناطق التي تخترقها طرق التجارة الدولية .

- الطرق التجارية .

يلاحظ في الرقعة التي امتدت عليها الدولتان " العثمانية والصفوية " وجود تنوع في التضاريس من بحار وجبال وهضاب وسهول وصحاري، وعلى الرغم من كل هذه التضاريس التي تعد بحد ذاتها حواجزاً فاصلاً بين الدول أو الأقاليم أو التجمعات البشرية فإن الدولتين تجاوزتا هذا المفهوم في القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري بحكم تداخلها الجغرافي والاقتصادي والبشري .

فالبهار التي تحيط أو تتخلل مناطق الصراع بين الطرفين، تعد ذات أهمية كبرى في حركة التجارة الدولية، فهذه البحار: بحر قزوين والبحر المتوسط في الشمال، والبحر المتوسط في الغرب، وبحر العرب وخليج عمان

(1) Parrye . V J , op. cit . p 64 ; Allouche . op.cit, p 75.

(2) الشيباني، نظام الدين مجير، تشكيل شاهنشاهي صفوية، ص15.

(3) مانتران، روبير، الدولة العثمانية، ص 164.

في الجنوب، بالإضافة إلى بحرين يتخللا هذه الرقعة هما : البحر الأحمر من جهة الغرب، والخليج العربي إلى جهة الشرق، تزيد من أهمية الموقع من الناحية الجغرافية والاستراتيجية (1).

وأهم من تلك البحار المضائق، التي تصل المسطحات المائية الكبيرة (المحيطي الأطلسي والهندي) بالأذرع (البحر الأحمر والخليج العربي)، كمضيق البوسفور الذي يفصل قارة أوروبا من قارة آسيا، ويصل البحر المتوسط ببحر مرمرة والدردنيل الذي يفصل قارة أوروبا عن الأناضول، ويصل بحر إيجه ببحر مرمرة، أو كمضيق باب المندب الذي يفصل آسيا الجنوبية عن أفريقيا، ويصل البحر الأحمر بخليج عدن (2)، وكمضيق شبه الجزيرة العربية عن الهضبة الإيرانية، ويصل الخليج العربي بالمحيط الهندي، إن هذه المضائق تجعل المسيطر عليها متحكماً بمصائر شعوب المنطقة ودولها، بل ما يليها، على صيغة هيمنة استراتيجية تستأثر بمجمل متاجر العالم بين الشرق والغرب (3).

أما بالنسبة للجبال، أهمها سلسلة جبال طورس التي تفصل بين الهضبة الإيرانية والمشرق العربي، حيث تمتد من الغرب إلى الشرق حتى تصل بحيرة (وان) إلى الشرق من خليج الإسكندرية على السواحل الشرقية للبحر المتوسط، وإلى الشرق من جبال طورس تمتد سلسلة جبال زاغروس التي تطل على سهول العراق والخليج العربي إلى خليج عدن (4)، وعلى الرغم من أن الجبال تشكل عوائق طبيعية بين السهول والهضاب، إلا أن

(1) بردويل، فرناند، البحر المتوسط، ترجمة، عمر سالم، تونس، 1990، ص 57.

(2) إيوار، " مادة الدردنيل "، دائرة المعارف الإسلامية، مج9، ص 192؛ مادة المنذب، مج13، ص243.

(3) الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، بيروت، 1995، ص 29 .

(4) سيار، الجميل، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ص 300؛ جودة حسنين، وعلي هارون، جغرافية الدول الإسلامية، ج5، ص 569.

الفرضيات التي تفصل بين سلاسلها تفسح المجال لتنفيذ من خلالها الطرق التي تصل بين شتى المناطق، أما الصحاري كصحاري شبه الجزيرة العربية (الربع الخالي والنفوذ) وصحاري إيران (صحراء لوت وصحراء كوير)⁽¹⁾، إضافة إلى بادية الشام، فعلي الرغم من جفافها وقساوة مناخها، إلا أنها كانت وما تزال تسمح بمرور الطرق التجارية، متخذة من واحاتها مناطق للراحة ومحطات للتنميين .

بعد هذا العرض المختصر لتضاريس المنطقة المعنية بالدراسة، يمكن الحديث عن أهم الطرق التجارية المارة بها .

- الطريق الأول :

وهو أقدم الطرق وأشهرها، ويربط بحر الصين والهند عبر المحيط الهندي ثم الخليج العربي، ثم فروعه النهرية والبرية من البصرة إلى بغداد عبر مجاري الأنهار، ومن بغداد تتفرع طريقان بريتان الأولى تتجه شمالاً نحو ديار بكر، والثانية تتجه غرباً إلى دمشق، ومنها إلى العراق ثم الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، ويتبع هذا الطريق الساحل جنوباً باتجاه مصر، فيمر بعكا وغزة ويخترق صحراء سيناء، وصعوداً حتى القاهرة، ومنها نزولاً عبر النيل إلى الإسكندرية⁽²⁾، ومن دمشق يتفرع طريق بري شمالاً إلى حلب ومنها إلى آسيا الصغرى، حيث يلتقي بالطرق القادمة من وسط آسيا باتجاه القسطنطينية، ومنها إلى أوروبا عبر البلقان⁽³⁾، وقد فقد هذا الطريق اتصاله بالطرق القادمة من وسط آسيا خلال غزوات المغول في القرن الثالث عشر،

(1) جودة، حسنين، علي هارون، جغرافية الدول الإسلامية، ج 5، ص 595 .

(2) خادم، سمير علي، الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرقي البحر المتوسط 1450-1517 (رسالة دكتوراة)، دار الريحاني، 1989، ص 37؛ الصيرفي، نوال حمزة، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، ص 42.

(3) خادم، سمير علي، الشرق الإسلامي والغرب المسيحي...، ص 37-38.

ثم عاد للاتصال بعد ذلك عندما سيطر العثمانيون على آسيا الصغرى، وأمنوا الطرق المارة بها، حتى أصبح يمثل الطريق الاحتياطي للتجارة الشرقية كلما تعطلت الطرق الأخرى⁽¹⁾.

الطريق الثاني :

طريق بحري يمتد من سواحل الصين، ويدور حول شبه القارة الهندية، ثم يجتاز ليصل إلى البحر المتوسط عبر البحر الأحمر، تتخلله بعض الفواصل البرية في مصر وبلاد الشام، وسرعان ما ينتهي إلى حوض البحر المتوسط من جهته الشرقية ليصل الشرق الآسيوي بالغرب الأوروبي⁽²⁾، وعليه كانت السفن الآتية من الصين تبحر من سيلان الواقعة قبالة الطريق الجنوبي لشبه القارة الهندية و في شهر سبتمبر عندما تهدأ الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، يسير الطريق صعوداً صوب الشمال بمحاذاة الشواطئ الغربية لشبه القارة الهندية، ليصل إلى جزيرة ديو على سواحل إقليم كجرات في شمال غرب الهند، ومن ديو تسير السفن إلى ديبيل على شواطئ باكستان حيث تردها السفن الآتية من الصين والشواطئ الجنوبية للهند، ومنها تسير السفن إلى إقليم مكران قبالة عُمان، ثم تقطع السفن خليج عمان لتصل إلى مسقط الواقعة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية ثم إلى عدن، حيث يلتقي هذا الطريق بالطريق البحري الآتي من زنجبار على الشاطئ الشرقي الأفريقي⁽³⁾، ثم تتجه إلى جدة، ومنها يتفرع الطريق إلى فرعين الأول يسير إلى دمشق ثم حلب، حيث يلتقي مع الطريق العام من

(1) فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة 1973، ص 118.

(2) Mccarthy, Justin, op. cit. p 90.

(3) حلاق، حسان، مدن وشعوب إسلامية، بيروت، (د.ت)، ج4، ص 403 ؛ الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج5، ص 64.

الشرق والذاهب إلى سواحل بلاد الشام فأوروبا، أما الثاني بحري يسير إلى ميناء السويس عبر خليج ضيق، ثم يبدأ طريق بري ينحرف إلى جهة الغرب ليصل إلى القاهرة ومنها إلى الإسكندرية نقطة الاتصال المباشرة مع أوروبا، حيث كانت بوابة مصر بالنسبة للتجار الغربيين⁽¹⁾.

الطريق الثالث :

أما الطريق الثالث الرئيسي، فهو طريق بري من وسط آسيا ومن الهند عبر جبالها وممراتها إلى الأتيل ويتقابل مع القوافل الوافدة من الصين، ثم يسيران معاً حتى بخارى حيث يتفرع فرعان الأول إلى بحر قزوين فنهر الفلجا وبلاد البلغار، والثاني يتجه إلى البحر الأسود وموانيه، ثم القسطنطينية وأوروبا وتخرج منه فروع جانبية إلى حلب وساحل البحر المتوسط، وآخر إلى بغداد وديار بكر⁽²⁾.

بالرغم من سيطرة القوات العثمانية على هذا الطريق قبل سقوط القسطنطينية، فإن التجارة لم تتوقف منه، بل وصلت قوافل الصين والهند حاملة معها الأنسجة المطرزة والسجاد من إيران (شيزار وأصفهان) وكردستان وما بين النهرين والجلود والفراء والحنطة، والعبيد من بلاد البلغار عن طريق نهر الفلجا لتتقابل مع السلع الواردة من الشرق الأقصى، وتتجه إلى آسيا الصغرى، ثم إلى البحر المتوسط أو القسطنطينية وأوروبا، والقادة في هذه التجارة هم تجار البندقية وجنوه وفلورنسا، وآخر نقاط وصولهم شرقاً هي مصب نهر الفلجا، عند تقابل طرق الشرق والوسط والشمال ويقومون بعد ذلك بنقلها إلى القسطنطينية أو مواني الشام⁽³⁾.

(1) فهمي، زكي نعيم، طرق التجارة الدولية، ص 132.

(2) المرجع نفسه، ص 154.

(3) المرجع نفسه، ص 155.

الطريق الرابع .

أطلق عليه العرب قديما طريق خراسان العظيم، وهو طريق بري يأتي من حدود الصين، مبتدئا من طشقند من بلاد ما وراء النهر " نهر جيحون" إلى سمرقند ثم يتبع سيره إلى بخارى، التي تتلاقى فيها العديد من الطرق أهمها الطريق الذاهب إلى ترمذ والواصل إلى كابول عبر بلخ⁽¹⁾، ومنها إلى إقليم خراسان بإيران في أول محطاتها (مرو) ثم إلى سرخس، ومنها إلى مشهد (عاصمة الإقليم) حيث يلتقي مع الطريق الآتي من الهند عبر كابول وهرارة، ثم يسير إلى نيسابور التي تجتمع فيها البضائع الآتية من الهند والأخرى الآتية من الصين⁽²⁾، ولعل من أهم السلع المتاجر بها في هذا الطريق هو الحرير وبخاصة الحرير الإيراني .

التنافس من أجل احتكار تجارة الحرير :

اشتهر الحرير الإيراني بجودته منذ فترات تاريخية سابقة لظهور الدولة الصفوية ومن أشهر المدن التي تنتج الحرير : شيزار وأصفهان، إضافة إلى منطقة ديار بكر التي سيطر عليها الشاه إسماعيل سنة 1502 م، وصارت من أملاك الدولة العثمانية فيما بعد عام 1517 م، وفي عصر لم يكن فيه الاهتمام بالأرقام، يكون فيه من الصعب تقديم إحصاءات عن قيمة المنتجات أو الصادرات بالنسبة للحرير الإيراني، ولكن تؤكد بعض الدراسات أن صادرات الحرير لمنطقة ديار بكر وحدها تساوي مجموع الدخل العام للدولة العثمانية من ولاياتها في البلقان في سنة 1528 م، (حوالي 25 مليون أقة عثمانية)⁽³⁾ لذلك كان التنافس شديدا بين العثمانيين والصفويين في ظل احتياج صناعة أقمشة الحرير العثمانية للمواد الخام القادم من إيران .

(1) لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوريس عواد، بغداد، 1954، ص 474.

(2) الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج4، ص 209.

(3) السيد، سيد محمد، دراسات في التاريخ العثماني، القاهرة، 1996، ص 76؛ صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات الإيرانية، ص19؛ سلطان، علي، تاريخ العرب الحديث، ص20.

منذ السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر الميلادي، وصل الحرير الإيراني إلى جنيفوس " جزء من استانبول "(1)، معنى ذلك أن تجارة الحرير لم تصبح مشكلة في العلاقات بين العثمانيين والدول المتواجدة في إيران آنذاك (القره قوينلو، الاق قونيلو) بيد أن إقفال الحدود العثمانية أمام أتباع الأسرة الصفوية وكذلك التجارة سنة 1501 م شكل أزمة اقتصادية بين الطرفين (2) لاسيما عندما أتضح أن بورصة (Bursa) - أكبر المدن العثمانية في صناعة الأقمشة - كانت تعتمد بشكل أساسي على الموارد الخام في إيران (3).

وبفضل تجارة الحرير الإيراني نمت بورصة وازدهرت في ذلك الوقت ففي القرن الخامس عشر كانت صناعة الحرير الأوروبية قد توسعت وتحولت بورصة إلى سوق عالمي للحرير الخام، حيث كانت تباع خيوط الحرير الممتازة التي تنتج في اتسرباد وجيلان (شمال إيران) . وبدءاً من سنة 1501 م، كانت تصل قوافل كثيرة للحرير من إيران إلى بورصة ثم تنقل إلى إيطاليا عن طريق التجار الإيطاليين وبخاصة البنادقة، وفي الواقع كانت هذه التجارة مجزية لأن كل فردة (Fardello) (150 كيلو جرام) كانت تدر الربح في إيطاليا ما بين 70-80 دوقية ذهبية، وكانت القافلة الواحدة في المتوسط تحمل إلى بورصة مائتي " 200 فردة من الحرير "(4)، والجدول (في ص 220) يبين واردات الجمارك من الحرير في بورصة خلال عدة سنوات يمكن أن يتضح من خلالها حجم الاستيراد الكبير للحرير، رغم تشديد السلطان العثماني سليم الأول على إغلاق الحدود وتحريم التعاون مع التجار

(1) بيكولوسايا، ن . و، تاريخ إيران أزرد وار باستان نايابان، ص 490.

(2) مانتران روبيير، الدولة العثمانية، ص 164.

(3) Inalcik . Halil ,Bursa And The Commerce Of The Levant , Journl Of Econ Omicand (3)

Social History Of Orient . Vol III . 1960,P 52.

(4) اينالجيک، خليل، تاريخ الدولة العثمانية، ص 173.

الإيرانيين، فإن الأرباح الهائلة من تجارة الحرير الإيراني، قد أغرت العديد من التجار والقادة العثمانيين بالتعاون مع الإيرانيين، فالوثائق التي أطلع عليها (د. فاروفي) تؤكد تورط الحاكم الكري لبنتيس إدريس البدليسى - حليف السلطان سليم - في تجارة الحرير الإيراني، وكذلك الحال لحاكم ديار بكر محمد باشا⁽¹⁾.

ثمة احتمال أن القصر العثماني وكذلك الوزراء وحكام الولايات هم المشتري (الزبون) الرئيسي للحرير، حيث كانوا يرتدون الملابس المصنوعة من الحرير⁽²⁾، رغم ذلك فإن الإدارة العثمانية قد أصرت على إيقاف استيراده من إيران الصفوية بقصد السيطرة عليه ما أدى إلى تدهور العلاقات بين الدولتين⁽³⁾ وبخاصة أن الحرير الإيراني المصدر إلى أوروبا⁽⁴⁾، يمكن أن يخضع للسيطرة العثمانية عبر طرق تقليدية .

فقد كانت تجارة إيران الخارجية تعتمد بشكل كبير على الحرير الإيراني - ذي الشهرة العريضة في أوروبا - وكانت قوافل الحرير تتخذ الطرق التالية .

- الطريق البري عبر العراق والشام، ومن الشام تنقل بحراً إلى أوروبا .
- الطريق الثاني طريق بحري حيث يرسل الحرير إلى ميناء هرمز في جنوب الخليج، ومنه إلى المحيط الهندي، أما باتجاه الهند أو باتجاه أوروبا عبر راس الرجاء الصالح .

(1) Faroghi . Suraiga , Making Alivinc In The Ottoman Lands ,1480.to 1820.p121.

(2) Idid . P117.

(3) Inalcik . Halil . Eincyclopadia O f Isalm , Luzac, London , 1971 , VolIII, P213.

(4) كان يهدف العثمانيون حرمان الصفويين عدة الحرب من أوروبا، فقد كانت إيران تعتمد على تجارة الحرير في صادراتها إلى الغرب الذي يقوم بمقابلتها بالحديد والنحاس، الجميل، سيار، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ص 81-82.

- الطريق الثالث عبر الأراضي الروسية ومنها إلى أوروبا⁽¹⁾.

ولئن كان الحرير الإيراني ينقل من تبريز إلى أوروبا عبر الطريق الثاني والثالث فإن بعضه يغزل في مغازل بورصة والباقي تتسمله أوروبا في شكله الخام وأن الدولة الصفوية قامت دولة داخلية لا شواطئ لها تطل على أوروبا، وإن الدولة العثمانية قد قامت في الأناضول، وكانت في يدها مقاليد التجارة العابرة من أوروبا إلى الشرق وبالعكس، كل ذلك يوضح الأهمية الاقتصادية للأناضول بالنسبة للصفويين لاسيما المراكز التجارية منه، لذا كانت المناطق - في الأناضول - التي ذكرت آنفاً أهم ما استهدفته الهجمات الصفوية عبر تاريخ الحروب الصفوية العثمانية⁽²⁾.

لقد كان بمقدور الدولة العثمانية أن تتحكم بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالطريقين الأولين، فقد لجأ السلطان سليم إلى استخدام الحصار التجاري كسلاح من أسلحة الحرب ضد الصفويين، كما لجأ إلى مصادرة البضائع الفارسية من أيدي التجار العرب والترك والفرس، كما أنه حرم استيراد الحرير الفارسي وبيعه، وفرض الغرامات على الذين يقبض عليهم وهم يبيعونه⁽³⁾، فيروى صاحب المنح الرحمانية " أن السلطان سليم خان كان ذاهب إلى مدينة أدرنه فسبقه المفتي، فلقى في الطريق أربعمئة رجل مشدودين بالحبال فسأل عن حالهم، فقالوا إنهم خالفوا أمر السلطان، وقد اشتروا الحرير، وكان قد منع السلطان من ذلك"⁽⁴⁾، فكان لهذه التدابير الاقتصادية نتائج عسكرية ظهرت في المعارك الأولى بين الطرفين .

-
- (1) جمعة، بديع محمد، الشاه عباس الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص 84.
 - (2) هريدي، محمد عبد اللطيف، الحروف العثمانية الفارسية أثرها في انحسار المدى الإسلامي عن أوروبا، دار الصحوة، القاهرة، 1987، ص 45.
 - (3) ولسون، روبرت، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية، ترجمة عبد الرحمن الجليلي، الرياض، 1983م، ص 60.
 - (4) الصديقي، محمد بن أبي السرور، المنح الرحمانية، ص 94.

أما في مطلع عهد السلطان سليمان، فقد أدركت الدولة أهمية الحرير وطرقه كسلاح سياسي ضاغط، فبذل الاتجار به، وخطر العبور به على الطرق الخاضعة للسيطرة الصفوية، لجأ السلطان العثماني إلى خوض حروب ضد الشاه الصفوي طهماسب (1524-1576م) للضغط باتجاه الاستفادة من مناطق الحرير الفارسية وتجارة المحيط الهندي⁽¹⁾.

الروابط الاقتصادية وتوظيفها :

إن الوعي العثماني لأهمية الحرير الإيراني، كمصدر لرسوم الجمارك كان يتوافق مع أزمة اقتصادية في الداخل العثماني، كان أحد أسبابها التي ترتبت على اكتشاف رأس الرجاء الصالح تحول التجارة (المتوسطة) إلى المحيطين الأطلسي والهندي، فلجأ السلطان العثماني سليمان إلى العلاقات الأوروبية لحل بعض وجوه الأزمة الاقتصادية، فعقد أول معاهدات الامتياز الأجنبية مع فرنسا سنة 1536 م، وبموجبها شجع السلطان العثماني التجار الفرنسيين على ارتياد الأسواق العثمانية والاتجار فيها⁽²⁾.

ويلاحظ أن الدولة العثمانية عانت من أزمة اقتصادية أخرى، تفاقمت ابتداءً من النصف الثاني من القرن السادس عشر، بسبب تدفق كميات الذهب والفضة من جنوبي أمريكا إلى المدن الإيطالية، وبخاصة جنوة، ومنها إلى الولايات العثمانية، ما كان له تأثيره على انخفاض قيمة العملة (الاقجة) وارتفاع أسعار السلع والحاجات الغذائية بالنسبة للمستهلك العثماني، وتدهور تدريجي في الحرف والصناعات المحلية، ولقد حاولت

(1) ولسون، روبرت، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية، 1983، ص 62.

(2) المحامي، محمد فريد بك، الدولة العلية العثمانية، ص 91؛ متولي، أحمد فؤاد، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، إسطنبول، القاهرة، 2002 م، ص 268-274.

الدولة العثمانية أن تعوض عن انخفاض قيمة عملتها بالنسبة للذهب والفضة الأوروبيين من خلال الاستفادة من السوق الإيراني، لكن الصفويين أصرّوا على تحديد سعر الحرير وفقاً لسعره العالمي (1).

لقد كانت السياسات التي اتبعتها الطرفان لحل مشاكله الاقتصادية الخاصة، تتضارب فتؤدي إلى تجديد القتال للسيطرة على الممرات البحرية وطرق المواصلات المؤدية إليها، من الأناضول الشرقي حتى الخليج العربي، مروراً بديار بكر، الموصل، حلب، بغداد، والبصرة، وهذا ما يمكن توضيحه باستقراء مناطق الصراع، والتي ستوضح وبشكل جلي الأهمية الاقتصادية للصراع، إن الصراع بين الصفويين والعثمانيين تركّز بشكل أساسي على بعض مناطق الأناضول الشرقي (أرضروم، تبريز) وعلى العراق (الموصل، بغداد)، حيث إن المنطقة الممتدة من الموصل إلى أرضروم تعتبر المدخل الرئيسي للفتاحين القادمين من الشرق أو من الجنوب للاستيلاء على سهول الأناضول، ومن هذا المدخل كانت تتجه الطرق المؤدية إلى استانبول والبحر، وكان لابد للجيوش والتجار القادمين من أرمينيا أو أذربيجان، وهم يقصدون الأناضول من أن يمرّوا بأرضروم، وكانت هذه تتصل بتبريز وغيرها بسيواس وديار بكر والموصل وبغداد والبصرة إلى الخليج العربي، ومن ديار بكر كان يتفرع طريق موصل إلى حلب والإسكندرية على البحر المتوسط، كما يتفرع منه طريق بري مؤدٍ إلى استانبول (2)، من جهة أخرى كانت الموصل هي المنفذ الآخر المهم للوصول إلى الأناضول وكذلك إلى حلب والبحر المتوسط، ويضاف إلى هذا أن الموصل هي أيضاً منطقة الاتصال بين

(1) ولسون، روبرت، المرجع نفسه، ص 77-89 .

(2) كوثراني، وجيه، الفقيه والسلطان (دراسة في تجربتين تاريخيتين: العثمانية والصفوية -

القاجارية) ص 62-63

جبال كردستان الوعرة والسهول والصحاري التي تبدأ من جنوب الموصل وتمتد حتى الخليج⁽¹⁾. ونظراً للأهمية الاستراتيجية التي يشكلها هذا الامتداد الجغرافي ابتداء من محور أرضروم وتبريز إلى الموصل ببغداد، البصرة، فالخبيج، أو ابتداء من ديار بكر إلى حلب، فالاسكندرونة، أي إلى الشاطئ المتوسطي لبلاد الشام . فإنه كان من الطبيعي أن يتركز الصراع بين الدولتين (نواة إحداهما في القسم الغربي من آسيا الصغرى (الروملي)، ونواة أخرى في فارس) في هذا القسم المتوسط الواقع بين موطنين الدولتين⁽²⁾.

لقد كانت الدولة العثمانية في القرنين الأولين لتأسيسها - الرابع عشر والخامس عشر - توجه فتوحاتها إلى الجهة الغربية، تاركة الجانب الشرقي مفتوحاً لتواجد إمارات تركمانية ضعيفة وموالية أحياناً، أو ليست ذات خطر أحياناً أخرى، أما وقد لاح خطر الصفويين في مطلع القرن السادس عشر، عبر قدرتهم على تجميع القبائل التركمانية في قوة عسكرية ضاربة، فإن السيطرة على الجانب الشرقي من الأناضول وعلى امتداده الجغرافي الجنوبي في العراق وبلاد الشام، تصبح ضرورة إستراتيجية قصوي وهي الضرورة التي وعها بشكل أساسي السلطان الأول سليم الأول، فاحتل تبريز 1514 م، ثم عاد فألتفت على ديار بكر وكيلىكيا وحلب مكملاً احتلال سوريا ومصر (1516-1517 م)⁽³⁾، ومشكلاً بذلك حزاماً إستراتيجياً غربياً عميقاً في مواجهة مشروع الدولة الصفوية الجديدة .

(1) ولسون، روبرت، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية، ص 51.

(2) كروزيه، موريس "إشراف"، تاريخ حضارات العالم، ترجمة يوسف داغر، منشورات عويدات، بيروت، (د.ت)، ج6، ص 568 ؛ "حرب إيران 920هـ"

WWW . Islampedia . com

(3) كواثراني، وجيه، الفقيه والسلطان....، ص 63- 64 .

المبحث الثالث

الأسباب السياسية للصراع

- دور السلاطين والشاهات في اندلاع الصراع .
- الرغبة في تزعم العالم الإسلامي .
- إيواء الصفويين للأمير مراد .

كان هناك سباق سياسي بين القوتين الصفوية والعثمانية للاستحواذ على منطقة الشرق الإسلامي عامة، والشرق العربي بخاصة ومضتا تسارعان في تحقيق طموحاتهما السياسية في توسيع دولتهما، وقد غدا ذلك السباق سبباً أساسياً من أسباب تفجر الصراع، و لمعرفة الأسباب السياسية وراء اندلاع الصراع الصفوي العثماني ينبغي مناقشة مجموعة من النقاط التي تضافرت مع بعضها البعض، و أثرت على علاقة الطرفين وأدت في نهاية المطاف إلى تفجير واستمرار الصراع بينهما، ولعل أولها وجود ثلة من القادة على رأس كل دولة أسهمت بشكل واضح في الصراع .

أولاً : دور السلاطين والشاهات في اندلاع الصراع .

مما يلاحظ أن فترة الصراع الصفوي العثماني، شهدت ظهور عدد من السلاطين والشاهات، ارتفعوا إلى مستوى المسئوليات، وهيات لهم ظروف دولهم التوسعية مجالات الشهرة في فترة كان فيها السلطان أو للشاه دور كبير في رسم وتغيير سياسة الدولة باعتباره أعلى سلطة في الدولة، إضافة إلى دور شخصيته، سواء أكانت قوية شديدة، أم كانت جذابة تجيد جذب الأنصار والمؤيدين، وإقناعهم بأفكارها، وهكذا كان القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري، عصر عمالقة بين السلاطين والشاهات، اوجدتهم ظروف الصراع ومجابهاته .

- السلطان العثماني بايزيد الأول 1512/1481 م .

هناك اتجاه شائع في الكتب التاريخية، يركز على وصف بايزيد الأول بأنه سلطان مسالم، أراد أن يهدي المنطقة من تيار الحرب الجارف الذي لفها خلال القرن الخامس عشر الميلادي، وتصفه بأنه ولي صوفي، وأديب محب للسلم وملحن وخطاط، وهو أعلم بني عثمان بعد أبيه محمد الفاتح⁽¹⁾، ومع أن بايزيد كان مستعد لشن الحرب إذ تصور أنها مجدية، مثلما فعل مع المجر ومع بولنده، وضد إيطاليا ومماليك مصر، فلا شك أنه كان ينظر إلى الأمور بعين تختلف عن أبيه محمد الفاتح، الذي كان يستعمل القوة في تصفيته الجيوب المعادية في دولته أو حولها، أما وقد توصلت الدولة إلى حدود ثانية، فالأجدى أن يبذل الجهود لصيانتها وتقويتها حتى لا يصبح هذا الاتساع عبئاً على الدولة نفسها، ولعل هذا هو الذي جعله يسعى إلى التفاهم ودياً مع القوى العديدة المجاورة له⁽²⁾.

الشيء المهم هنا والمتعلق بدور بايزيد في الصراع الصفوي العثماني يختص بالفترة المتعلقة ببداية الدولة الصفوية، إذ إنه لم يوقف هذا التوسع - كما فعل ابنه سليم لاحقاً - ففي الوقت الذي تعدى الشاه إسماعيل على إمارة ذي القدر " على الحدود بين العثمانيين و الصفويين والمماليك " واحتل بغداد والموصل سنة 1508 م، وبث دعائيه إلى داخل الأناضول العثمانية⁽³⁾، لم يقم بايزيد بعمل حاسم يوقف الزحف الصفوي المطرد، مكتفياً

(1) الصدفي، رزق الله، تاريخ دول الإسلام، ص 109-110؛ النهر والي، الإعلام بإعلام بيت الله الحرام ص 91؛ أضاف، عزتو يوسف، تاريخ سلاطين بن عثمان، ص 55؛ مطران، خليل، مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام، دار نظير عبود، بيروت، 1995، ص 340؛ مهنا، محمد نصر، السلام في آسيا، ص 137؛ حاطوم، نور الدين الموسوعة التاريخية الحديثة، ص 335.

(2) نوار، عبدالعزيز، الشعوب الإسلامية، ص 67.

(3) يحي، جلال، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 1989، ص 105، 106؛ بيكولوسايا، ن، م، تاريخ إيران أز دوارن باستان تايايان سدة هيجهدم ميلادي، ص 474؛ نوار، عبد العزيز، العلاقات العراقية الإيرانية، دار الفكر العربي، 1974، ص 11.

بعض الإجراءات الاحترازية، كإرساله جملة صغيرة 1511م، ضد أنصار الشاه إسماعيل في الأناضول " شاه قوللي" (1) وإقبال الحدود مع الصفويين - كما ذكر سابقاً- وبعث رسالة إلى الشاه إسماعيل في نفس السنة جاء فيها "أيها الشاب قليل التجربة اسمع نصيحة من والد، لا ترق دم المسلمين من أجل قبول مذهبك الجديد... واجعل طريق أجدادك العظام أنار الله برهانهم منهجاً لك.."(2)، وكان الشاه إسماعيل قد بعث إليه برسالة أستهلها بقوله: "أبي المبجل والمعظم"(3).

إن هذا التصور بخصوص موقف بايزيد من (الخطر الصفوي) وعدم تحركه لوقفه بشكل حاسم، لا يمكنه الصمود لفحص جدي لملاسات تلك الفترة أولاً إن بايزيد قد انشغل كثيراً بما عرف بقضية "جم" وهو ابن محمد الثاني أخو السلطان بايزيد، ومنافسه على الحكم الذي تحالف مع فرسان رودس، الأمر الذي اضطر بايزيد إلى عقد اتفاقية مع فرسان رودس، ودفع لهم خمسة وأربعين ألف قطعة ذهبية، مادام أخوه جم مستقراً في ضيافتهم أي: تحت الإقامة الجبرية(4)، ما جعل جم في كثير من الأحيان ورقة ضغط بيد الدول الأوروبية على السلطان بايزيد الثاني، ثانياً بسبب خشيته من أن تغري الدعوى الصفوية أفراداً عديدين من جيشه(5) وإدراكاً منه للدعم الذي كان يحظى به الشاه إسماعيل بين العديد من تركمان الأناضول، فضل أن يتحاشى مواجهة مباشرة مع الصفويين(6)، وليس بسبب ما قيل: إنه يحمل بعض التعاطف إزاء الدعوة الصفوية والوعاظ الصفويين(7).

(1) Potter . G . R . op . cit , p 406.

(2) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 72.

(3) يلماز، اوزتونا، الدولة العثمانية، ص 205.

(4) Kinyoss . Lord. The Ottoman Centuries , Therise And FallOf The Turkish Empier ,

Morrow Ouill Paper Backs . 1977, p 162- 163

(5) بدر الدين، الخصوصي، " الدولة الصفوية في مواجهة التحديات"، ص 145 ؛ Shaw .

Stanfrd. Op. cit p78.

(6) Allouche . Adel . op . cit . p.69

(7) Kinross . Lord . op . cit . p 166

مهما كان الأمر، فإن بايزيد الثاني قد تصرف بحسب ما تمليه الظروف، بيد أن سياسة بايزيد هذه قد مكنت الدولة الصفوية من التوسع ومد نفوذها في مناطق حدودية مع العثمانيين بل وصل دعائها إلى داخل الأناضول نفسها، وبهذا الأمر مهد بايزيد بطريقة غير مباشرة لقيام دولة صفوية قوية، لتصبح ند (آل عثمان) وبسبب الخطر الصفوي، إضافة إلى كبر سن السلطان بايزيد الثاني، دخل أبناؤه الثلاثة أحمد، قوقورد، وسليم، في منافسة على العرش العثماني انتهت بوصول أصغرهم (سليم) للحكم .

- السلطان العثماني سليم الأول 1512/1520 م .

لئن كان السلطان العثماني سليم الأول أهم محركي الصراع الصفوي العثماني، فإن الصراع نفسه قد أوصل هذا السلطان إلى السلطنة في الدولة العثمانية أثناء صراعه مع إخوته على العرش .
إن القضية في الواقع كانت نزاعاً بين أحمد حاكم أماسيا، وسليم حاكم طرابزون، بعد استبعاد قوقورد⁽¹⁾، في الظاهر الأمير أحمد هو الذي كان ليصبح سلطاناً، وبدأ والده بايزيد يميل باتجاه وليس لسليم، وشاطره هذا الرأي مجموعة متنفذة من كبار المسؤولين، بيد أن سليم كان له أرجحية واحدة كبيرة على أحمد هي ولوعه بالحرب وشخصيته الحازمة، فقد كان محبوباً لدى الانكشارية⁽²⁾.

استعد سليم ببعد نظر كبير لساعة الأزمة، ففي طرابزون بنى قوة كبيرة قادها في هجمات أدت إلى انتصارات على الأراضي الصفوية بين

(1) كان للأمير قوقورد ايتنان، ومات له ايتنان، وهما طفلان، أي أنه بلا وريث وكان ذلك يضعف حق ادعائه بالعرش، فاقصر الصراع بين أحمد وسليم، يلماز أوزوتونا، الدولة العثمانية، ص 207-214.

(2) Parry. V. J. O p.Cit , p. 66.

سنتي 1505 / 1510م، إلى الحد الذي ألفت فيه قصائد شعبية مثل سر سلطاني سر، اليوم يومك، بذلك أثبت فعلياً قدرته على اتخاذ التدابير، ففتح طريق العرش أمامه⁽¹⁾، لاسيما عندما أشيع أن الأمير أحمد طلب تحالفاً مع الشاه إسماعيل، وهذا وحده من شأنه أن أثار مخاوف تدخل صفوي محتمل، وكان كافياً لجلب سليم إلى العرش⁽²⁾.

في مارس 1512 م، طلبت القوات الانكشارية أن يُستدعى سليم لقيادتها، وفي هذا الأثناء كان سليم يقترب بكل سرية، وفي 19 أبريل 1512 عسكر خارج العاصمة، ثم اجتمع بأبيه السلطان وبقيادة الجيش والعلماء، أظهر الكل المودة والاحترام للسلطان، لكنهم أبلغوه بان الحل الوحيد هو جلوس سليم على العرش⁽³⁾، وفي 24 من نفس الشهر أعلن السلطان بايزيد تخليه عن العرش لابنه سليم، وكان سليم راعياً في إقامة والده في السراي القديم، لكن بايزيد رغب في الإقامة في سراي ديمتوكا (Dimetroka)، لكنه مات في 26 مايو قبل أن يصل، ونقل جثمانه إلى استانبول ودفن في قبره قرب الجامع الذي شيده⁽⁴⁾. إن السلطان سليم ذو شخصية قوية، وهو عسكري بطبعه لذا كانت نظرته إلى القضايا كلها من وجهة نظر عسكرية، فيرى أن الأمور المستعصية لا تحلها إلا القوة وهذا ما جعل العسكريين يحبونه ويعملون على تسلمه السلطة⁽⁵⁾، فقد لقب وهو على قيد الحياة بالياووز

(1) يلماز، اوزتا، الدولة العثمانية، ص 206 ؛ Potter . G . R , Op. Cit p407.

(2) Parry . V . J , Op.Cit , p 69.

(3) النهر والى، قطب الدين، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص 96 ؛ المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية، ص 72 ؛ كرامرز، " سليم الأول "، دائرة المعارف الإسلامية، مج 12، ص 121 - 131 .

(4) البديسي، شرف خان، شرفنامه، ج2، ص134؛ الرمال، محمد بن الرنيلي، سيرة السلطان سليم خان، ص 17.

(5) (الدولة العثمانية : سليم الأول 926/918هـ) WWW. Altareekh. Com

(الرهيب)، ويصفه الشوكاني بأنه "سلطاناً عظيماً شديد البطش عظيم الهولة، سفاكاً للدماء، طائش السيف"⁽¹⁾، وكان الرجل في أيامه لا يطلب لخصمه كارثة أشد من أن يدعو الله بأن يجعله من وزراء السلطان سليم لأنهم قلما كانت تمتد بهم آجالهم شهراً واحداً، بعد إسناد المنصب المشؤوم، كما يسميه أحد المستشرقين⁽²⁾، بقدر ما ان (العلاجات الكبرى) التي لجأ إليها للانتصار على (الأمراض الكبرى) كانت شديده الحدة، وصحيح أن السلطان كان رجلاً سريع الغضب، يضرب وزراءه أحياناً بقبضة يده، وصحيح أن رؤوس وجهاء كبار قد طارت بشكل أكثر مما هو معتاد، لكن السلطان كان مؤمناً بصرامة العقوبات التي لم يكن بالإمكان اعتبار ضحاياها أبرياء⁽³⁾، وبذلك أُنذر مجيء السلطان العثماني سليم الأول للحكم بتصاعد التأثير بين العثمانيين و الصفويين⁽⁴⁾.

- السلطان العثماني سليمان القانوني 1566/1520⁽⁵⁾.

توالى الحكم بعد موت والده السلطان الأول في شوال 926هـ، 22 سبتمبر 1520م، قبل ذلك كان حاكم ولاية أماسيه، وكان يمارس أحياناً في استانبول نوعاً من النيابة الشرفية عندما كان والده يخوض حملاته في أماكن بعيدة، وضع عدة قوانين تتعلق بالإدارة، لذلك لقب عن جدارة

(1) الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ص 265.

(2) مؤلف مجهول، الاتراك العثمانيين، ص 35.

(3) يلماز، اوزتونا، الدولة العثمانية، ص 208.

(4) Allouche. Adel, op. cit. o 66

(5) السلطان سليم متمم العدد التام، كان سلطان السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان واعتلي العرش عند مستهل القرن العاشر الهجري، ولهذا السبب، ولأسباب عشرية أخرى - أي أن تاريخها وقع في الرقم العاشر - لقبه شعبه متمم العدد التام، زين، نور الدين، نشؤ القومية العربية، دار النهار، بيروت، 1972، ص 176.

بالقانوني، بينما لقبه الأوروبيون "العظيم"، خاض أكثر من ثلاثة عشر حرباً قاد معظمها بنفسه⁽¹⁾. في الفترة الأولى من حكمه نجح في بسط هيبة الدولة والضرب على أيدي الخارجيين عليها من الولاة الطامحين إلى الاستقلال، معتقدين أن صغر سن السلطان "26 سنة" فرصة سانحة لتحقيق أطماعهم، لكن فاجأتهم عزيمة السلطان التي لا تلين ففضى على ثمرد جان بردي الغزالي في الشام، وأحمد باشا في مصر، و قلندر جبلي في مرعش وقونيه، وتعددت ميادين القتال في عهده فشملت أوروبا وآسيا وأفريقيا، فقد استولى على بلجراد سنة 1521، وحاصر فينيا 1529 م، دون أن يتمكن من فتحها، وضم إلى دولته أجزاء من المجر بما فيها عاصمتها "بودا" وجعلها ولاية عثمانية، وفي أفريقيا دخلت ليبيا والقسم الأعظم من تونس وارتيريا وجيبوتي والصومال، ضمن نفوذ الدولة العثمانية⁽²⁾.

أما في آسيا "الشرق" قام السلطان بثلاث حملات كبرى ضد الدولة الصفوية، فقد كان القانوني يدرك - كوالده سليم - الخطر الصفوي على الحدود الشرقية للدولة العثمانية، لهذا لم يؤثر موت السلطان سليم على توتر العلاقات العثمانية الصفوية بشكل كبير، ولم يقلل من المجاهبات العسكرية بين الطرفين، فسلیم - رغم كثرة حروبه - قام بحملة كبرى واحدة ضد الصفويين، بينما الثانية لم تحدث البتة بسبب موته⁽³⁾، أما السلطان سليم فقام بثلاث حملات كبرى ضدهم، ابتدأت الأولى في سنة 941هـ - 1534، نجحت في انتزاع العراق من الصفويين، واحتل بموجبها السلطان

(1) أضاف، عزتلو يوسف، تاريخ سلاطين بنى عثمان، ص 61/60؛ عامر، محمد علي، الدولة العثمانية، ص 147؛ كرامرز، المرجع السابق، ص 146 - 158.

(2) أحمد تمام، سليمان القانوني وقمة عهود الدولة العثمانية (WWW.Islam - onlin. Net).

(3) أكمل الدين إحسان أوغلي، "العرب في ظل الرابطة العثمانية"، العلاقات العربية التركية من منظور تركي، معهد البحوث والدراسات العربية، ج2، 1993 م، ص 85 - 86.

بغداد، فسمى بفتح بغداد، وكانت الثانية سنة 955هـ / 1548م ضمت إلى أملاك الدولة العثمانية تبريز وقلعتي وان وأريوان، أما الحملة الثالثة والأخيرة سنة 962هـ / 1555م، أجبرت الصفويين على الصلح وموافقتهم بأحقية العثمانيين في كل من إيوان وتبريز وشرق الأناضول⁽¹⁾.

- الشاه إسماعيل الصفوي 1501/ 1524م .

كان إسماعيل رجل حرب ويعرف جيداً كيف يجمع أعوانه، ويضع نظم الحرب والإدارة فقد استطاع أن يؤسس دولة تقوم على أصول سياسية واقتصادية وإدارية، وقد استمرت هذه الدولة لمدة قرنين، وتمكنت من أن تلعب الدور الأكبر في تاريخ إيران، بفرضها المذهب الشيعي الاثني عشري، مذهباً رسمياً للإيرانيين⁽²⁾، وقد صبغ ذلك حضارة إيران بصبغة مميزة إلى يومنا هذا .

يصف كاترينوز سفير البندقية " فينسيا " في البلاد الصفوي الشاه إسماعيل فيقول " إن الشاه إسماعيل صاحب الثلاثة عشر ربيعاً الذي شرع في إقرار الأمن في ربوع بلاده، كان حسن القسمات .. لا أدري أي شيء عظيم ذلك الذي يختفي في عينيه، ويشير في كل وضوح إلى أن هذا الشخص سيصير ملكاً عظيماً يوماً ما ... وقد كان له ذكاء وافر وفكر ثابت لا يصدق في هذه السنين .. " ⁽³⁾، كما أنه استحوذ على إعجاب معاصريه من مؤرخي إيران كابن البزار⁽⁴⁾، فهو يجمع بين النقائص، إذ هو من جهة كان

(1) أحمد تمام، " سليمان القانوني وقمة عهود الدولة العثمانية " .

في [www. Islam-online. net](http://www.Islam-online.net)

(2) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية . في www.islam - online . net

(3) الشيباني، مجبر الدين، تشكيل شاهنشاهي صفوية، ص 95.

(4) وصف هذا المؤرخ الشاه إسماعيل فقال " في الحقيقة كان ذلك الملك نادرة الزمان وأعجوبة

الليل والنهار، لأنه خرج في حادثة من سن الصغر، وبن معين، محاولاً فتح الدنيا، فأسقط

عدة ملوك عظماء، جمعة، بدیع، أحمد الخولي، تاريخ الصفويين، ج 1، ص 05 " الهامش".

قاسياً متعطشاً للدماء، إلى حد يكاد لا يصدق، بينما كان من الجهة الأخرى وسيماً، ذا أخلاق رفيعة محبوباً من قبل جنوده إلى درجة العبادة، حتى إنهم كانوا يرمون بأنفسهم إلى ساحة الحرب من غير دورع مؤمنين بأنه يحميهم من الخطر عند القتال، كما كان يلقبه اتباعه بالمرشد العام أو الكامل⁽¹⁾. فتح عهد الشاه إسماعيل - بما أشتمل عليه من أحداث كبار - صفحة جديدة من تاريخ إيران، فقد جعل من نفسه شخصية بارزة ورجل حرب وسياسة، بإقراره الوحدة الوطنية والسياسية في داخل إيران وثبت مكانة مملكته، غير أنه ألحق ضرراً كبيراً بمنطقة الشرق الإسلامي، بتصعده حدة الصراع بين الصفويين والعثمانيين، وتجسيد الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة .

إن المؤرخ البريطاني توبيني، يجعل الشاه إسماعيل هو المسؤول عن انقسام العالم الإيراني (إيران، العراق، آسيا الصغرى) ففي داخل هذا العالم كان المذهب السني يعيش بسلام جنباً إلى جنب مع المذهب الشيعي، ولكن حركة إسماعيل الصفوي التي عملت على بث المذهب الشيعي عنوة أو بالقوة في آسيا الصغرى كما الدولة العثمانية . فقام النزاع بين الدولتين السنية والشيعة، وهذا النزاع قسم العالم الإيراني الموحد - حسب رأي توبيني - في ثقافته واتجاهاته الفكرية، إلى عالمين متنافرين أشد الفئور، عالم شيعي صفوي، وعالم عثماني سني⁽²⁾، وبذلك يتحمل الشاه إسماعيل من وجهة نظر توبيني مسؤولية انقسام العالم الإيراني .

إن الشاه إسماعيل كان من أولئك الرجال الذين يملكون مواهب نادرة - سلبية أو إيجابية - والمؤمنين أن القدر هيأهم للقيام بمهمة ما ، ويبدو أنه

(1) Browne. Edward , Aliteracy Aistory Of Persia . Combridge 1953 , Vol 4 . p 22 - 23

(2) توبيني، أرنولد، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، الأهلية، بيروت، 1982، ص 188 ؛ توبيني، أرنولد، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة محمد شبل، الدار الثقافية في جامعة الدول العربية، (د.ت)، ج3، ص 28.

حين قام بفرض التشيع وإعلان دولته، كان واثقاً بأنه مكلف بذلك من قبل قوة روحية عليا⁽¹⁾، وأنه كان يدعي أن هاتفا غيبياً يدفعه ويرشده في أعماله⁽²⁾.

من كل تلك الملاحظات المتعلقة بالشاه إسماعيل، يتضح مدى تأثيره في كيان

الدولة الصفوية التي أعلن قيامها، ودخل بها حرباً مع العثمانيين دامت أكثر من قرنين، فلا يدعو ذلك مجاًلاً للشك في أنه أحد أسباب هذه الحرب .

- الشاه طهماسب الأول 1524/ 1578 م .

في عام 1515م، أرسله والده الشاه إسماعيل إلى خراسان، ليتولى الإمارة فيها تحت وصاية خان موصلو، ولم يتجاوز العامين من عمره، ثم جلس طهماسب على العرش الصفوي عند وفاة والده سنة 1524، ولم يكن قد بلغ الحادية عشرة من عمره، وحكم إيران حوالي 54 سنة، ويعد من أطول الحكام المسلمين حكماً بعد الخليفة العباسي المستعصم بالله⁽³⁾، ونظراً لصغر سنه سيطر الزعماء القزلباش على زمام الأمور في البلاد، وظهرت المنازعات وتضاربت الأطماع وتعاضمت نفوذهم⁽⁴⁾.

(1) الشيبلي، كامل مصطفى، الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، 1962، ص 30-31.

(2) يذكر الشاه إسماعيل لمريديه أنه كان ينتهي إليه هاتف يتحرك بأمره، وبمقتضى أوامر الأئمة الاثني عشر، وأنه كان معصوماً، وليس بينه وبين المهدي فاصل، وأن ظهوره كان نبؤة نسبت إلى علي بن أبي طالب، على صورة بيت من الشعر منحول إلى الإمام، فسر مضمونه بأنه يشير إلى إسماعيل :

صبي من الصبيان لا رأي عنده و لا عنده جد و لا هو يعقل . المرجع السابق، ص 30 .

(3) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 107-138.

(4) البديسي، شرف خان، شرفنامه، ترجمة إلى العربية محمد علي عوني، دار إحياء الكتب العربية، بغداد 1962، ج2، 149؛ دار المعارف الإسلامية، مج 5، مادة طهماسب، ص 306.

إن قبائل القزلباش - التي يتكون من غالبتها الجيش الصفوي - كانت خاضعة ومسيرة من سيدها ومرشدها الكامل الشاه إسماعيل، وكن موته وتولية ابنه الصغير الحكم قد أطلق يدها في البلاد، وامتلك رؤساؤها الأراضي والعقارات، حتى صارت إيران تعرف (بمملكة القزلباش) (1)، ووصل الحد إلى أن أحدهم (القزلباش) فكر في اغتياله، وتنصيب أخيه "سام ميرزا" مكانه (2).

وليس ثمة ما يؤكد رغبة الشاه الجديد في الاستمرار على خط الشاه السابق في توسع حدود دولته بالطرق السابقة، ولئن تفرس هذا الشاه في الإدارة الملكية - لطول مدة حكمه - ويملك زمام الأمر وبدأ ينعم على القزلباش بالمناصب ويغدق عليهم الأموال، فإنه كان مضطراً إلى خوض الحروب للإنفاق على هذه الجموع، ولكبح جماحها أيضاً، قام بتفريق شملهم وتوزيعهم على إنهاء البلاد المختلفة (3).

بناء على ذلك يمكن القول أن سياسة طهاسب الداخلية قد أملت عليه في كثير من الأحيان الاستمرار في دخول الحروب سواء في المشرق ضد الأوزبك أم في الغرب ضد العثمانيين، وإن لم يكن مؤثراً كوالده في اندلاع الحرب مع العثمانيين فإن سني حكمه الطويلة (54 سنة) قد شملت جزءاً من الصراع الصفوي العثماني، الذي تكرر من أجل تزعم العالم الإسلامي .

(1) الخولي، المرجع نفسه، ص 108.

(2) مهدي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 28.

(3) طهاسب، " الشاه " تذكرة طهاسب، شروح ووقائع وحولات، زنتكاني شاه طهاسب صفوي، به اهتمام عبد الشكور، تهران، (د.ت)، ص 43 .

ثانيا : الرغبة في تزعم العالم الإسلامي .

قامت الدولة العثمانية في شمال غربي الأناضول في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، بعد أن انهارت دولة سلاجقة الروم بعد هزيمتها على أيدي المغول، وقامت على أنقاضها دويلات تركمانية متنافسة، لم تكن أقواها إمارة عثمان التي قبض لها أن تتوسع بصورة مطردة على حساب كل من الدولة البيزنطية المتداعية والإمارات التركمانية في الأناضول، وأن تعبر الدردنيل وبحر مرمرة وتبدأ في التوسع في البلقان، وظلت الدولة العثمانية تتوسع في أوربا وتحرز انتصارات باهرة متتالية على الحملات التي كانت ترسلها أوروبا لتدميرها في المهد إلى أن أمكنها في النهاية أن تسقط الدولة البيزنطية بعد أن استولت على القسطنطينية في عام 1453 م، وحقت أملاً طالما راود المسلمين منذ الفتوحات الإسلامية الأولى .

أدى هذا إلى ارتفاع مكانه الدولة العثمانية في العالم الإسلامي، بعد أن أصبحت أقوى الدول الإسلامية بخاصة وأنها كانت أول دولة إسلامية تستعمل الأسلحة النارية، التي قلبت موازين القتال لصالح من يستخدمها، ولقد حول محمد " الفاتح " القسطنطينية إلى عاصمة لملكه الممتد في أوروبا وآسيا، وذلك لتوسط موقعها، وحصانتها، وما لبث أن عرفت باسم استانبول " مدينة الإسلام " وأصبحت قاعدة لدولة إسلامية عالمية، فشيدت بها المدارس والمكتبات والتكايا والمؤسسات الخيرية، وغدت أبرز المراكز الثقافية في العالم الإسلامي⁽¹⁾.

ولما كان العثمانيون منذ نشأة دولتهم قد رفعوا راية الجهاد، فإنهم ما لبثوا أن اعتبروا أنفسهم ملزمين بالدفاع عن العالم الإسلامي بأسره ولذا أطلقوا على دولتهم بعد اتساعها اسم (دار الإسلام) وعلى سلطانهم بادشاه الإسلام

(1) Lewis . Bernard . The Emergence Of Modern Turkey , London , 1963 , p. 12.

(أمير الإسلام) وعلى جيشهم اسم جند الإسلام، وعلى كبير فقائهم اسم شيخ الإسلام، فشعروا بضخامة المسؤولية الملقاة على عاقبتهم باعتبارهم حملة رسالة الإسلام⁽¹⁾، وكان شعارهم الجهاد المستمر والتوسع الدائم لدار الإسلام حتى يغطي العالم أجمع⁽²⁾، بل إنهم أخذوا بالثقافة الإسلامية وأدخلوها بطريقتهم الخاصة في الإدارة والسياسة وذلك باعتبارهم مسلمين وورثة الحضارة الإسلامية⁽³⁾، فكان أحد أهدافهم العليا تزعم العالم الإسلامي .

في المقابل كانت الدولة الصفوية التي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي في إيران عام 1501 م، و أعلن في نفس السنة المذهب الشيعي الاثني عشري مذهباً رسمياً للدولة، إذ يعتقد أن يكون إنشاؤها هادفاً لمواجهة الدولة العثمانية⁽⁴⁾، وهذا ليس ببعيد عن الرأي الذي يذكره الدكتور بديع جمعة، حيث يعتقد أن الهدف من إعلان المذهب الشيعي هو التخلص من التبعية للعثمانيين حماة المذهب السني، الذي تقوم على دولتهم على أساسه، بل يذهب أبعد من ذلك عندما يقول " ولعل الخلاف العرقي بين الجنس الإيراني في إيران والجنس الطوراني (الأترك) عبر التاريخ، ذلك الخلاف الذي تزخر بأثاره الأساطير الإيرانية هو الذي دفع الإيرانيين للتفكير في اتخاذ المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لدولتهم الصفوية، وبذلك يجدون المخرج من الانضواء تحت العلم التركي العثماني حامى المذهب السني " ⁽⁵⁾، ملاحظة أن هذا الرأي يؤكد أن الهدف الصفوي من إعلان المذهب الشيعي، هو هدف سياسي بحث⁽⁶⁾.

(1) Lewis . Ibid , p. 13.

(2) Inalcik , Halil . The Ottoman Empire The Classical Age 1300-1600 . London , 1973 . p.7

(3) Ltzkowitz . The Ottoman Empire And Islamic Traddition , New York , 1972 , pp. 6-7 .

(4) خالد توفيق، " مناقشة في الفقه السياسي " www.Alwelayah.net

(5) جمعة، بديع محمد، العلاقات العربية الإيرانية، ص 335 .

(6) يجب الإشارة هنا إلى الرأي القائل بأن الدولة اصفوية قدمت نفسها كدولة عقائدية ومرتبطة بالأمامية الأثنى عشر بصورة روحية غيبية " نظرية : النيابة الملكية " www.Btinternet.

مهما يكن من أمر فإن الدولة الصفوية قد رأت في نفسها دولة إسلامية كبرى تسعى للسيطرة على المناطق الإسلامية المحيطة بها، كما فعلت مع الأوزبك في الشرق، والإمارة التركمانية الأخرى " أق قوينلو "، و بعد أن انتهت من ذلك كان عليها مجابهة الدولة العثمانية في الغرب، بخاصة أن الصفويين اعتمدوا على فكرة الحق الإلهي للملوك الإيرانيين قبل الإسلام، وذلك بوارثة هذا الحق باعتبارهم سادة وأن جدتهم الإمام الحسين علي بن أبي طالب، قد تزوج بنت يزد جرد، فأولدها الإمام زين العابدين، فاجتمع الحقان : حق أهل البيت في الخلافة، وحق الملوك الساسانيين فيهم، حسب اعتقادهم إضافة إلى نيابة الإمام المهدي⁽¹⁾، وبذلك عليهم مجابهة الدولة العثمانية في الغرب، سعياً لتزعم العالم الإسلامي .

والواقع أن الدولة الصفوية كانت تبذل جهداً كبيراً من أجل هذه الغاية لاسيما بعد سيطرتها على العراق، فسعى الشاه إسماعيل إلى دفع قواته من العراق إلى الشام، ولكنه كان يدرك أنه لا يستطيع أن يشق طـريقة بين الدولتين الإسلاميتين " العثمانية والمملوكية " ⁽²⁾. فإذا أراد أن يسيطر على المشرق العربي وبصفة خاصة على منطقة الهلال الخصيب، فعليه أن يتحالف مع الدول الأوروبية الكبرى المعادية لهما، لتحقيق هدفه⁽³⁾، حتى لو كان ثمن ذلك عودة قوة صليبية إلى المنطقة الإسلامية الذي بذل المسلمون من أجل تحريرها نفقات وخسائر لا تحصى ولا تعد⁽⁴⁾.

(1) جمعة، بديع محمد، العلاقات العربية الإيرانية، ص 335.

(2) Sykes. Percy , History Of Persia , Oxford , 1992 , p. 71

(3) جمعة، بديع، المرجع نفسه، ص 51 .

(4) إن ما حدث من مراسلات بين الدولة الصفوية، والدول الأوروبية، يعد أحد الأسباب المشجعة للصفويين في الدخول مع العثمانيين في حروب طويلة، خاصة بعد تأكيد هذه الدول بتقديم المساعدات العسكرية للصفويين، ولكن الباحث أرتا أن يتحدث عن هذه " العلاقة " في الفصل الرابع الذي يناقش تأثيرات الصراع على المشرق العربي، باعتبار إن هذا التعاون " الصفوي الأوربي " يعد أحد سلبيات وتأثيرات هذا الصراع أكثر من كونه سبباً .

لأن كانت تلك هي الأسباب السياسية الرئيسية لاندلاع الصراع الصفوي العثماني، فإن هناك مجموعة من الأحداث التي كان لها أثر في العلاقة بين الطرفين، ويبدو أنها قد أسهمت بشكل أو بآخر في تقريب تفجر الصراع. ⁽¹⁾ **التنافس على إمارة ذو القدر الحدودية:** إن أولى هذه الأحداث هو التنافس بين الطرفين - إضافة إلى المماليك - على النفوذ في إمارة ذو القدر الحدودية "في البستان ومرعش"، خاصة بعد أن دخلت الجيوش الصفوية الأراضي العثمانية إبان حربها مع هذه الإمارة 1507م⁽²⁾. ولئن كان الشاه إسماعيل قد سارع بإرسال خطاب إلى السلطان العثماني بايزيد وسفارة تعتذر عن انتهاك حرمة الأراضي العثمانية، فإن السلطان العثماني ظل متخوفاً من تحركات الشاه إسماعيل فأرسل جيشاً إلى أنقرة بقيادة يحيى باشا، ظل معسكراً هناك حتى عادت جيوش الشاه إسماعيل، وقد أدى استيلاء الشاه على أراضي إمارة ذو القدر⁽³⁾، أن ازداد قرباً من أراضي آل عثمان، فأخذ بايزيد في الاتصال بالسلطان المملوكي قنصوره الغوري، الذي تلقى تعهداً من الشاه إسماعيل بأنه لا ينوي المساس بأراضي الشام، ومع ذلك فقد رد على بايزيد رداً حسناً، وظل بايزيد على سياسة الحذر، فأرسل سفارة لتهنئة الشاه إسماعيل (بفتح بغداد)، لقيت استقبالاً سيئاً من الشاه إسماعيل، وسُرت مشفوعة

بأنه لا ينوي المساس بأراضي الشام، ومع ذلك فقد رد على بايزيد رداً حسناً، وظل بايزيد على سياسة الحذر، فأرسل سفارة لتهنئة الشاه إسماعيل (بفتح بغداد)، لقيت استقبالاً سيئاً من الشاه إسماعيل، وسُرت مشفوعة

(1) متولي، أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص 66.
(2) ارتبطت إمارة ذو القدر بالمصاهرة مع العثمانيين، فقد تزوج السلطان محمد جلبي ابنة أحد أمرائها ويدعى سولي بك "ت 800/1397م" وأرسل السلطان مراد الثاني إلى أميرها "858هـ/ 1454م" في طلب خمس بنات زوج أجهلن وهي سيني مكرمة خاتون لابنه محمد الفاتح، وتزوج بايزيد الثاني عائشة خاتون ابنة علاء الدولة آخر أمراءها، فأنجبت له سليم الأول، متولي، أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص 65.

حرضت بعض الدول المجاورة - للدولة العثمانية، كدولة المماليك والدولة الصفوية، الأمراء العثمانيين على اللجوء إلى أراضيها، أو أوت الفارين منها، لما يحدثه ذلك من تهديد للعرش العثماني، وقد سبب هذا عداء شديداً بين العثمانيين وجيرانهم، لخوف السلاطين من إمداد هذه الدول للأمراء بجيوش لمحاربتهم، خاصة إذا كانوا في أوائل عهدهم بالحكم ولم يستقروا في العرش تماماً، وهذا ما حدث مع السلطان العثماني سليم الأول وابنه أخيه مراد بن أحمد .

وتذكر الرواية الصفوية " أن الأمير العثماني مراد هرب إلى الأراضي الإيرانية بصحبة جيش يبلغ عشرة آلاف جندي، في نفس الوقت وصل مبعوث من السلطان سليم يُدعى عزت حابيس إلى البلاط الصفوي يعلمه أنه

(2) النهروالي، قطب الدين، الأعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص 97 أ.

Potter. G. R , op. cit , p411p ; Perry . V . J . op.cit . p 70. (3)

أصبح ملكاً، وأراد من الشاه إسماعيل أن يسلمه الأمير مراد، لكن الشاه لم يعترف به رسمياً وذكر أنه الغاصب للعرش⁽¹⁾، ويذكر صاحب كتاب عالم أراي صفوي، أن الشاه قال للأمير مراد " اطمئن فسانتقم لأبيك من عمك السلطان سليم وسأقضى عليه، واجعل كل بلاد الروم [الدولة العثمانية] لك فشكره الأمير مراد وقال إنه التجأ إليه لحسن اعتقاده في الصفويين وليشرف رأسه بلبس تاج الأئمة الاثني عشر، فخلع الشاه إسماعيل التاج من على رأسه وألبسه للأمير، وقال له " أمامنا نحو شهر ونصف إلى أن يحل فصل الربيع، وأنداك سنتوجه إلى تبريز لجمع الجيش، وإذا حضر السلطان سليم وفر علينا الجهد، وإلا فستكون معركتنا على شاطئ أسكودار⁽²⁾، بعد ذلك خرج الشاه إسماعيل للصيد وأصطحب معه الأمير مراد فلما رجعا لمخيمهم ظهرت أعراض المرض على الأمير مراد، وتوفي بعد ستة أيام⁽³⁾.

رغم ما قيل عن اعتناق الأمير مراد للمذهب الشيعي، أو أنه يضمّر ميولاً شيعية على الأقل⁽⁴⁾، فإن فراره إلى الأراضي الإيرانية، لطلب الدعم من الصفويين، من أجل محاربة عمه السلطان سليم، يشكل تهديداً للعرش العثماني، بل إنه أعطى فرصة للصفويين للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، لاسيما أن الشاه إسماعيل اعتبر الأمير مراد هو السلطان الشرعي،

(1) مهدي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 19.

(2) أسكودار، كلمة فارسية تعني محطة البريد، وهي أسم أكبر حي باستانبول في الطرف الآسيوي من الباسفور عند سفح تل بلغزل في الجهة التي يمتد فيها الشاطئ الآسيوي نحو الغرب، ونظراً لموقعها الجغرافي كانت الجيوش العثمانية تعسكر في البسل الفسيح الواقع في جنوبها. كرامرز، " أسكودار "، دائرة المعارف الإسلامية، مج 2، ص 146 - 148 .

(3) مؤلف مجهول، عالم آراي صفوي، ص 470 - 472.

(4) العربي، توفيق حسين، الصراع العثماني الصفوي، ص 1؛ شنار، إبراهيم الدسوقي، أثر الصراع المذهبي بين الشاه إسماعيل الصفوي والسلطان سليم العثماني في الأدب الفارسي، ص 33.

بقصد إضعاف موقف السلطان سليم⁽¹⁾، ما زاد من تؤثر العلاقة بين الطرفين⁽²⁾.

ثمة أمر آخر، وأن كان غير مقنع في بدء الحرب بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، فإن السلطان سليم الأول اتخذ ذريعة لشن الحرب على الصفويين، فقد اعتبر السلطان سليم الأول عدم إرسال الشاه إسماعيل الصفوي سفارة للتعزية في وفاة أبيه وللتهنئة على العرش، إهانة شخصية موجّهة له، خاصة أن الدول التي لها علاقات مع الدولة العثمانية قامت بإرسال بعثات إلى سليم يهنئونه بتولي السلطة.

هكذا اتضح ضعف تأثير الاختلاف المذهبي في الصراع الصفوي العثماني، رغم أنه أستخدم كستاراً في الصراع، يخفي وراءه جملة من الأسباب، منها أسباب اجتماعية واقتصادية، إضافة إلى مجموعة من الأسباب السياسية، وأن كل هذه الأسباب مجمعة قد أدت في نهاية الأمر إلى تفجير الصراع بين الطرفين .

(1) Savory . R , Iran Under The Safavids , combridge , 1980 .p. 40.

(2) فيم يتعلق بالمبعوث العثماني عزت حابيس، فإنه لم يلقي الترحيب من الشاه إسماعيل، بل أن الشاه اتهمه بالتجسس، ورغم ذلك، سمح له بالعودة للأراضي العثمانية، مهدوي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ خارجي إيران، ص 19.

the results of the analysis conducted in the previous section. The results are as follows:

- (1) The first result is that the β_1 coefficient is significantly positive, indicating that the dependent variable increases with the independent variable.
- (2) The second result is that the β_2 coefficient is significantly negative, indicating that the dependent variable decreases with the independent variable.
- (3) The third result is that the β_3 coefficient is significantly positive, indicating that the dependent variable increases with the independent variable.
- (4) The fourth result is that the β_4 coefficient is significantly negative, indicating that the dependent variable decreases with the independent variable.
- (5) The fifth result is that the β_5 coefficient is significantly positive, indicating that the dependent variable increases with the independent variable.
- (6) The sixth result is that the β_6 coefficient is significantly negative, indicating that the dependent variable decreases with the independent variable.
- (7) The seventh result is that the β_7 coefficient is significantly positive, indicating that the dependent variable increases with the independent variable.
- (8) The eighth result is that the β_8 coefficient is significantly negative, indicating that the dependent variable decreases with the independent variable.
- (9) The ninth result is that the β_9 coefficient is significantly positive, indicating that the dependent variable increases with the independent variable.
- (10) The tenth result is that the β_{10} coefficient is significantly negative, indicating that the dependent variable decreases with the independent variable.

- (11) The eleventh result is that the β_{11} coefficient is significantly positive, indicating that the dependent variable increases with the independent variable.
- (12) The twelfth result is that the β_{12} coefficient is significantly negative, indicating that the dependent variable decreases with the independent variable.
- (13) The thirteenth result is that the β_{13} coefficient is significantly positive, indicating that the dependent variable increases with the independent variable.
- (14) The fourteenth result is that the β_{14} coefficient is significantly negative, indicating that the dependent variable decreases with the independent variable.
- (15) The fifteenth result is that the β_{15} coefficient is significantly positive, indicating that the dependent variable increases with the independent variable.
- (16) The sixteenth result is that the β_{16} coefficient is significantly negative, indicating that the dependent variable decreases with the independent variable.
- (17) The seventeenth result is that the β_{17} coefficient is significantly positive, indicating that the dependent variable increases with the independent variable.
- (18) The eighteenth result is that the β_{18} coefficient is significantly negative, indicating that the dependent variable decreases with the independent variable.
- (19) The nineteenth result is that the β_{19} coefficient is significantly positive, indicating that the dependent variable increases with the independent variable.
- (20) The twentieth result is that the β_{20} coefficient is significantly negative, indicating that the dependent variable decreases with the independent variable.

الفصل الثالث

مراحل الصراع الصفوي العثماني 1514 - 1555 م

المبحث الأول : العلاقات الصفوية العثمانية 1505 - 1514 :

- الاحتكاكات الأولى .
- حملات سليم في الأراضي الصفوية .
- حركة الشاه قولي 1511م.
- عمليات الملاحقة العثمانية لآنصار الصفويين في شرق الأناضول.

المبحث الثاني : الاجتياح العثماني لإيران والصراع على كردستان .

- أولاً: الهجوم العثماني واجتياح تبريز.
- ثانياً: الصراع على كردستان .

المبحث الثالث : الصراع من 1534/1548 م .

- أولاً: حرب العراقيين 1534 م .
- ثانياً: حملة سليمان القانوني بالتحالف مع القاص ميزار الصفوي 1548/1549م .

المبحث الرابع : الصراع من 1553/1555 م .

- أولاً : حرب نخجوان 1553م .
- ثانياً: معاهدة أماسيه 1555م.

المبحث الأول

العلاقات الصفوية العثمانية 1505 - 1514

الاحتكاكات الأولى

- حملات سليم في الأراضي الصفوية .
- حركة الشاه قولي 1511م.
- عمليات الملاحقة العثمانية لاتصار الصفويين في شرق الأناضول.

لقد تميزت العلاقة الصفوية العثمانية قبل البداية الفعلية للصراع بمجموعة من الأحداث، يمكن أن يضيف منها ثلاثة أحداث رئيسة كان أولها العمليات الحربية التي قام بها سليم، عندما كان أميراً على ولاية طرابزون، التي كانت أحد الأسباب التي مهدت له الطريق للعرش العثماني، ثم تأتي حركة شاه قوللي في ولاية تكة ضد الدولة وإضافة إلى عمليات الملاحقة التي شنّها العثمانيون ضد أنصار الصفويين في شرق الأناضول.

حملات سليم في الأراضي الصفوية :

في واقع الأمر، إن المعلومات عن تحركات سليم أمير طرابزون، ضد الدولة الصفوية، تبدو شحيحة جداً، ولم يجر التركيز عليها في معظم الدراسات، حيث اعتبرت نوعاً من المنافسة بين أمير طموح (سليم) متعصب لمذهبه السني، وآخر (الشاه إسماعيل) مطالب بممتلكات دولة الأقباق قوينلو، لأنه يرى نفسه الوريث الشرعي لها، لكن سير الأحداث فيما بعد وتحولها لصدام بين الدولتين، العثمانية والصفوية سيثبت عدم صحة ذلك .

كان أول عمل قام به سليم، أنه أستدعى سلطان مراد آخر أمراء دولة الألق قويونلو الذي طرده الشاه إسماعيل من عرشه إلى طرابزون، ومنحه وأولاده بيوتاً ووظائف ثم قام بثلاث حملات على الأراضي التابعة للدولة الصفوية في كرجستان استولي خلالها على الإيالات الثلاث : قارص، أرضروم، أرتفين، التي تضم خمسة عشر قسبة: بوسوف، هانك، أردخان، جلدز، كوله، أيسير طورطم، نارمان ألو، أولر، شنقايا شاوشات، أردانوج، يوسف إيلي، وأستولي عدا ذلك على أهسكا وأهيكلك (في كرجستان حالياً) (1).

بعد النجاح الذي حققه حاكم طرابزون، اتجه إلى الأراضي التي احتلها الشاه قريباً من دولة ألق قويونلو، وهي بايبورت، أرزنجان، كماه، أيسير

كموشخانه جمشكزك (طونجلي)، وسلم الأخيرة للأمير الكردي بير حسين، الذي أثارت بسالته وبطولته أعجاب الأمير سليم (2) بينما ضم الباقي إلى لوائه، فأرسل الشاه جيشاً بقيادة أخيه إبراهيم ميرزا لاسترجاع هذه الأراضي حيث كان يدعي أنه وريث كل ممتلكات ألق قويونلو، اصطحب سليم ابنه الأوحد سليمان، الذي كان أميراً على (كفه) في القرم، وسار بسرعة لملاقاة الجيش الصفوي، ولا يعلم بالتحديد كيف سارت الأحداث بينهما، إلا ما يرويهِ نظام الدين مجير، عن التقاء الجيشين في أرزنجان، وسحق سليم لجيش إبراهيم ميرزا وأسرهُ (3)، لقد أدت انتصارات سليم على الصفويين، إلى إكسابه اعتباراً ولحنت فيه قصائد شعبية، مثل سر سلطاني سر اليومك (4).

(1) يلماز، أوزرتونا، تاريخ الدولة العثمانية، 204.

(2) زكي، محمد أمين، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد العثماني، عربه من الكردية محمد علي عوني، 1945 م، ص 372.

(3) الشيباني، نظام الدين مجير، تشكيل شاهنشاني صفوية، ص 155.

(4) يلماز، أوزرتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص 206.

ولا يُعلم يقيناً بدء هذه الحملات، ولكن من المرجح أنها كانت قبل سنة 1505 م بقليل ففي هذه السنة يرجح نيقولا فاتان استقبال البلاط العثماني سفيراً صفوياً مكلفاً بالمطالبة بطرابزون لسيده، وبالاحتجاج على الغارات التي شنها الأمير سليم⁽¹⁾، وبناءً على شكاية الشاه من جهة، وعدم رغبة السلطان العثماني بايزيد الثاني تصعيد الموقف مع الصفويين من جهة أخرى، أطلق سليم سراح إبراهيم ميرزا أخ الشاه، بالإضافة إلى إخلاء أرزنجان وبايبورت وكماه وأيسبر، وإعادتها للصفويين⁽²⁾ ولكنه أعلن أن هذا العمل يعني انعدام الشرف .

استاء الجيش العثماني من تسليم تلك الأراضي للصفويين، ولم يلق هذا التصرف ارتياحاً سواء من الجيش أم أهالي الأناضول، أو من سليم، على أثر ذلك ترك سليم لواءه دون طلب موافقة والده السلطان بايزيد، وانتقل فجأة إلى القرم، وأبلغ استانبول بذريعة تهكمية مفادها اشتقاقه لابنه الأوحد سليمان حاكم كفه، والحقيقة أنه ذهب للقرم للحصول على مساعدة والد زوجته خان القرم منكلي كيراي، حيث أمكنه الحصول على قوات وموئ منه⁽³⁾، حيث كان أخوته الكيار، قد بدأوا التحرك لوراثته العرش (1509-1512)⁽⁴⁾ التي تمت الإشارة إليها في الفصل السابق .

حركة الشاه قوللي 1511م :

إن خطر قيام نزاع بين العثمانيين و الصفويين، بدأ كأنه تراجع في عام 1510م لأن الشاه إسماعيل قد حول انتباهه صوب الشرق، حيث اكتسح

(1) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص 164.

(2) يدعى نظام الدين مجير أن البلاط العثماني لم يحسن وفادة سفير الشاه، ولم يعر اهتمام بمطالبه . شيباني، نظام الدين مجير، تشكيل شامشاهي صفوية، ص 156.

(3) مهنا، محمد نصر، الإسلام في آسيا، ص 138، ياغي، إسماعيل احمد، الدولة العثمانية ...، ص 56 .

(4) يلماز، اوزتوتا، تاريخ الدولة العثمانية، ص 206.

خان ترانس سوكسانيا الأوزبكي ولاية خراسان الفارسية، وقد جلب هذا التحول ارتياحاً عثمانياً⁽¹⁾.

بيد أن حدث ما وتر العلاقات بين الطرفين، حيث شهد ربيع العام التالي، تحديداً 9 أبريل 1511 م وهو يوم هام في التقويم الشيعي⁽²⁾، نشوب ثورة ضخمة في تكة (Tckke) - انطاكيا - أحد ولايات الأناضول على الحدود الشرقية للدولة العثمانية، بقيادة زعيم شيعي تضاربت الآراء حول اسمه، ففي حين يشير المستشرق الروسي بيكولوسايا إلى أن اسمه حسن أوغلو من قبيلة تكلو⁽³⁾، فإن يروان يذكر أنه بابا شاه قوللي بن حسن خليفة⁽⁴⁾ والواضح أن الاسم الذي عرف به لدى أتباعه، هو شاه قوللي، أي: عبد الشاه أو خادم الشاه، بينما أسماه العثمانيون شيطان قوللي، أي عبد الشيطان⁽⁵⁾.

في ذلك الوقت كان الشاه إسماعيل، في بلاد ما وراء النهر في حربه مع الأوزبك، بينما انشغل العثمانيون بقضية ولاية العرش بين أبناء بايزيد وبسرعة لحركات حوادث العنف وبلغ الثورة ذروتها، وتحرك المتمردين من أنطاليا إلى كوتاهية، حيث سحقوا في طريقهم قوات بكلكربك الأناضول قره جوز باشا وقطعوا رأسه⁽⁶⁾ قرب أفيون قره حصار (Afium Karah Isar)

(1) Parry. V.J.Op.Cit. p. 65

(2) يوافق في التاريخ الهجري، العاشر من محرم 917هـ وهو يوم عاشوراء، ويوافق يوم كربلاء في 61هـ / 10 أكتوبر 680م - وهو يوم حداد عند الشيعة، مانتران، روبير، الدولة العثمانية، ص 168 169.

(3) نيكولوسايا، ن، و، تاريخ إيران أز لوران باستان سايبان سدة هيجدم ميلادي، ص 475.

(4) براون، أد وارد، تاريخ أدبيات إيران أز آغاز عهد صفوية تارمان حاضري، ترجمة إلى الفارسية، رشيد باسمي، جاب دوم، طهران، 1329هـ. ش ص 72 .

(5) القرمانلي، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص 312.

(6) ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 5، ص 22؛ دائرة المعارف الإسلامية، مج 5، ص 174.

وكونتاهية، ثم تقدموا صوب بورصة (Bursa) ويشير هنا ستانفورد - اعتماداً على أحد المصادر الفارسية التي لم يذكرها - أن شاه قوللي حصل على دعم آلاف الجنود العثمانيين الذين أرسلوا لقمعه⁽¹⁾ وبعد سقوط معظم وسط وجنوب غربي الأناضول بيد المتمردين، أرسل السلطان العثماني بايزيد الثاني، 8000 جندي انكشاري قادم الصدر الأعظم حلمي باشا فانسحب شاه قوللي صوب قيصرية، ووقعت قرب هذه المدينة معركة في شهر يونيو 1511 م، قتل فيها كل من الصدر الأعظم وشاه قوللي⁽²⁾، وانهزم أتباع الأخير، وبدون قيادة سرعان ما أن انتهى التمرد، ولادت القوات المتبقية بالفرار بقيادة أستاذجي أوجلو إلى الشاه إسماعيل، الذي أعدم بعضهم بدعوى الأفعال المشينة التي ارتكبوها أثناء هروبهم إلى تبريز⁽³⁾.

بيد أن الشاه أراد بهذه الطريقة أن يتصل من مسئولية التمرد، لأنه لم يُرد آنذاك أن يثير العثمانيين لاسيما أن حربه مع الأوزبك مازالت قائمة، وفي نفس الوقت لم يكن بايزيد في وضع يسمح له بمهاجمة الصفويين - إذا كان يرغب في ذلك - إذ أن الخصومة بين أبنائه بشأن خلافة العرش، كانت على وشك الوصول بالدولة إلى حالة حرب أهلية⁽⁴⁾.

تجدر الإشارة إلى أن شاه قوللي توضيحاً لنفسه على أنه خليفة لإسماعيل، أرسل وعاظه الخاصين حول الأناضول، وادعى أكثرهم تطرفاً أن قائدهم هو المرسل من الله لينقذ البشرية، ثم ادعى أنه النبي، وأنه الله نفسه⁽⁵⁾.

(1) Shaw, Stanford, Op. cit, p78

(2) Inalcit, Hlil, "the Rise the Ottoman Empire" the Cambridge History of Islam, vol1, p314.

(3) بطروشوفسكي، الإسلام في إيران، ص377؛ بروان، إدوارد، تاريخ أدبيات إيران...، ص 72.

(4) Parry, V.J.Op.Cit. p65

(5) Potter, G.R, Op. Cit, P406; Shaw, Stanford. Op.Cit, P78

مهما كانت درجة الاتهام الموجهة للشاه إسماعيل. في إشعال تلك الثورة ومهما كان الأمر من حيث إنها قامت بعلمه وتدبيره أم لا، فإن المؤكد أن عام 1511م شهد ثورة مسلحة قام بها أحد أتباع الطريقة الصفوية ضد الدولة العثمانية في إقليم الأناضول، وأن تلك الحركة التي سرعان ما تحولت إلى ثورة عامة مثلت خطراً شديداً على الدولة العثمانية، التي لم يكن أمامها سوى أن توجهها بحزم .

إن أخطر ما في هذه الثورة على العثمانيين، أن نائب السلطان العثماني في المنطقة التي اندلعت فيها الثورة كان ابنه قورقود (1467-1513م) - أحد الساعيين لتولي العرش العثماني - قيل إنه على صلات طيبة مع الشاه قوللي⁽¹⁾، إذ ليس من المستبعد إذ ما أمكن الشاه قوللي، أن يتلقى من الشاه إسماعيل مساعدة عسكرية، أن تتجح ثورته في الأناضول، وربما كان قد نتج عنها تولي سلطان جديد العرش العثماني، يدين بتوليته للشاه إسماعيل . يعتقد الباحث أن إدراك العثمانيين لهذه الحقيقة من جهة، وتولي السلطان سليم الحكم في الدولة العثمانية، خلفاً لوالده بايزيد من جهة أخرى، وتر العلاقات بين العثمانيين والصفويين، بشكل لا يمكن معه تفادي حرب محتملة بين الطرفين .

وردًا على الانتهاكات الصفوية في الأراضي الخاضعة للعثمانيين في الأناضول قام السلطان العثماني الجديد سليم الأول (1512-1520م) بشن عمليات ملاحقة لأنصار الطريقة الصفوية في الأراضي التابعة له .

عمليات الملاحقة العثمانية لأنصار الصفوية في شرق الأناضول :

سبقت الإشارة إلى أن تولي سليم العرش العثماني، أُنذر بتصاعد التوتر بين دولته و الصفويين، فبدأ في التدبير لشن حرب حقيقية على

(1) مهنا، محمد نصر، الإسلام في آسيا، ص 137.

الصفويين في إيران، وبعد إصداره الفتاوى الدينية لحربهم، وكنوع من التكتيك الحربي، تحرك سليم لملاحقة أنصار الشاه إسماعيل في الأراضي العثمانية بشرق الأناضول حتى يضمن جبهته الداخلية، إذا قرر الزحف نحو الأراضي الإيرانية، حيث ذكرت العديد من الروايات أن السلطان سليم قتل في هذه العمليات 40 ألف شيعي⁽¹⁾، بينما زادت البعض إلى 44 إلى 70 ألفاً⁽²⁾. ولكن الأمر يحتاج وقفة لمعرفة حقيقة هذه الحادثة المروعة بحسب هذه الأرقام .

وملخص ما تتناوله معظم الدراسات بشأن هذه الحادثة : أن السلطان سليم بين سنتي (1513-1514م) أسس فرقة عظيمة من البوليس السري وبثها في سائر أنحاء سلطنته الواسعة، وتمكن بها من تحرير كشف طويل كامل بأسماء كافة المسلمين المتهمين في الأراضي العثمانية - لاسيما الأناضول - بالميل إلى المذهب الشيعي، فكانت جملتهم، رجالاً ونساءً وأطفالاً سبعين ألفاً، وزع سلم العساكر في سائر أقاليم الدولة جعل في كل إقليم من العساكر ما يناسب عدد الشيعة الذين فيه، ثم أرسل العساكر فقبضوا على سائر الشيعة، وذبح منهم أربعين ألفاً، وحكم على من بقى منهم بالسجن الأبدي⁽³⁾، وفي الرواية الصفوية، ختم جبين كل شيعي بدل السجن⁽⁴⁾.

وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية الشيعية " كان كثير من الناس يشتركون في هذه المجازر للتواب - كما أخبرهم شيوخ الإسلام بذلك - وطلباً للمنفعة الدنيوية، حيث كان الشخص يستلم عن كل رأس يقطعه من

(1) اشتياني، اقبل، تاريخ إيران بعد الإسلام، 645.

(2) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ص 312، 293.

(3) مؤلف مجهول، تاريخ الأتراك العثمانيين، ص 40، الأمين محسن، أعيان الشيعة، ص 322 ؛ المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية، ص 74، إقبال، عباس، تاريخ إيران

بعد الإسلام، 645 ؛ Sykes. Percy. Op. Cit. P74.

(4) مهدي، عبد الرضا، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 19.

رؤوس (المرتدين) نصف بايزي (عملة عثمانية) وعن كل زوج بايزي واحد⁽¹⁾، فيما يعتقد محمد فريد بك المحامي، أن السلطان سليم أمر بهذه المذبحة لإيجاد سبب لحرب الصفويين⁽²⁾.

إن نظرة مغايرة للرواية السابقة، التي اعتمدها العديد من الباحثين، قد تأتي بجديد بشأن هذه الملاحظات والأرقام، فتنفيذ عملية كهذه خلال فترة وجيزة وفي ظروف ذلك الزمان، أمر يصعب تطبيقه من الناحية العملية، وهذا ما حدا بـ(جان لوي) أن يقدم انتقاداً شديداً للهجة، ويقول : " ليس هناك ما يسمح بتأييد الأسطورة، التي تتحدث عن ذبح 40.000 مهرطقاً، الذي قيل إنه حدث في عام 1514 م إذ يبدو أنها شديدة التأثير بدوار الأرقام الشرقي⁽³⁾، بل إن إكمال الدين يؤكد " أنه لا توجد البتة معلومات في المصادر حول الادعاء أن أربعين ألف شخص جرى إعدامهم نتيجة لتلك المطاردة في الأناضول خلال الأعوام التي سبقت معركة جالديران⁽⁴⁾.

يمكن الفصل في هذا الحدث والقول، أن سليم خلافاً لسياسة والده بايزيد الذي نقل 30 ألفاً من أنصار الأسرة الصفوية إلى جزر المورة في أعقاب تمرد عام 1501 م في قرمان اتبع سياسة أكثر قسوة، وبدأ في ملاحقة ومضايقة مريدي الشاه إسماعيل وطريقته، وأجرى بعض الإعدامات للنشطين منهم - مبعوثي الشاه - بقصد إخافة الباقين وإجبارهم على الفرار والتشتت، كي لا يستفيد منهم عدوه الشاه إسماعيل⁽⁵⁾، وهذا ما يتوافق مع ما جاء في دائرة المعارف الشيعية - التي أيدت الرواية السابقة - " فراحوا يغادرون أوطانهم جماعات وتوجه بعضهم إلى جزيرة قبرص (التابعة

(1) الأمين، حسين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج6، ص110، 109.

(2) المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص74.

(3) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص209.

(4) أوغلي، أكمل الدين، الدولة العثمانية، الجزء الأول، ص31.

(5) Alfouche . Adel . Op.Cit . P.12 .

لجمهورية البندقية) ومن بين القبائل التي هاجرت نحو المناطق الحدودية الإيرانية قبيلة ساري قميش، وتتألف من تسعة آلاف شخص⁽¹⁾.
بيد أن ما أثبت تاريخياً هي المذبحة التي أجراها السلطان سليم في عاصمة ملكه استانبول، وذلك أن استصدر فتوى من رجال الدين العثمانيين بتكفير أتباع المذهب الشيعي الإثني عشري فقام بإغلاق أبواب المدينة، وتم القبض على خمسة آلاف شيعي⁽²⁾.

إن الأحداث سألقة الذكر رغم ما حملته من تجاوزات واعتداءات من كلا الطرفين، بيد أنها لم تصل إلى حد إعلان الحرب رسمياً، وذلك بسبب انشغال الطرفين، حيث لم يكمل الشاه إسماعيل حروبه مع الأوزبك في الشرق بعد، بينما انشغل السلطان العثماني سليم في تثبيت دعائم حكمه المتمثلة في حروبه مع اخوته المطالبين بالحكم، ولكن الأحداث تسارعت بسرعة، ولم تدع مجالاً للشك بقيام حرب بين الجانبين، تمثلت في أقوى وأعنف جولاتها في معركة جالديران سنة 1514م .

(1) الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج6، ص 110.

(2) شتار، إبراهيم الدسوقي، أثر الصراع المذهبي بين الشاه إسماعيل الصفوي والسلطان سليم العثماني في الأدب الفارسي، ص 34.

المبحث الثاني

اجتياح إيران والصراع على كردستان

- الهجوم العثماني واجتياح تبريز.

- الصراع على كردستان.

أولاً: الهجوم العثماني واجتياح تبريز :

لقد تفاعلت جميع العوامل والأسباب المباشرة، وتشعبت تلك الظروف الصعبة بروح الحرب والسعي إلى المواجهة، إذ أفنعت تجربة سليم السابقة في طرابزون، بأن المشكلة الكبرى له كانت التهديد الصفوي، فجهز حملة عسكرية كبرى قادها بنفسه إلى إيران .

لكي يؤمن سليم تركيزه على الشرق، كان عليه أن يؤمن وضعه مع الأوروبيين في الغرب، لهذا فإنه جدد الاتفاقيات مع البندقية وهنكاريا (المجر) ومنحهما امتيازات تجارية متزايدة، ولكنه فشل في جهوده لإقامة علاقات طيبة مع روسيا (1) كما عقد اتفاقيات سلام مع النمسا ومماليك مصر والشام (2) وبمبادرة منه لكسب حليف قوي له أرسل رسالة إلى عبيد الله خان الأوزبكي يُعلمه من خلالها عن نواياه في التحرك باتجاه إيران، فكان ردّ عبيد الله، أنه أعلم سليم عن بدء استعداداته لهذا الشأن، وأنه بدأ العمل بالفعل،

(1) لم تنجح جهود السلطان في عقد اتفاق مع قيصر روسيا باسيل (1505-1533م) لأنه وجد معارضة شديدة من خانات القرم الذين كانوا يقاومون التوسع الروسي، عوضاً عن ذلك تم إطلاق يد خان القرم محمد جيراي 1514-1523م الذي بدأ هجمات قوية في الأراضي الروسية والبولندية، ودخل في تحالف مع خانية قازان لحماية الأخير من قيصر روسيا باسيل .
Shaw.stanford,Op.Cit.80.

(2) مهدي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 19.

وانتصر على القوات الصفوية في سمرقند⁽¹⁾. وفقاً لذلك كان سليم قادراً أن يتحول نحو الشرق.

حرب جالديران 1514م :

أمر السلطان سليم بإنعقاد اجتماع طارئ للديوان السلطاني في مدينة أدرنة في 19 محرم 920هـ - 26 مارس 1514 م، حضره قادة الجيش ورجال الدين والعلماء⁽²⁾، أعلن فيه الحرب على الدولة الصفوية، وبدأ مسيرة طويلة نحو إيران، حيث حشد جيشه في سهل يني شهر (yeni shehir)، وتحرك نحو قونيا ومن ثم إلى قيصرية، هنا طلب السلطان مساعدات لتمويل جيشه من علاء الدولة حاكم مرعش والبستان (إمارة ذو القدر) الذي اعتذر للسلطان، لأنه لا يستطيع القيام بأدني مجهود لكونه تحت الحماية المملوكية وما أن مضى السلطان في طريقه هاجم علاء الدولة ساقية الجيش العثماني، بإيعاز من السلطان المملوكي قانصوه الغوري على أغلب الاحتمالات⁽³⁾.

الأمر الذي جعل السلطان سليم يرسل للغوري يخبره بما فعل علاء الدولة فجاء رد الغوري "أن علاء الدولة عاصي فإن ظفرت به فاقتله " وفي الوقت ذاته أرسل إلى علاء الدولة يشكره على فعله⁽⁴⁾، ويبدو أن السلطان الغوري كان يقصد بذلك ضرب القوى بعضها البعض ليخفف من ضغطها على دولته، إلا أن هذه السياسة كان لها الأثر السلبي على الدولتين المملوكية وذو القدر فيما بعد .

(1) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية والسلام بين العثمانيين والصفويين، دار النفائس، بيروت، 1999 م، ص 128.

(2) الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج، ص 101.

(3) Parry.V.J ,Op.Cit,P70.

(4) أبين زنبيل الرمال، تاريخ السلطان سليم خان، ص 8 أ .

نتيجة لهذه الأحداث ترك السلطان سليم أربعين ألفاً من جنده فيما بين سيواس وقيصريه للحفاظ على أمن الأناضول تحسباً لأي اختراق قد يحصل من أية جبهة من الجبهات التي تتنافس، ولحماية مؤخرة جيشه من أنصار الشاه وقوات ذو القدر⁽¹⁾ وليس كما اعتقد إبراهيم بك حليم بأن الغرض من إبقاء هذه القوات أن غالبيتهم من التجار، وأنهم لا يتحملون أثقال السفر والقتال⁽²⁾ ولعل إبقاء هذه القوات بتلك المنطقة هو سبب اختلاف الآراء حول تعداد الجيش العثماني، وواقع الأمر أن الجيش الذي تحرك من الأسكودار (أحد ضواحي استانبول) بلغ 140.000 جندي حيث اعتبره جان لوي أكبر جيوش عصره⁽³⁾، بينما الذي دخل معركة جالديران يبلغ 100.000 جندي، في هذه الأثناء كان الشاه إسماعيل مشغولاً بإخراج الأوزبك من خراسان، فأمر محمد خان استاجلو نائبه على ديار بكر أن يسرع إلى تخريب القرى الواقعة في متناول الجيش العثماني، ثم ينسحب إلى أذربيجان، وقد أنجز استاجلو المهمة بنجاح، الأمر الذي أخرج وصول جيش سليم إلى إيران وأنهكه⁽⁴⁾ بيد أن الجيش العثماني تنفس الصعداء عندما وصلت مؤن تم نقلها عن طريق البحر إلى طرابزون⁽⁵⁾ التي كانت تنقل من هناك بمشقة على ظهور الجمال⁽⁶⁾.

إن العثمانيين الذين استنفدت طاقتهم بعد مسيرتهم الشاقة كان عليهم أن يواجهوا أقصى تمركز للقوات الصفوية، ولا يُعلم تحديداً عدد الجيش

(1) (حرب إيران (www.Islampedia.com ؛ ولايتي، على أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران در عهد شاه إسماعيل صفوي، مؤسسة جاب، طهران 1375 هـ ش، ص 142.

(2) حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص 80 .

(3) مانتران، روبر، تاريخ الدولة العثمانية، ص 211 .

(4) الخولي، أحمد، الدولة العثمانية، ص 75.

(5) Potter.G.R,Op.Cit,P411.

(6) Parry.V.J,Op.Cit,P70.

الصفوي، ففي حين تصمت المصادر الصفوية عن ذكر تعداد الجيش، فإن الباحث الإيراني مهدي يذکر أن الجيش الصفوي يبلغ 27 ألف جندي⁽¹⁾، في حين يذکر سيكس - اعتماداً على مصادر عثمانية - أن قوات الشاه كان تعدادها 60 ألف فارس⁽²⁾، بينما يعتقد الباحث التركي يلماز، أن الطرفين العثماني والصفوي متعادلان، 100.000 متحارب لكل منهما⁽³⁾.

حال تحرك العثمانيون عبر ولايتي أرزنجان وأرضروم إلى الإمدادات العليا للفرات، تجنب الصفويون الدخول في معركة مفتوحة معترفين بالنفوق العسكري العثماني، وآملين في جر السلطان إلى المناطق الجبلية شمال إيران، حيث إن مشاكل التضاريس والتموين قد تجعل القوتين متعادلتين⁽⁴⁾ فعند تقدم الجيش العثماني في الصحراء الإيرانية اعتراه الضجر، واستولى عليه الملل، وأخذ الجنود يتكلمون فيما بينهم، بأن هذه الحرب لا نتيجة منها، ولما بلغ السلطان تذمر جنوده خاف سوء العاقبة فقبض على بعض أصحاب الجرأة منهم وقتلهم وإرهاباً للغير، وأمر بالتقدم نحو تبريز⁽⁵⁾ وعندما وصلوا إلى مدينة طراخان، إذ بالإنكشارية قوضوا خيامهم بغتة وأخذوا في إطلاق بنادقهم على خيمة السلطان، عند ذلك ركب السلطان ووراءه وزرائه ونادى في الجنود قائلاً "من أراد النوم على بساط الراحة في بيته فليرجع، ومن أراد ملاقة الأعداء في ساحة الوغى فيأت معي، وإن أحببتكم جميعكم العودة فلكم ذلك، وأنا أتقدم بمفردي" ولم يكذب كلامه حتى أشار الجنود بأجمعهم بعلامة الطاعة والانقياد⁽⁶⁾.

(1) مهدي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 20.

(2) Sykes.Percy.Op.Cit.P74

(3) يلماز، أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص 216.

(4) Shaw.stanford.Op.Cit.P81.

(5) ولايتي، علي أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران...، ص 173 .

(6) سرهنك، إسماعيل، تاريخ الدولة العثمانية، ص 66 .

المرسلات بين السلطان والشاه :

إبان مسير القوات العثمانية صوب الشرق، أرسل السلطان سليم للشاه إسماعيل رسالتين، حمل الأولى مضامين تهديدية، وهدايا تخص الدراويش كالعصا والخرقة استهزأً بالشاه⁽¹⁾ بعثها مع جاسوس للشاه بعد أن أمر بإطلاق سراحه⁽²⁾ وأخبره في الثانية⁽³⁾ - من مدينة سيواس - أنه ترك أربعين ألفاً من جنده في الأناضول ؛ إظهاراً لقوته وعزمه على متابعة سيره لملاقاته، وفي المقابل أثناء وصول السلطان إلى مدينة كماخي وصل مبعوث الشاه وسلمه علبة الترياق " الأفيون " يقصد بذلك أن احتلال إيران والقضاء على الدولة الصفوية، هو من تأثير تدخين الأفيون، فرد السلطان على الشاه برسالة، أعلن خلالها الحرب بشكل رسمي، وأرفقها بمجموعة من الألبسة النسائية والعمود، وأدوات الزينة، وذلك استهزاءً بشخص الشاه لتقاعسه عن مواجهة السلطان وحربه⁽⁴⁾ " فإنه في تلك الحالة عليك أن ترتدي الجادر (chadur) الحجاب" بدلاً من الدرع " ⁽⁵⁾.

أخيراً جلب جاسوس عثماني أنباء للسلطان بأن الشاه قد أصبح على علم بأن لقاءهما القادم سيكون في هضاب جالديران، في حين يشير شيباني أن مبعوث الشاه سلم رسالة إلى السلطان في "خوي" يخبره فيها بقبول الشاه لدعوى الحرب في جالديران⁽⁶⁾.

(1) شيباني، نظام الدين مجير، تشكيل شاهنشاهي صفوية، ص 232.

(2) التاريخ الإسلامي : حرب إيران 920 هـ . www.Islampedia.com

(3) توجد نسخة من الرسالتين في ملحق الرسالة، الأولى ص 243 - 245، والثانية ص 246 - 248 .

(4) مهدي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 20.

(5) Allouche . Adel .Op.Cit,p.11

(6) Allouche . Ibid ,P119

بدء الحرب :

في صبيحة يوم الأربعاء 2 رجب 920هـ - 23 آب 1514م كان الطرفان قد أعدا العدة للحرب وأصطفا استعدادا لبدء المعركة في سهل جالديران⁽¹⁾، وتجدر الإشارة إلى أن الجيش العثماني كان مسلحاً بأسلحة حديثة، فهو مزود بالبنادق (10.000 بندقية) إضافة إلى ثلاثمائة مدفع حسب ما جاء في دائرة المعارف الشيعية⁽²⁾، بينما فرسان الشاه شجعان ومهرة مستعدين للتضحية بأرواحهم في سبيل شاههم ولم يكن للشاه مدفعية ولا مشاة من حملة البنادق⁽³⁾.

ومن بين العديد من المصادر يقدم ابن إياس وصفاً بليغاً للمعركة فيقول "...تلاقى عسكر سليم شاه ابن عثمان، مع عسكر إسماعيل شاه الصوفي على مكان بالقرب من تبريز... فكان بينهما هناك وقعة مهولة تشيب منها النواصي، وتذهل العقول عند سماعها من دان وقاص، فصُيرت الرؤوس عن الأجساد طائرة، وطفشت العساكر بالخيول الغائرة، ووقع القتل بالسيف حتى أجرة الدماء منهم كالسيل"⁽⁴⁾ ويقول في موضع آخر "...كانت الكسرة أولاً على ابن عثمان وآخر الأمر أن الصوفي انكسر كسرة قوية، وقتل غالب عسكره، وانهزم الباقون، ولم ينج منهم إلا القليل .. وقُتل من عسكر ابن عثمان نحو ثلاثين ألفاً، وقُتل مثل ذلك من عسكر الصوفي.." ⁽⁵⁾.

(1) هذا السهل عبارة عن أرض واسعة تمتد بين سلسلتين جبليتين نحو الشرق والغرب، جالديران اليوم أحد القرى التابعة لناحية جشمة من نواحي مدينة مازو الإيرانية، الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مج6، ص117 .

(2) الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مج6، ص115.

(3) يلماز، أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص217.

(4) ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، ص402 .

(5) المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص398.

لقد تلقى الصفويون خسائر كبيرة في المعركة، ولم يكن من خيار للقرلباش سوى التراجع⁽¹⁾ لاسيما بعد أن جرح الشاه وسقط من أعلى جواده، ودخل بين صفوف الأتراك تركماني شبيه بالشاه، مرتدياً لباسه قائلاً باللهجة التركية شاه منهم (أنا الشاه) وتمكن الشاه من الفرار أثناء انشغال السباهيين (الفرسان) الأتراك الذين ظنوا أنهم أسروا الشاه⁽²⁾، ثم نهى السلطان جنوده عن المسير خلف بقايا الجيش الصفوي، وقال "يكفيه ما حل به من بلاء" ⁽³⁾، ووضع السلطان يده على معسكر الشاه، وأسر زوجته تاجلي خانم، وأخذت فيما بعد إلى استانبول⁽⁴⁾.

إن العامل الأساسي الذي أدى إلى انتصار العثمانيين، هو السلاح الناري (المدافع والبنادق) الذي استخدموه، في حين كان الصفويون يقاتلون بالأسلحة التقليدية مثل السيوف والأقواس⁽⁵⁾، ففتح هذا النصر الطريق للسلطان سليم إلى عاصمة الصفويين تبريز.

- دخول تبريز :

في التاسع من شهر رجب 920هـ أرسل السلطان سليم اثنين من قواده، هما بيري باشا جبلي، وأحمد باشا أوغلي، على رأس مجموعة من جنوده إلى تبريز ليمهدوا الطريق لوصوله إليها، ثم تحرك في اليوم التالي إليها، وخرج العلماء والأعيان لاستقبال السلطان في ضاحية سرخاب، ثم

(1) النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص 98 ب؛ مونس، حسين، أطلس الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م، ص 244 .

(2) أضاف، عزتلو، تاريخ سلاطين بن عثمان...، ص 57 ؛ يلماز، أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص 218

(3) القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص 314 .

(4) Allouche , Adel . Op.Cit. p. 11.

(5) فرغلي، ابو الحمد، محمود، الفنون الإسلامية في عصر الصفويين بإيران، مكتبة مدبولي، القاهرة 1990م، ص 36.

توجه السلطان إلى مسجد أوزون حسن، في العاشر من رجب ليؤدي صلاة الجمعة⁽¹⁾ ويذكر شيباني " ولكن بدل أن يذكر الخطيب اسمه (السلطان سليم) قال السلطان ابن السلطان أبو المظفر إسماعيل بهادر خان، فأراد قادة الأتراك قتله، ولكن سليم رفض ذلك "⁽²⁾ .

بعد ذلك، أمر السلطان بحصر أموال الشاه، وجعل تبريز مركزاً لقيادته ثم أمر بإرسال نحو ألف من الصناع والشعراء والعلماء إلى استانبول⁽³⁾ حسب الطريقة التي اعتادها السلاطين العثمانيون، أو كما يقول الغزي " ساقهم سركناً للبلاد الرومية [العثمانية] على قوانين السلاطين العثمانيين⁽⁴⁾ ويُرجح كينروس أن أغلب هؤلاء كانوا مهرة في العمارة، وقد أرسلهم إلى هناك ليثروا استانبول بمهاراتهم "⁽⁵⁾ كما كان من ضمن غنائم الجيش العثماني سجادة فاخرة كانت في مجموعة بيجان (Beglan)⁽⁶⁾ في هذه الأثناء أرسل الشاه إسماعيل هدايا ثمينة مع أربعة من رسله إلى السلطان سليم لطلب الصلح، وإطلاق زوجته تاجلي خانم من الأسر، ولكن السلطان حبس السفراء وزوج زوجة الشاه من جعفر جلبي قاضي العسكر⁽⁷⁾ .

لم يمض على دخول الجيش العثماني ثمانية أيام حتى أمر السلطان بالانسحاب منها والتوجه إلى منطقة " قره باخ " حيث خطط لأن يقضي فصل

(1) جمعة بديع، أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، 84 .

(2) شيباني، مجير الدين، تشكيل شاهنشاهي صفوية، ص 206-207؛ ابو الحسن علوي عطر جي " الصفويون والدولة العثمانية " .
www.d-unnah.net.p.7 .

(3) النهروالي، الإعلام بإعلام بيت الله الحرام، ص 198 .

(4) الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ج1، ص 209 .

(5) Kinross , Lord . Op.Cit . p. 167 .

(6) فرغلي، ابو الحمد محمود، الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين بإيران، ص 172 .

(7) الغزوي، عباس، تاريخ العراق بين الاحتلالين، ج3، ص 253؛ ولايتي، علي أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 182 .

الشتاء هناك⁽¹⁾ ولكن ما السبب الذي أضطر السلطان لقرار الانسحاب هذا ؟ سيما بعد المشقات التي تكبدها جيشه حتى انتصر على الصفويين ودخل عاصمتهم .

ثمة مجموعة من الأسباب التي تذكرها المصادر، وأخرى أستنتجها بعض الباحثين، بخصوص انسحاب الجيش العثماني من عاصمة الصفويين، في حين أن الرواية الصفوية لهذه الأحداث لها رأيٌ مخالف .

يذكر صاحب مخطوط الأعلام بإعلام بيت الله الحرام أن انسحاب السلطان سليم من تبريز " لكثرة القحط واستيلاء الغلاء بحيث بيعت الحليقة بمائتي درهم، وبيع الرغيف بمائة درهم⁽²⁾ .. " ولا تختلف رواية الغزي في هذا الصدد، إذ يقول "وأراد الإقامة بها (تبريز) ليستولي على إقليم العجم وما فيه، فما أمكنه ذلك لكثرة القحط .. فرجع الى الروم .. " ⁽³⁾ بينما يرجح بعض الباحثين التراجع العثماني بسبب تمرد الإنكشارية في جيش سليم، ورفضهم الاستمرار في الحملة خاصة بعد أن منع سليم أعمال النهب في المدينة، الأمر الذي كان سيجني منه الإنكشارية غنائم كثيرة⁽⁴⁾ وكذلك امتناعهم عن الاستمرار لشدة البرد الذي عرفت به الأراضي الإيرانية، ومع عدم وجود الألبسة الملائمة للجند لهذا الفصل⁽⁵⁾، زد على ذلك أن دخول العثمانيين تبريز كان في فصل الخريف وهو فصل انتشار مرض الملاريا في المنطقة،

(1) Allouche. Adel, Op. Cit, P120-121.

(2) النهروالي، الإعلام بإعلام بيت الله الحرام، ص 198 أ .

(3) الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ج 1، ص 209.

(4) Sykes. Percy, Op, Cit, Vol2. P163

(5) برجاوي، سعيد أحمد، الإمبراطورية العثمانية، ص 94؛ كاريوس، شاهين، تاريخ إيران، ص 149.

فأصيب عدد كبير من جنود العثمانيين بهذا المرض، فلم يطق العثمانيون الإقامة، وآثروا الانسحاب⁽¹⁾.

هناك وجهة نظر أخرى فيما يخص انسحاب السلطان سليم من تبريز، وحرمانه من جني ثمار النصر بالقضاء على الدولة الصفوية، ومطاردة الشاه إسماعيل، وهي أن المصادر الصفوية مع عدم نفيها للأسباب السابقة، فإنها تعتبرها غير كافية، للانسحاب من المدينة بعد ثمانية أيام من دخولها، وتؤكد، أن السبب الرئيسي هو " سماع السلطان في تبرز أنباء التحاق قوات العشائر بالشاه إسماعيل في درجزين، والتفافهم حوله بانتظار شن الهجوم على القوات العثمانية، لإسترداد مدينة تبريز منها .. فخشى السلطان عاقبة مكثه في تبريز وعزم على العودة على الرغم من إعجابه بمناخها وجمال الطبيعة فيها "⁽²⁾، وهذا ما أشار إليه الأمير نادر ميرزا إذ يقول " غادرها إلى القسطنطينية لعلمه بمدى صلابه وشجاعة الملك الإيراني ولتوقعه هجومه القريب عليه "⁽³⁾، إضافة إلى مقاومة أهل تبريز وكفاح جنود إيران على حد قول عباس إقبال⁽⁴⁾.

بناءً على ذلك يمكن القول أن الجيش العثماني كان منهكاً، عند دخوله تبريز التي تفشت فيها المرض، وقد خسر هذا الجيش في جالديران بعض

(1) حسنين، عبدالنعم، إيران في ظل الإسلام، ص73- 74 ؛ الجمعي، عبد المنعم إبراهيم، العثمانيون في الميزان الإسلامي والعربي، ص34 ؛ لونكريك، ستيفن همبلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله الى العربية جعفر الخياط، ط2، دار الكشف، بيروت، 1949، ص19. س .

(2) ولايتي، على أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران، ص182- 184؛ الأمين، محسن دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مج، ص 124 .

(3) ميرزا، نادر، تاريخ جغرافي دار السلطنة، تبريز، ص 46 .

(4) اقبال، عباس، تاريخ إيران أز غارتا انقراض قارجاربه، ص667.

قواده، فمضى السلطان راجعاً دون أن يعقد صلحاً مع الشاه الصفوي⁽¹⁾ وسحب جيشه الذي أنهكه الجوع والمرض وقسوة البرد ورجع سليم، ولكن من طريق آخر، يمتد نحو أرمينيا، لتبدأ سلسلة من الملاحقات لبقايا الصفويين في كردستان وديار بكر .

- ضم إمارة ذو القدر :

بعد خروج الجيش العثماني من تبريز خاض مجموعة من المعارك مع الصفويين، وأن لم يكن بتلك الضراوة التي شهدتها معركة جالديران، فكانت أولى الأراضي المكتسبة أريفان (Erivan) العاصمة الأرمينية، ثم سيطر على الأشكرد (Alashkerd) ثم على باسين (Pasin)، وبيابورد (baydurd)⁽²⁾، ثم جعلها السلطان تحت قيادة محمد باشا بايقللي، كولاية حدودية، شمال شرق الدولة العثمانية⁽³⁾ ثم وصل مدينة أماسية في 24 نوفمبر، وعسكر فيها، وستصبح هذه المدينة منذ الآن مركزاً للتحركات العسكرية للسلطان سليم .

لكي يعزز السلطان قبضته على هذه المنطقة، ومن مركزه في الربوع الشتوية في أماسيه، أمر محمد باشا أن يحاصر حصن قاماخ، الذي يقول عنه القرمانلي "إنه من أمنع الحصون في الدنيا"⁽⁴⁾ والواقع على قمة مرتفع يصل نهر الفرات قرب أرزنجان، ولم يسقط هذا الحصن لغاية مايو 1515 م⁽⁵⁾.

(1) أرسل الشاه سفيره نور الدين عبد الوهاب، الى السلطان سليم لعقد الصلح وان تكون الحدود الصفوية منطقة أرس كحد فاصل بينهما، وأن يخطب باسمه في المساجد بإيران، لكن السلطان رفض هذا العرض، مهدوي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خاجي إيران، ص

22-21

(2) الجميل، سيار، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ص 337.

(3) Parry. V.J, Op. Cit. P71.

(4) القرمانلي، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص 314.

(5) Shaw, Stanford. Op. Cit. P81

إن الاستيلاء على قاماخ الاستراتيجي أكد أن ساعة الحساب قد جاءت لعلاء الدولة أمير ذو القدر، حيث لم ينس سليم سلوكه العدائي خلال حرب جالديران، وكان سليم في وقت سابق في نوفمبر 1514 م، قد عين ابن أخ علاء الدولة المدعو "على شاه سوار أوغلو" حاكماً لقيصري وأرسله ليغير في أراضي عمه، وفي يونيو 1515 م انتدب السلطان صدره الأعظم سنان باشا على رأس عشرة آلاف انكشاري⁽¹⁾، وفي هذه الأثناء حاول الشاه إسماعيل أن يمد علاء الدولة بالمساعدات تشجيعاً له، على الوقوف ضد الزحف العثماني، لكنه لم يصل إلى هدفه، لسرعة الزحف العثماني⁽²⁾ وهُزم وذبح علاء الدين مع أربعة من أبنائه، في (كووك سو)، وعين السلطان بدلاً منه ابن أخيه على أوغلو، واشترط عليه أن تكون الخطبة والسكة باسم السلطان⁽³⁾.

ثانياً : الصراع على كردستان .

كردستان أي بلاد الأكراد، وأطلق عليها فيما بعد ولاية شيروز، وهي المنطقة التي تتمثل في ديار بكر، وتمتد من بحيرة أروميا إلى الفرات، وإلى حد ما في أذربيجان، وإلى حد ما آخر في الأناضول، كما وضحتها ستانفورد شو⁽⁴⁾، تشمل كذلك الجزيرة (الأراضي الواقعة بين دجلة والفرات) وتشمل هذه الأراضي الآن، السلمانية وأربيل وكركوك ومنطقة كرمنشاه، وجزءاً من أذربيجان⁽⁵⁾، وكان الشاه إسماعيل قد استولى عليها، بدءاً من

(1) Parry. V.J, Op. Cit.P71

(2) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 81.

(3) القرمانلي، أخبار الدول...، ص 314؛ البليسي، شرف خان، شرفنامه، ج 2، ص 141-142.

(4) Shaw. Stanford, Op.Cit. P82

(5) الحرتي، نزار عبد اللطيف، العلاقات العربية الفارسية، دراسة تحليلية، دار واسط، لندن-

بغداد، 1982م، ص 29 .

1507 م فكان من الطبيعي أن يتوجه إليها العثمانيون بعد انكسار الصفويين في جالديران .

إن أهم ما يميز الصراع الصفوي العثماني على منطقة كردستان محاولة الدولة العثمانية، استدراج الأكراد واحتوائهم ضمن سياسة معينة اتبعتها في المنطقة، فقد كانت الدولة الصفوية ترمي إلى القضاء على الحكومات الكردية والإمارات المحلية الوطنية، وإحلال الحكم الصفوي المباشر محلها، وسيوضح لاحقاً عدم تبني العثمانيين لهذه السياسة .

أن الشيوخ الأكراد " الإقطاعيين " قد قبلوا على مضض السيادة الصفوية ولكنهم أعلنوا استقلالهم في المدة التي تلت معركة جالديران، من جهته أدرك السلطان العثماني، أن أي جهد لغزوهم، قد يتطلب قوة عسكرية كبيرة للغاية، وهو ما ليس بمقدوره أن يتعهد به، لأنه بصدد إعداد حملة لمحاربة المماليك، هكذا فإنه منح الشيوخ والأمراء الأكراد دعماً مالياً وعسكرياً مقابل أن يحولوا ولاءهم للعثمانيين⁽¹⁾، وكان أمراء الأكراد أرسلوا وفداً لطلب المساعدة والحماية العثمانية، فقبل السلطان طلبهم في المرة الثانية، وأرسل إلى مدينة أمد بديار بكر، محمد باشا بايقلی على رأس ألف جندي لمحاربة القوة الصفوية بقيادة قرة خان⁽²⁾.

عندما كان سليم في أماسيه ندب الشيخ إدريس البديليسي (المؤرخ العثماني الشهير صاحب كتاب شرفنامه)⁽³⁾ للعمل على إثارة الأمراء الأكراد ورؤساء العشائر وحكام المقاطعات على حكم الشاه المتمثل بحامياته العسكرية القوية في كردستان⁽⁴⁾ ونجح البديليسي في مهمته فقد استطاع أن يحصل على دعم

(1) زكي، محمد أمين، تاريخ السليمانية، نقله إلى العربية جميل أحمد الروزياني، شركة النشر والطباعة، بغداد، 1951م، ص 87-38 ؛ Shaw, Stanford. Op. Cit, p.82.

(2) ايفانوف، نقولاوي، الفتح العثماني للأقطار العربية، ص 84.

(3) هيوار، " البديليسي "، دائرة المعارف الإسلامية، مج 3، ص 464 - 465 .

(4) زكي، محمد أمين، خلاصة تاريخ الكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد علي عوني، مطبعة السعادة، مصر، 1993م، ص 175 - 176.

عشرين من أمراء كردستان توجهوا جميعاً تحت قيادته إلى ديار بكر لإخراج الوالي الصفوي منها⁽¹⁾.

لئن خسر الشاه الصفوي معركة جالديران، فإنه ما زال محتفظاً بقوة يستطيع أن يقاوم بها الغزو العثماني لكردستان، الأمر الذي سيؤدي إلى معركة أخرى فاصلة نتيجة للارتداد الصفوي .

- الارتداد الصفوي :

سبقت الإشارة إلى ظروف انسحاب الجيش العثماني من العاصمة الصفوية تبريز، وما كان من توجهه للسيطرة على أراضي ذو القدر وكردستان، الأمر الذي أعطى وقتاً كافياً للشاه إسماعيل الصفوي لتنظيم جيشه، فرغم خسارته في جالديران وانكسار جيشه، بدأ يستعيد قوته العسكرية، وينظم جيشه ثم عاد إلى عاصمته تبريز⁽²⁾ وبدأ جيشه في تحركات إرتدادية على شكل حملات عسكرية على مراكز السيطرة العثمانية، على محوري أنربيجان - تبريز، وكردستان - بلاد الجزيرة، فسقطت عدة مدن وقلاع تباعاً⁽³⁾ الأمر الذي يشير لعدم تقدير السلطان العثماني لحقيقة خصمه الصفوي .

كانت أولى الحملات الصفوية، حملة وجهها الشاه إلى ديار بكر بقيادة قره خان، الذي أتصل بحاميات قلاع ماردين والرها من أنصار الصفويين، واستصحبهم وزحف على ديار بكر، حاصرها حصاراً شديداً، فاستجد أهلها بالسلطان العثماني المعسكر بأماسيه، فأرسل إليهم قوة عسكرية بقيادة حاجي

(1) المرجع نفسه، ص 177.

(2) نفسه .

(3) الجميل، سيار، العثمانيون تكوين العرب الحديث، ص 132 - 133.

بكنا أحمد، تمكنت من شق صفوف المحاصرين الصفويين، والدخول الى قلعة المدينة، وفي هذه الأثناء أرسل الشاه بدوره نجده لقائده قره خان، وفي أثناء سيرها في أطراف أرجيش بين الجبال، تمكن أدريس البدليسي- حليف السلطان سليم- من حشد قوات كردية، قواها عشرة آلاف جندي، من : بدليس، خيزان، مكس، وصاصون وباغت هذه القوات وانتصر عليها في أرجيش⁽¹⁾.

دام حصار القوات الصفوية لديار بكر سنة ونيفاً، مات خلاله زهاء خمسة عشر ألفاً من السكان، الأمر الذي جعل السلطان العثماني، يرسل نجدة كبيرة بقيادة محمد باشا بايqli، الذي انتصر حديثاً على الصفويين في أمد⁽²⁾، والتقى مع قوات إدريس البدليسي في حصن كيفا، للعمل على فك حصار ديار بكر، بعد أن غدت المنطقة المنحصرة بين خربوت وأمد تحت السيطرة العثمانية، وزحفا نحو ماردين التي سقطت سلماً عدا قلعتها التي استلزم اقتحامها قوة عسكرية إضافية مؤلفة من عشرين ألف مقاتل بقيادة خسرو باشا حاكم قرمان في ربيع 922هـ-1516م⁽³⁾.

إن تعدد القادة في القوات العثمانية، قد أوقع الخلاف فيها، خاصة بين القائدين بايqli باشا وشادي باشا، فترك الأخير ساحة الأحداث، قاصداً الأناضول وقد عزز الخلاف موقف الصفويين، ما جعل قائدهم قره خان يسارع بإرسال قوة من الحرس الشاهاني (الملكي) مؤلفة من 600 مقاتل، إلى قلعة سنجار، أجبرت قوات أبي المواهب أحد اتباع البدليسي، إلى الانسحاب

(1) زكي، محمد أمين، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان...، ص 177.

(2) القرمانلي، أخبار الدول وأثار الأول...، ص 433.

(3) البدليسي، شرفنامه، ج1، ص 433 .

إلى ماردين⁽¹⁾، فأرسل محمد بايفلي قوة مؤلفة من 4000 مقاتل - يُعتقد أن مهمتها كانت استطلاعية فقط⁽²⁾ - بقيادة حاكم خربوت حسن بك، التقت بالقوات الصفوية، في معركة عنيفة، انتهت بهزيمة القوة العثمانية، وقتل منها 3000 جندي، وعادت بقية الحملة إلى المعسكر العثماني⁽³⁾. سيؤدي هذا الانتصار - المؤقت - الصفوي إلى مواجهة أخرى حاسمة، ستغير مصير شمال العراق وجنوب شرق الأناضول .

- معركة قره غين دده والسيطرة على شمال العراق :

إن تحركات القوات الصفوية بقيادة قره خان، منذ مطلع سنة 1515 م اتجاه الحاميات العثمانية المرابطة في شرق الأناضول وشمال العراق، اتخذت محوراً يمتد على شكل هلال: خوي - كركوك - أربيل - الموصل - سنجار - ماردين - ديار بكر، إضافة إلى القوات المرابطة في ماردين وأورفه " الرها " وحصن كيفا⁽⁴⁾، في المقابل تجمعت القوات العثمانية بقيادة خسرو باشا، إضافة إلى حليفهم الكردي إدريس البدليسي بين أورفه ونصيبين، على مقربة من " فوج حصار " في موقع يعرف بـ قره غين دده في مايو 1516م⁽⁵⁾.

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 434 ؛ الجميل، سيار، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ص 340.

(2) البدليسي، نفسه، ص 434 .

(3) زكي، المصدر نفسه، ص 180.

(4) الجميل، سيار، حصار الموصل، الصراع الإقليمي واندحار نادر شاه، الموصل، 1990م، ص 70-71.

(5) الجميل، سيار، بقايا وجذور: تكوين العرب الحديث، الأهلية، عمان، 1997م، ص 112.

دارت معركة عنيفة ⁽¹⁾ أسفرت عن هزيمة مروعة للقوات الصفوية، رغم المقاومة العنيدة التي أبدتها، وخر قائدها قره خان صريعاً، فوهنت قواته وتفككت عدته وانهزم جنده، وهرب من نجا منهم، نحو صحار وسنجار، لكي يموتوا ظمأى في مفازاتها الرملية، لتخلص ديار بكر للحكم العثماني ⁽²⁾ كما قادت هذه المعركة الفاصلة إلى نتائج هامة فأفضت بسيطرة العثمانيين على شمال العراق وشرق الأناضول بجميع مدنه: أرجاني، سبوك، باريسيك، حصن كيفا، ميفارقين، سعرت ديار بكر، نصيبين الموصل، حصن سوران، أورفة، كركوك ⁽³⁾.

يمكن القول إنه كان لضم شمال العراق والأناضول الشرقية نهائياً للدولة العثمانية، نتائج استراتيجية واقتصادية مهمة منها أنها حمت الهضبة الأناضولية في الشرق من الخطر الصفوي ⁽⁴⁾ إضافة إلى سيطرة العثمانيين على المحاور الثلاثة :

- 1- محور تبريز - إروان - قره باغ .
- 2- محور أرماسيه - كماخي .
- 3- محور ديار بكر - ماردين - الموصل ⁽⁵⁾.

(1) تقول أسطورة عثمانية ان المعركة بدأت بقتال بين الفراشات فقد حط بين الجيش العثماني والجيش الصفوي، سربان من الفراشات، واحداً أبيض والآخر أحمر.. ودار قتال بين السربين، فانتصرت الفراشات البيض وكان ذلك فال خير ألهب الحماس بين الجنود العثمانيين، إيفانوف، بيقولا، الفتح العثماني للأقطار العربية، ص 85 .

(2) الجميل، سيار، بقايا وجذور...، ص 112؛ Parry. V.J, Op. Cit, P71.

(3) الجميل، سيار، بقايا وجذور، ص 113؛ زكي، محمد أمين، خلاصة تاريخ الكرد والكردستان...، ص 180-181.

(4) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 409-410.

(5) طقوش، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، بيروت، 1995م، ص 144.

إن ذلك يعني سيطرة الدولة العثمانية على طرق نقل الحرير الإيراني، التي تصل تبريز بخلب، أو تبريز ببورصة، عدا أنها أمنت حدودها الشرقية، بأن جعلت من الإمارات الكردية ⁽¹⁾ جداراً يقيها من أي هجوم من الطرف الصفوي ⁽²⁾.

هكذا أضعفت ضربتي جالديران (1514) وقره غسين دده (1516) الدولة الصفوية، وأوقفت نشاطها في الغرب، بينما استمرت حروبها مع الأوزبك في الشرق في الوقت الذي انشغل فيه خليفة سليم وابنه السلطان سليمان القانوني بحروبه في أوروبا إلى أن جاءت سنة 1534 م بحملة عثمانية كبرى على الأراضي الصفوية عرفت في التاريخ العثماني بحرب العراقيين .

(1) عند سيطرة الدولة العثمانية على كردستان، عقدت مع ثلاثة وعشرين أميراً كردياً، على

رأسهم إدريس البدليسي، اتفاقية تحالف سنة 1515م أهم بنودها:

1- تحتفظ الإمارات الكردية باستقلالها التام .

2- تستمر وراثته الإمارة من الأب إلى الابن، ويعترف السلطان العثماني بالوريث الشرعي

بفرمان خاص،

3- يساهم الأكراد في كافة الحروب التي توكل إليهم من قبل الدولة العثمانية .

4 - يساهم الأكراد بتقديم الهدايا للدولة العثمانية بشكل مصاريف فعلية.

5- تقوم الدولة العثمانية بمساعدة الأكراد ضد أي عدوان أجنبي عليهم.

Creasy. Op. Cit. P.225

(2) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 134 .

المبحث الثالث

الصراع من 1534م الى 1548م

- حرب العراقيين 1534 م .
- حملة سليمان القانوني بالتحالف مع القاص ميرزا الصفوي 1548-1549 م .

أولاً : حرب العراقيين 1534 م .
- أسباب الحملة :

بعد مضي تسعة عشر عاماً على حرب جالديران، ساءت العلاقات أكثر بين الدولتين العثمانية بقيادة السلطان سليمان القانوني، والصفوية بزعامة الشاه طهماسب ابن إسماعيل، بسبب سلسلة من الأحداث، كان لها دور بارز في بدء حملة سليمان القانوني على إيران سنة 1534م، لعل أهمها تغيير ولاء بعض الولاة وانضمامهم للطرف الآخر، يأتي في مقدمتهم ذو الفقار الكردي .

على أثر موت الشاه إسماعيل سنة 1524م، طمح في العراق الأمير ذو الفقار⁽¹⁾ وحمل بالكلهوريين على بغداد، وحاصرها أربعين يوماً، واستولى عليها سنة 930هـ/ 1524 م وأسس بها دولة كردية، ثم أعلن تبعيته للصفويين، ولكنه خاف من الشاه طهماسب، فاحتدى بالسلطان العثماني وخطب له على المنابر وضرب باسمه السكة، وأرسل وفداً لعرض خضوعه والدخول تحت سيادته، ولكن ما لبث أن وأد الشاه هذه الحركة سنة

(1) هو ذو الفقار ابن نخوذ سلطان، رئيس قبيلة موصلو من عشيرة كلهور الكردية، الذي كان مسئولياً على أطراف لورستان (الاهواز)، الأعظمي، على، تاريخ الدول الفارسية في العراق، مكتبة الثقافة الدينية، بغداد، 1927، ص 106 .

936هـ/1530 م، حيث استطاع أن يستولي على بغداد مرة أخرى، وقتل ذو الفقار بعد أن حرض أخويه على بيك وأحمد بيك بقتله⁽¹⁾.

لا شك أن إعلان الأمير ذو الفقار التبعية للسلطان سليمان، يعني دخول بغداد في أراضي الدولة العثمانية، وأن قتل الشاه ذو الفقار وزحفه بنفسه على بغداد، عده السلطان سليمان تعدياً مباشراً على الدولة العثمانية، فكانت هذه الحادثة من الأسباب التي عجلت بخروج السلطان .

إن ثاني هذه الأحداث هو لجؤ (أولامه تكلو) حاكم إقليم أذربيجان الصفوي إلى البلاط العثماني، وأخذ يحرض السلطان العثماني على الاستيلاء على إيران، ويصور له حقيقة الوضع الداخلي للصفويين⁽²⁾، طبقاً لأحمد الخولي فإن حملة القانوني على إيران كانت بتحريض من (أولامه تكلو) الخبير بالأراضي الإيرانية " الصفوية " ⁽³⁾ . لئن كانت الدولة العثمانية قد كسبت ولاء اثنين من أهم رجالات الدولة الصفوية إلى جانبها، فأنها خسرت ولاء أحد أهم حلفائها والتابعين لها، وهو حاكم إمارة بدليسي، إدريس البدليسي، وقد تمت الإشارة إلى دوره الكبير في استيلاء الدولة العثمانية على كردستان، ففي عام 939هـ 1532 م أعلن البدليسي خروجه عن التبعية العثمانية وانضمامه للصفويين، فبعث السلطان العثماني أولامه تكلو لمحاصرة بدليس، لكن الحصار فشل بسبب قدوم قوات صفوية لمساعدة الأمير البدليسي، فكان هذا العصيان أحد الأسباب لخروج حملة السلطان سليمان، إثر انتهاء حروبه مع إمبراطور النمسا⁽⁴⁾ لأن الشاه الصفوي عندما

(1) الأعظمي، علي، مختصر تاريخ البصرة، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2001، ص 143.

(2) البدليسي، شرف خان، شرفنامه، ج1، 434، ج2، 158-160 ؛ مانتران، روبيير، تاريخ الدولة العثمانية، ص 223.

(3) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 115 .

(4) لونكريك، ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص 21 .

بعث قوةً عسكرية لمساعدة حليفه الجديد، كان يعتقد أن السلطان سليمان لا يستطيع أن يرسل الجيوش لحربه ويفتح جبهة حرب أخرى في ذات الوقت، لاسيما وأن خصمه النمساوي لم يكن بالخصم السهل⁽¹⁾.

مع أهمية هذه الأحداث في توتر العلاقة بين الطرفين العثماني والصفوي، كانت هناك رسالتان⁽²⁾ أرسلهما السلطان سليمان الأولى إلى خسرو باشا واليه على ديار بكر، والثانية إلى الشاه الصفوي طهماسب الأول، تؤكد رغبة سليمان المبكرة في شن حملة على الدولة الصفوية، ففي رسالته إلى خسرو باشا سنة 931هـ - 1524م - أي قبل حملته بتسع سنوات تقريباً- يخبره بعزمه على القضاء نهائياً على الصفويين بعد أن ينتهي من حروبه في بلاد الصرب، ويأمر بالاستعداد للحرب ويطلب منه أن يقوم ببعض الهجمات على المناطق التابعة للصفويين⁽³⁾. أما الرسالة الثانية الموجه للشاه طهماسب مباشرة - بعد رسالة خسرو باشا - يشير فيها السلطان إلى أنه سيرسل الجيوش عما قريب وأن الذي أخره عن ذلك هو حروبه في أوروبا إذ يقول له " وإن ما أخرنا عنكم حتى ذلك الوقت هو أننا كنا قد أرسلنا جيوشنا الجرارة لفتح بلجراد ورودس"⁽⁴⁾.

- بدء الحملة :

عندما انتهى السلطان سليمان القانوني من حروبه في أوروبا- مؤقتاً - بعقده الهدنة مع شارلكان إمبراطور النمسا سنة 1533 م، مؤمناً حدوده

(1) شرف، مصطفى موسى، قبائل القزلباش ودورهم في العصر الصفوي، (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة عين الشمس، كلية الآداب، 1991م، ص 293.

(2) يوجد نص ترجمة الرسالتان في ملحق الرسالة، الأولى ص 270 - 271 (الوثيقة : 6)، الثانية ص 272 - 274 (الوثيقة : 7) .

(3) فريدون بك، منشآت السلاطين، ج1، ص 543 - 544.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 541 - 543.

الغربية من هجوم محتمل، أعلن الحرب على الدولة الصفوية، وتم تعيين إبراهيم باشا الصدر الأعظم قائداً للجيش الذي كُلف بالقضاء على تمرد البدليسي في كردستان، ثم توجه إلى بغداد، فسارت الحملة على محور (قونية، أضنه، إنطاكية، حلب) ⁽¹⁾ حيث قرر تمضية الشتاء في حلب، وعندما حل ربيع 940هـ / 1534م تحرك باتجاه غامد بديار بكر، ثم استولى على: أخلاطه، حواز، أرجش، ثم وان، وكذلك أحتل في شمال شرقي أرضروم مناطق من باسينلر الى أواطر ⁽²⁾.

في حقيقة الأمر أن البداية الفعلية لحرب العراقيين كانت بعد حوالي ثمانية أشهر من خروج حملة إبراهيم باشا، عندما تحرك السلطان العثماني سليمان بنفسه في 1534/6/11 م باتجاه إيران بحملة كبرى تعرف في التاريخ العثماني بحملة العراقيين، ويذكر صاحب كتاب شرفنامه " أسرع الوزير إبراهيم باشا في إفاد رسول على جناح الطائر بكل سرعة إلى عتبات السلطان في استانبول يخبره بتوجهه وزحف الشاه طهماسب إلى أذربيجان، ويلتمس قدوم الموكب السلطاني بسراده العظیم العالي إلى ديار العجم ⁽³⁾، بينما يرجع توفيق العربي في أطروحته سبب تحرك سليمان لسببين الأول تدمير الجنود خاصة أنهم يعتقدون أنهم متوجهون للاستيلاء على بغداد، وعندما وجدوا أنفسهم في أعماق إيران بدأوا في التذمر والعصيان، الثاني نتيجة للانتصارات التي حققها وزيره إبراهيم باشا، فخاف أن يقضي على الدولة الصفوية، يصبح له الفضل في ذلك؛ لذا سارع السلطان سليمان بالتوجه إلى هناك ⁽⁴⁾.

(1) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 156.

(2) لويد، سيتون، الرافدين، نقله إلى العربية طه باقر، بشير فرنسيس، بغداد، (د.ت)، ص 241؛ يلماز، أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص 339-340.

(3) البدليسي، شرف خان، شرفنامه، ج 1، ص 452.

(4) العربي، توفيق حسن، الصراع العثماني الصفوي على ضوء المصادر...، ص 67.

على كل حال في التاسع عشر من ربيع الأول 941هـ-15-7-
1534م وصل السلطان سليمان إلى تبريز، حيث أمضى بها يومين فقط إلى
أن جاءتته الأخبار بأن الشاه طهماسب موجود بجيشه بالقرب من مدينة
سلطانية⁽¹⁾، فاسرع السلطان إلى هناك وفي طريقه احتل شروان وغيلان،
وتقدم شرقاً حتى سلطانية، لكنه لم يجد الشاه فقد كانت خطة الشاه في حرب
السلطان، التراجع وتدمير الأراضي التي قد يمر العثمانيون بها، حتى لا
يترك لهم مكاناً يأوون إليه، أو طعاماً لهم ولدوابهم، وهي سياسة الأرض
المحرومة التي جرت سابقاً⁽²⁾.

وبناءً على ذلك قرر السلطان التوجه إلى بغداد، وهذا ما استخلصه
المؤرخ العثماني نظمي زاد، إذ يقول : " أن الشاه لم يستطع مقاومة السلطان
حينما توجه إلي بلاده، وتوغل في إيران، فاستولى على أذربيجان، ولم يقدر
على صده فصار يهرب من وجهه إلى هنا وهناك خائفاً متخفياً، وغرضه
تعجيز السلطان، لذا عزم السلطان أن يمضي إلى بغداد " ⁽³⁾.

- دخول بغداد :

تبين أن عبور جبال زاغروس إلى بغداد، كانت أقصى تجربة مر بها
العثمانيون خلال الحملة كلها، وقد وصف لونكريك هذه التجربة (العبور)
وصفاً دقيقاً : " إن برد تشرين الثاني وأمطاره والممرات الغير مطروقة في
المائة ميل الأخيرة من الجبل، جعلت مرور الجيش صعباً باهظ النفقات، فإن
الجداول الفائضة جرفت قسماً من المدفعية، وتركت مئات من الحيوانات، ثم

(1) القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص320؛ يازوكي، رضا، تاريخ إيران
أز مغول تا إفشارية تهران، 1334هـ. ش، ج1، ص 293 ؛ الصراعات الإقليمية،
ومحاولات الاستقلال www.mogatal.com.P.3.

(2) McCarthy. Justin. Op. Cit. P91; sykes. Percy, Op. Cit, Vol2, P164 .

(3) نظمي زاده، كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، ص 61 .

قل الحلم وخشنت الطباع حتى أهين الضباط الكبار، وأحرقت عربات المدافع، فدفنت المدافع نفسها لئلا يستفيد منها العدو وأخيراً أطل السلطان من بعيد على التلول البرية، ومن ورائها سهول العراق فارتاح لذل عظيم ارتياح⁽¹⁾.

عندما وصلت أخبار تقدم الجيش العثماني نحو بغداد إلى حاكمها الصفوي تکه لو محمد خان، لم يقو على مواجهته، فانسحب بجنوده إلى إيران، فتقدم الصدر الأعظم فور علمه بذلك على رأس مقدمة الجيش ودخل بغداد دون حرب في 22 جمادى الأول 941هـ - 28 نوفمبر 1534م، وبعد يومين وصل السلطان سليمان إلى بغداد ودخلها دخول الغزاة الفاتحين، وإبان دخوله المدينة توجه حاكم البصرة الموالي للشاه راشد خان إلى بغداد، وأعلن ولاءه للسلطان العثماني، بذلك مد العثمانيون حدودهم إلى الخليج العربي⁽²⁾.

مكث السلطان سليمان في بغداد أربعة أشهر، قام خلالها بتنظيم البلاد، وقسمها إلى عدة ولايات، ولابد من التأكيد أن دخول الجيش العثماني للمدينة لم يصاحبه أي اضطهاد ديني أو مذهبي، بل إن العثمانيين قدموا الحماية للشيعنة، كما قدموها لليهود والمسيحيين⁽³⁾.

(1) لونكريك، ستيفن، هيملي، أربعة قرون من تاريخ العراق، ص 22؛ نورس، علاء موسى، الصراع العثماني الفارسي وأثره على العراق في القرن الثامن عشر (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1995م، ص 6.

(2) العمري، ياسين، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدياء، ص 71؛ الأعظمي، علي ظريف، مختصر تاريخ البصرة، ص 144؛ نظمّي زاده، كلشن خلفا، ص 62؛ Savory, R. Op. Cit, p.62

(3) أيفانوف، نيقولا، الفتح العثماني للأقطار العربية، ص 89؛ غرابيه، عبد الكريم، تاريخ العرب الحديث، ص 55؛ نخبة من الباحثين العراقيين، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983م، ص 572، 573.

- الارتداد الصفوي :

أثناء انشغال السلطان سليمان بتنظيم شؤون العراق خرج الشاه بعد اختفائه وأخذ في استرداد إقليم أذربيجان، ثم استرجع تبريز في 3 جمادى الآخر 941 هـ/ 9 ديسمبر 1534 م، فقد كان الشاه يدرك تماماً ما يفعله، فهو يعلم أن السلطان قد أعاد جنوده إلى مشاتيها وأنه من الصعب تجميعها في فصل الشتاء بسرعة كافية، يستطيع بها إمداد حمايته العسكرية في تبريز، بالإضافة إلى أنه أراد أن يثبت للعثمانيين أنه قادر على استرداد كل الأراضي التي استولوا عليها بمجرد خروجهم منها⁽¹⁾ وأن أية حامية عثمانية مهما كانت قوتها لن تستطيع الصمود أمام قواته، وفور وصول هذه الأخبار إلى السلطان، أرسل أمير ديار بكر لإمداد حامية تبريز كما أسرع في تجميع الأمراء والجنود من مشتاهم⁽²⁾.

لم ينتظر السلطان حلول فصل الربيع، واتجه على عجل إلى تبريز بعد أن ترك حامية في بغداد، وعندما تناهت هذه الأخبار إلى مسامع الشاه، فك الحصار عن قلعة "وان" وأنسحب بجنوده إلى تبريز، ثم هرب إلى أصفهان، وفي هذه الأثناء تقدم السلطان نحو تبريز فدخلها وظل بها تسعة عشر يوماً، وقد علم أن الشاه ترك أصفهان وانسحب إلى مكان غير معروف، ويبدو أن السلطان كان على قناعة بأن الشاه لن يقدم على مهاجمة الجيش العثماني، فغادر السلطان تبريز بحثاً عنه، وعندما تأكد أنه لن يعثر عليه قفل عائداً إلى تبريز، ثم أصدر أوامره بالعودة إلى استانبول⁽³⁾.

(1) لم تتحدد المصادر - المتاحة للباحث - عدد القوات العثمانية التي اجتاحت الأراضي الإيرانية والعراق إلا أن الشاه طهماسب الأول في مذكراته، قدر بأن 300 ألف فارس عثماني قد شاركوا في هذه الحملة، طهماسب، تذكرة طهماسب، ص 14.

(2) McCarthy. Justin, Op. Cit. P91.

(3) الحموي، أحمد بن محمد، فضائل سلاطين بني عثمان، ص 38؛ القرمانلي، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص 321؛ Sykes. Percy, Op. Cit, 125.

في هذه الأثناء استرد الشاه طهماسب تبريز بمجرد خروج العثمانيين منها، واسترد كل موقع في أذربيجان بعد مغادرة العثمانيين له بيومين على الأكثر حتى وصل الجيش الصفوي مدينة وان فأرسل السلطان محمد باشا وأولامه باشا لاسترداد المدينة، ولكن الجيش الصفوي الذي كان متحصناً بجوار وان، هزم القوات العثمانية واضطرها للانسحاب⁽¹⁾.

أمام هذه الارتدادات الصفوية فضل السلطان العثماني عدم العودة مرة أخرى لقتال الشاه واسترداد تلك الأراضي من جديد، لاسيما أنه يعلم أن الشاه لن يظهر لقتاله وجهاً لوجه وأنه سينسحب إلى أعماق إيران فور علمه بعودة الجيش العثماني، كما إن إعادة القوات العثمانية وفتح هذه المناطق مرة أخرى سيكون مكلفاً للجهد والمال، إذ أن الشاه سيستردها مرة أخرى بمجرد خروج الجيش العثماني منها، ولهذا فضل إكمال طريقه إلى استانبول مكتفياً بسيطرته على بغداد وهمذان وقد استغرقت هذه الحملة عامين وشهرين وثمانية عشر يوماً وسميت بـ "حرب العراقيين" لأنه تم فيها الاستيلاء على بغداد حاضرة العراق العربي وأصفهان حاضرة العراق العجمي⁽²⁾.

لقد أثبتت نهاية الجولة الثانية من الصراع الصفوي العثماني أن الظروف الطبيعية والجغرافية في إيران في صالح الصفويين، وأن القضاء على الدولة الصفوية أمر بعيد المنال، كما دلت على أن دخول العراق في التبعية العثمانية قد أعطى بعداً آخر للصراع، بوصول العثمانيين إلى الخليج العربي إضافة إلى وجود العتبات الشيعية المقدسة به، ولئن كانت الدولة العثمانية قد استطاعت السيطرة على العراق فإنها أدركت تماماً صعوبة

(1) البليسي، شرفنامه، ج1، ص264؛ Morgan. David, Op. Cit. 125 .

(2) يلماز، أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص342، 343؛ العربي، توفيق، الصراع العثماني الصفوي...، ص72؛ أحمد تمام "سليمان القانوني وقمة عهود الدولة العثمانية"

الحفاظ على المدن الصفوية الأخرى التي تم الاستيلاء عليها كل هذه الاستنتاجات أُنذرت بوقوع حرب جديدة مرتقبة بين الطرفين .

ثانياً : حملة سليمان الثانية بالتحالف مع القاص ميرزا الصفوي 1548-1549 م .

إن العلاقات الصفوية العثمانية لم تعرف الاستقرار الكامل خلال النصف الأول من القرن السادس، فبعد الإخفاق -النسبي - للسلطان سليمان القانوني في حملة سنة 1534 على إيران، وعدم تمكنه من هزيمة الجيش الصفوي بسبب تجنب الشاه طهماسب مواجهة الجيش العثماني في حرب ميدانية مفتوحة، بدأ السلطان سليمان يتحين الفرصة لشن حملة للقضاء على الدولة الصفوية، لاسيما وأن الدولة العثمانية في أفضل حالاتها، وأن سلطانها قام بعشر حملات كبرى لتوسيع رقعة دولته ⁽¹⁾ في المقابل انشغل الصفويون - كعادتهم - بحروبهم مع الأوزبك في الشرق، خاصة في عهد زعيمهم عبد الله خان الأوزبكي وابنه عبد العزيز ⁽²⁾، وقد وجد السلطان سليمان الفرصة المناسبة لغزو إيران عندما لجأ إليه القاص ميرزا أخو الشاه طهماسب الصفوي .

لم يكن القاص ميرزا ابن الشاه إسماعيل حاكم شروان - منذ 1538م - على وفاق مع أخيه الشاه طهماسب، فأعلن سنة 1546م الاستقلال عن الشاه وسك النقود باسمه وذكر اسمه في الخطبة ليس على مستوى شيروان فحسب، بل على مستوى إيران كلها ⁽³⁾ فتوجه طهماسب إلى شيروان للقضاء

(1) يلماز، أورتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص 345.

(2) يازوكي، رضا، تاريخ أز مغول تا أفشارية، ج 1، ص 294-295.

(3) القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص 321 ؛ إيوار، " طهماسب الأول "، دائرة المعارف الإسلامية، مج 15، ص 306 - 308 .

على تمرد أخيه واستولى على شيروان وعين ابنه إسماعيل حاكماً عليها تحت وصاية " كوكجه سلطان قاجار " ⁽¹⁾ فانهمزم القاص ميرزا، وفر باتجاه الدولة العثمانية وعلى الحدود العثمانية أرسل للسلطان يخبره بمجيئه، فأمر السلطان بإكرام وفادته ووعده بمهاجمة إيران حين تحين الفرصة المناسبة ⁽²⁾.

وقد كانت دوافع السلطان العثماني متعددة لشن حرب على الصفويين، خاصة بعد أن فقد تبريز أبرز المناطق الإستراتيجية على طريق الحرير، ثم رأى في شيروان أنها تؤلف عقدة مواصلاته بين القوقاز وإيران، علاوة على أنها - شروان - تعتبر أحد المناطق المهمة لإنتاج الحرير ⁽³⁾.

على أثر هذه المستجدات بدأ السلطان سليمان للإعداد لحملته الثانية على الدولة الصفوية خاصة بعد أن أخبره القاص ميرزا، أن هناك الكثير من أمراء القزلباش يريدون إجلاسه على العرش الصفوي، بدلاً من أخيه طهماسب، فاستدعى أولامه باشا والي أحد سناجق الرومان إلى استانبول وعينه أميراً على أرضروم ومستشاراً وملازماً للقاص ميرزا، وأرسلهما قبل تحركه على رأس جيش إلى إقليم أذربيجان الصفوي ⁽⁴⁾.

في 20 صفر 955هـ - 1548 م تحرك السلطان سليمان بجيشه ناحية إيران، وعندما اقترب من حدود أذربيجان، أرسل أولامه باشا وأمير قرمان للاستيلاء على قلعة "وان" التي استولى عليها الصفويون بعد حرب

(1) مهدي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 31؛ يازوكي، تاريخ إيران از مغول...، ص 196.

(2) صباغ، إسماعيل عباس، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 180.

(3) Savory, R., Iran under the Safavids. Cambridge, PP26-36

(4) البديليسي، شرفنامه، ج 2، ص 17؛ بستك، محمد الأعظم، أحداث ووقائع ومشايخ بستك...، ص 38.

العراقين مباشرة، وأكمل هو طريقه ناحية تبريز، وكان السلطان ينتظر طوال الطريق لكي ينضم أمراء القزلباش إلى القاص ميرزا الذي ادعى أنهم سينضمون إليه فور عودته إلى إيران، بل أن اتباع القاص ميرزا الذين كانوا معه عند لجوئه للعثمانيين نفروا منه وعادوا إلى الشاه طهماسب، لهذا لم ير السلطان أنه من المناسب البقاء في تبريز، وغادرها على عجل إلى (وان) وحاصرها لمدة عشرة أيام سلمت بعدها حاميتها طالبة الأمان، وبعد أن حصنها وترك بها بعض المدافع وحامية عسكرية عين عليها جركس عثمان باشا، واتجه هو إلى ديار بكر. لتمضية فصل الشتاء بها⁽¹⁾.

أثناء مقام السلطان سليمان في ديار بكر جاءت الأخبار بأن بعض الفرق القزلباشية هجمت على نواحي أذربيجان، وقامت بتخريب وتدمير قراها انتقاماً من أهلها الذين استسلموا للعثمانيين فأرسل أحد مساعديه أحمد باشا للتصدي لهم، وعندما وصل الأخير بالقرب من قلعة كماغ استطاع جركس عثمان باشا حاكم "وان" إلحاق الهزيمة بأحد فرق الجيش الصفوي، ثم لحق السلطان وهو في طريق عودته إلى ديار بكر⁽²⁾، حيث انتظر السلطان فيها على أمل أن يظهر الشاه من مكان اختفائه، لكن دون جدوى، ولهذا لم يجد السلطان فائدة من التوغل في إيران بحثاً عنه، وخطط للعودة إلى استانبول⁽³⁾.

في المقابل توغل القاص ميرزا في العمق الإيراني، واستولى على أصفهان والأهواز وشوشتر وقم وحصل "على غنائم لا توصف في نفاستها ولا تعد في كثرتها"⁽⁴⁾، ولا يعلم يقيناً سبب غضب السلطان سليمان من القاص

(1) العربي، توفيق حسن، الصراع العثماني الصفوي؛ ص 76، ص 76؛

Sykes.Percy.Op.Cit,vol 2,p.164

(2) البديلي، شرفنامه، ج 2، ص 175-177.

(3) القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص 32 .

(4) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، ج 4، ص 53 .

ميزراً إلا أنه من المؤكد أنه أمر جنوده بالتخلي عنه فتركوه يقع أسيراً في أيدي الصفويين الذين حملوه إلى أخيه الشاه، فأمر بحبسه في قلعة قهقمة⁽¹⁾. وهكذا لم تضع هذه الحرب -مثل سابقتها- حداً للصراع الصفوي العثماني، إذا أكدت للعثمانيين أن القضاء على الدولة الصفوية غاية في الصعوبة، ولئن استطاع السلطان العثماني احتلال العاصمة الصفوية تبريز بسهولة، فإن عودته السريعة إلى استانبول بعد يأسه من العثور على الشاه، قد أعطى الفرصة للأخير لاسترجاع تبريز وكافة المناطق التي استولى عليها العثمانيون، باستثناء منطقة "وان" بينما بقي إقليم كورجستان المسيحي بؤرة التوتر بين الطرفين، ما أُنذر بجولة أخرى للصراع بعد أقل من ست سنوات ليس غير .

(1) جمعة، بديع ؛ أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، ج 1، ص 126 .

المبحث الرابع

الصراع من سنة 1553/1555م

- حرب نخجوان 1553م .

- معاهدة أماسيه 1555م .

أولاً : حرب نخجوان 1553م .

لقد اتخذ الصراع الصفوي العثماني مع بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي شكلاً آخر عما كان عليه من قبل، وذلك لعدة أسباب لعل أهمها دخول مناطق جديدة ضمن دائرة الصراع وأهمها منطقة كرجستان (جورجيا) المسيحية وأرمينيا الصغرى، إضافة إلى أن الصفويين هذه المرة قد لمسوا في أنفسهم المقدرة على مواجهة العثمانيين فبدأوا في الأعمال الحربية على الحدود ما عجل في الحملة العثمانية الرابعة على إيران .

أصبحت منطقة كرجستان⁽¹⁾ حلبة جديدة للصراع، وكانت كلتا الدولتين العثمانية والصفوية تسعى لبسط نفوذها وسيطرتها على هذه المنطقة، وترجع أهمية كرجستان الى أنها كانت مورداً كبيراً لكلتيهما عن طريق الجزية التي يدفعها أهلها المسيحيون، كما كانت تعد موقعاً استراتيجياً مهماً لوقوعها بين الدولتين⁽²⁾ عدا عن كونها منتجة للحديد لاسيما في منطقة كنج⁽³⁾.

(1) منطقة جبلية ضم أراضي القوقاز وتتمتع بحدود منيعة من الجبال في الشمال والجنوب، أشهر مدنها كنجة شروان، تفليس، شكي، شماخي، كارنيل، وكاخت، دخلت كرجستان في سبعة حروب مع الشاه طهماسب بين سنتي 1541-1569م، صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 127.

(2) العربي، توفيق حسن، الصراع العثماني الصفوي...، ص 87.

(3) The encyclopaedia of Islam.leiden.1980.vol 3.P211

أما أرمينيا الصغرى ⁽¹⁾ التي تمتاز بمناظرها الخلابة وبحيرتها الكبيرة (بحيرة الأرمن) التي كانت محل نزاع بين العثمانيين والصفويين، فقد كان كل منهما يعين حاكماً من قبله عليها، ولئن كانت قد دخلت في التبعية العثمانية بعد حملة القانوني الأخيرة فإن الصفويين لم يعترفوا بهذه التبعية ⁽²⁾.

لقد كانت بداية هذه الأحداث هذه المرة صفوية، حيث توجه الشاه طهماسب في سنة 959هـ / 1553 م لإخضاع أرمينيا الصغرى، وحاصر قلعة أخلاط، وسيطر عليها ثم انتقل إلى أرجيش التي طال حصارها، فرضخت للشاه في نهاية الأمر، بينما تقدم إسماعيل ابن طهماسب نحو ولاية أرضروم العثمانية مخرباً كل ما قابله في طريقه ⁽³⁾ حتى التقى مع أسكندر باشا الحاكم العثماني على ولاية أرضروم، ف وقعت الحرب بين الطرفين، ولكن إسماعيل بن الشاه طهماسب تمكن من إلحاق الهزيمة بأسكندر باشا وقواته التي تفرقت ووقع بعضها في الأسر ⁽⁴⁾، وعندما وصلت هذه الأخبار للسلطان سليمان في استانبول بدأ في الإعداد لحملة جديدة على إيران.

غادر السلطان سليمان استانبول في 20 رمضان 961هـ / 28-8-1553 م متجهاً إلى الحدود الشرقية، واستمر في طريقه حتى وصل حلب، وبعد قضاء الشتاء فيها تحرك السلطان واخترق الأراضي الصفوية واستولى على أريوان (روان) و دمر بها أحد قصور الشاه ⁽⁵⁾ اتجه بعدها إلى قراباغ بحثاً عن الشاه وجيشه الذي فضل عدم الدخول في حرب ميدانية مع الجيش

(1) يحدها من الغرب ديار بكر وأرمينية الكبرى، ومن الشرق أنزيبجان ومن الجنوب كردستان ومن الشمال إيران، أهم مدنها : أخلاط، عاد لجواز، أرجيش، وموش آباد، جمعة، بديع، أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص 129.

(2) المرجع نفسه، ص 128-129.

(3) الخولي، أحمد، الدولة الصفوي، ص 124-125.

(4) ببيرنيا، حسن، عباس إقبال، تاريخ إيران أزغارتا...، ص 671.

(5) البديسي، شرفنامه، ج 2، ص 181-182 ؛ أولسن، روبرت، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية، ص 62 .

العثماني، ورغم محاولات السلطان سليمان للوصول إلى الشاه لم يجد له أي أثر⁽¹⁾.

بناء على ذلك توجه السلطان بجيشه اتجاه " خجوان " - التي سميت الحملة باسمها- في الطرف الشمالي لنهر اراس (140 كلم جنوب شرق أيروان) فدمرها وخرب ما حولها من القرى انتقاماً لما فعله الشاه في شرق الأناضول، ورغم ذلك لم يظهر الشاه، ويذكر المؤرخ العثماني فريدون بك أن السلطان سليمان أرسل إلى الشاه طهمااسب رسالة⁽²⁾ تهديد بتاريخ 961هـ/ 1554 م يدعو فيه للحرب⁽³⁾ ويستفزه .

وفي جبلتك متقال حبة خردل من الجلادة والشرف، وإذا كان لديك بعض الرجولة وذرة من وجود، فلتأت ولتقابل جنودنا التي مآثرها النصر حتى يظهر ما قدره الحق تعالى⁽⁴⁾.

عندما أدرك السلطان سليمان أنه لا فائدة من البحث عن الشاه وجيشه، كما أنه من الخطورة إمعان التوغل في الأراضي الإيرانية مع اقتراب فصل الشتاء، أصدر أوامره بالعودة إلى الحدود العثمانية، على أن تتم العودة في ربيع نفس العام مرة أخرى لتكملة الحرب فتقدم حتى مدينة أضرورم، ومنها إلى أماسيه حيث قرر تمضية الشتاء بها⁽⁵⁾، وهناك وصل مبعوث الشاه "شاه قورجي قاجار" يحمل رسالة⁽⁶⁾ من الشاه يعرض عليه

(1) مهدي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 32.

(2) رغم ذكر العديد من المصادر عدم معرفة السلطان سليمان مكان الشاه والجيش الصفوي، وأنه لم يعثر له على أثر، فإنه أي السلطان يرسل له برسالة، وهنا يتساءل الباحث عن كيفية بعث الرسالة، رغم جهل السلطان بمكان الشاه .

(3) يحيى، جلال، العالم الإسلامي، ص 395؛ Parry. V.J, Op, Cit, P83 .

(4) فريدون بك، منشأة السلاطين، ج2، ص19- 20 (يوجد نص هذه الرسالة في الملحق ص 233-234، الوثيقة : 8) .

(5) البديسي، شرفنامه، ج2 ص 182.

(6) يوجد نص هذه الرسالة في الملحق ص 278- 280، الوثيقة : 9 .

فيها الصلح⁽¹⁾ فوافق السلطان على عقد صلح، وتولى شاه قورجي قاجار كبير موظفي البلاد الصفوي ومحمد باشا الصدر الأعظم العثماني، التمهيد للصلح الذي حدد أماكن الاتفاق بين الطرفين⁽²⁾.

- معاهدة أماسيا 1555م :

مضى على بداية الصراع الصفوي العثماني أربعة عقود ونيف، تمثل بشكل عام في أربعة حملات عثمانية كبرى على أراضي الدولة الصفوية، وقف فيها الصفويون في دور المدافع، باستثناء الحملة الأخيرة فإنهم بادروا بالأعمال الحربية على الحدود الشرقية .

إن الحملات العثمانية المرسلة إلى إيران، قد وقعت في مناطق بعيدة إلى حد كبير من استانبول، وتحتاج إلى ثلاثة أو أربعة أشهر حتى تدخل أراضي الدولة الصفوية، وكان من الصعب التغلب على مشكلات النقل، ذلك أنه مع هجمات فرسان الصفويين لطواير الجيوش العثمانية في أراضي أرمينيا وأذربيجان الجبلية كانت كبيرة، إضافة إلى مخاطر قدوم شتاء تتم خلاله عمليات انسحاب على أراضي مغطاة بالثلوج⁽³⁾.

وفي المقابل كان الصفويون يذكرون دائماً درس جالديران، فكان الشاه يتجنب كل مخاطرة بالدخول في معركة كبيرة، وكان يخلو المناطق المتوقع مرور الجيش العثماني منها، من التموين ثم ينسحب تاركاً حكام حدوده يراقبون تقدم العثمانيين ويعملون على إعاقتهم، ولم يكن هناك ما يمكن الرد به على هذا التكتيك الخاص بالهرب، وهذه الصعوبات المتعلقة بالأرض

(1) بييرنيا، حسن، عباس إقبال، تاريخ إيران أز أگارتا، ص 271 ؛

Sykes . Percy. Op.Cit.Vol 2,P165.

(2) مهدي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 33؛ الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 125.

(3) يحي، جلال، العالم الإسلامي، ص 395،

والمناخ، أوصلت انتصارات العثمانيين إلى حد ممكن ومقبول للغزو من ناحية الشرق⁽¹⁾ لاسيما في وقت انشغلوا فيه بحربهم في الغرب، بينما استمرت حروب الصفويين مع الأوزبك طيلة هذه المدة .

بناء على ذلك ركن الطرفان للصلح لأول مرة في تاريخ صراعهما، وبدأ تبادل الرسائل بينهما، ففي الرسالة التي بعثها الشاه طهماسب الأول للسلطان سليمان الأول يظهر الشاه عظيم فرحته وسعاداته لقبول عقد الصلح معه، ويخبره أنه بعث موفده الخاص، كمال الدين فرح زاده بك مزوداً بكافة التفاصيل والتعليقات الخاصة بعقد الصلح ومنحه كافة الصلاحيات في هذا الصدد فيقول "قد أرسلنا الأمير كمال الدين فرح زاده بك.. وهو من المقربين إلينا والمعتمد عليهم إلى السدة العلية لتبليغ الرسالة.. وزودناه بتفاصيل الأحوال التي ستشرق بالعرض .."⁽²⁾.

يؤكد فريدون بك أن السلطان سليمان قد رد على رسالة الشاه برسالة⁽³⁾ وأخبره فيها أنه قد وافق على الصلح⁽⁴⁾ ويطلب منه أن يكف عن سب الصحابة ويبشره بموافقتهم على السماح لرعايا الصفويين بالحج " أقصى مرامنا وعمدة آمالنا أن يحفظ ستر شرف الصحابة الأبرار والخلفاء المهدبين.. وأن يحظى حجاج بيت الله .. برفاهية واطمئنان عند توجههم لتلك النواحي.." ⁽⁵⁾.

(1) أولسن، روبرت، حصار الموصل ..، ص 62؛ دوست، متوجهر، بارسا زمينه تاريخي اختلافات إيران وعراق، تهران، 1364هـ - ش، ص 26.

(2) فريدون بك، منشآت السلاطين، ج1، ص 623-620.

(3) يوجد نص هذه الرسالة في الملحق، ص 281 - 283، الوثيقة : 10.

(4) يعتقد (سايكس) أن السلطان سليمان لم يعقد إتفاق مع الصفويين، واكتفى بإرسال رسالة لأنه

رفض أن يسوى نفسه بالشيعة، Sykes. Percy, Op. Cit, vol 2. p.2

(5) فريدون بك، منشآت السلاطين، ج1، ص 623-625.

في 8 رجب 962هـ/29 مايو 1555م تم توقيع معاهدة أماسيه بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية⁽¹⁾، ويمكن إدراج ما توصل إليه الطرفان ضمن أربعة نقاط رئيسية مع أبداء الملاحظات عليها.

أولاً : تصبح الولايات التالية : أذربيجان الشرقية، أرمينيا الشرقية، وكرجستان الشرقية (جورجيا) خاضعة للدولة الصفوية بينما تكون الولايات التالية : أرمينيا الغربية كرجستان الغربية، والعراق (الموصل، بغداد، البصرة) تحت السيطرة العثمانية⁽²⁾ على أن تكون منطقة قارص الحدودية منطقة محايدة كمطقة "منزوعة السلاح" فيما بين الجانبين⁽³⁾.

بذلك حصل الصفويون على المناطق القريبة منهم، فأمنوا بذلك حدود دولتهم من الناحية العسكرية، كما حصلوا على جزء من هذه المناطق ذات الوفرة بإنتاج الحرير، في المقابل حصل العثمانيون على تبريز إضافة إلى أرمينيا وكرجستان والعراق، فأصبح لهم موضع قدم في مناطق إنتاج الحرير الإيراني⁽⁴⁾.

ثانياً : السماح لرعايا الدولة الصفوية بالحج الى مكة والسماح لهم بحرية زيارة العتبات المقدسة⁽⁵⁾ في العراق، في المقابل اشترط السلطان سليمان الكف عن سب الصحابة على المنابر، الذي أصبح عادة منذ عهد الشاه إسماعيل الأول⁽⁶⁾.

(1) المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 105.

(2) بيكولوسايا، ن. و، تاريخ إيران از دوران باستان تا يان. ص 485 ؛ يحيى، جلال، العالم الإسلامي، ص 395

(3) العربي، توفيق، الصراع الصفوي العثماني ..؛ ص 84 ؛ P91، Mccarthy. Justin, Op. Cit,

(4) نوار، عبد العزيز، الشعوب الإسلامية، ص 241 ؛ Sykes.Percy Op. Cit,P76.

(5) العتبات المقدسة أو المزارات الشيعية : ضريح الإمام على ابن أبي طالب في النجف، ضريح الإمام الحسين بن على في كربلاء، ضريح الإمام التاسع موسى الكاظم...، لوريمر، ج. ج، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج 6، ص 3373-3385.

(6) فريدون بك، منشآت السلاطين، ج1، ص 624 ؛ نور، علاء موسى، الصراع العثماني الفارسي وأثره على العراق، ص9 ؛ نوار عبد العزيز، العلاقات العراقية الإيرانية، دار الفكر العربي، 1974م، ص 11-12.

لقد سمح العثمانيون للصفويين بالحج إلى مكة بعد توقف دام طيلة الفترة الموسومة بالحرب، ما يشير إلى هدوء التوتر العثماني بشأن تواجد الصفويين داخل الولايات العثمانية⁽¹⁾.

ثالثاً : تستأنف عمليات الإتفاق بشأن منطقة شهرزور⁽²⁾ التي طالت المنازعات عليها علماً أن هذا البند من المعاهدة بقي مجرد من صفته العملية لعدم استقرار ولاء الأكراد لإحدى الجهتين⁽³⁾.

رابعاً : يعمل الطرفان على عدم إيواء كل من رجال الدولتين أو أفراد البيوت المالكة، وفي حالة لجوئهم يعمل الطرف الآخر على تسليمهم الى حكومات بلادهم .

يستنتج من هذه النقطة أن معاهدة أماسيه قد هيأت لفتح علاقات دبلوماسية بين الطرفين، يمكن من خلالها حل أي نزاع طارئ أو حدوث مشكلة ما⁽⁴⁾، وبرز مثال على ذلك حادثة هروب بايزيد ابن السلطان سليمان ومعه عدة كتائب عسكرية سنة 1559م ومع أن طهماسب استقبله بحفاوة، فإنه أجرى مفاوضات مع والده السلطان انتهت بتسليمه للسلطات العثمانية مقابل مبلغ كبير من الذهب⁽⁵⁾.

(1) Sykes , Percy. Op.Cit. vol12, p. 166

(2) تشمل ما يعرف الآن بالسليمانية، أربيل وكركوك في العراق، ومنطقة غرب كرمشاه وأجزاء من أذربيجان الغربية في إيران، الحديثي، نزار، عبد اللطيف، العلاقات العربية الفارسية، ص 29.

(3) زهير عبد الحسين مهدي " طبيعة العلاقات العراقية الفارسية " سلسلة الدراسات الإيرانية - رقم 8 صدرت عن معهد الدراسات الآسيوية الأفريقية، الجامعة المستنصرية، 1985م، ص 19.

(4) عباس، إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 182-183؛ مهدي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خاجي إيران، ص 33.

(5) المرجع نفسه، والصفحة نفسها .

تعد معاهدة آماسيه أول معاهدة صلح بين الدولتين العثمانية والصفوية وقد وضعت حداً - مؤقتاً- للصراع لأول مرة منذ نشوبه وترتب عليها بعض الهدوء على الحدود بين الطرفين، ويمكن اعتبار هذه المعاهدة انتصاراً للدولة الصفوية، فالسماح للرعايا الصفويين بالحج لمكة المكرمة يعتبر اعترافاً ضمناً بالمذهب الشيعي وبالتالي بالدولة الصفوية، كما أن لذلك دلالة أخرى في غاية الأهمية هي بطلان السبب المذهبي كأحد أسباب الصراع لأن هذا الاعتراف من قبل الدولة العثمانية، جعلها تقرر ضمناً بأنها تحارب دولة إسلامية .

لقد ترك الصراع الصفوي العثماني أثراً واضحاً على سكان المنطقة التي شملتها الحروب، لاسيما المشرق العربي الذي تنافس عليه الطرفان، فكانت أراضيه مرتعاً للجيوش الغازية، وملاذاً للمنهزمة، حتى صارت أجزاء كبيرة من أراضيه محتلة من أحد الطرفين، وهذا ما يختص به الفصل الرابع.

الفصل الرابع

تأثيرات الصراع الصفوي العثماني على المشرق العربي

المبحث الأول : محاولات السيطرة الصفوية على المشرق العربي وتدابيراتها.

- الاحتلال الصفوي للعراق وتدابيراته .
- المحاولات الصفوية لاخترق الشام ومصر .
- بعض ملامح الآثار الناجمة عن السياسة الصفوية في المشرق العربي.

المبحث الثاني : السيطرة العثمانية على المشرق العربي .

- اجتياح العراق والامتداد إلى الخليج العربي .
- ضم الشام ومصر والقضاء على دولة المماليك .
- اثر التوسع العثماني في المشرق العربي في مرحلة الصراع .

المبحث الثالث : العلاقات العثمانية – الصفوية مع أوروبا في فترة الصراع .

- العلاقات العثمانية الأوروبية .
- العلاقات الصفوية الأوروبية وتدابيرها على المشرق العربي .
- التدخل البرتغالي في الصراع الصفوي العثماني وتدابيراته على المشرق العربي .



المبحث الأول

محاولات السيطرة الصفوية على المشرق العربي وتداعياتها

- الاحتلال الصفوي للعراق وتداعياته .
- المحاولات الصفوية لاختراق الشام ومصر .
- بعض ملامح الآثار الناجمة عن السياسة الصفوية في المشرق العربي .

في أوائل القرن السادس عشر الميلاد أخذت خريطة العالم تزداد اتساعاً، وأخذت تحدث خلال تلك الفترة تطورات جذرية متتالية وجوهرية في المجالات الثقافية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وفي الوقت الذي كان فيه العالم الأوروبي ينطلق نحو التفوق في تلك المجالات، كانت البلاد الإسلامية تعيش مقوماتها الحضارية الإسلامية التقليدية، دون تطور إلا في أضيق نطاق، بل مع التراجع الحضاري في كثير من البلاد الإسلامية، خاصة تلك التي كانت تسود فيها الصراعات بين مختلف القوى السياسية، مثل الصراع بين العثمانيين والمماليك، والصفويين و الأوزبك، وبين الصفويين والعثمانيين، إضافة إلى تدخل قوى أخرى خارجية كالبرتغاليين مستغلين تلك الصراعات، لتدعيم وجودهم في تلك المناطق .

ويعد الصراع الصفوي العثماني أهم هذه الصراعات من حيث مدته، والمساحة الشاسعة التي شملها، إضافة إلى تأثيراته الواضحة على كلا الدولتين، فقد أثر القتال على إيرادات الدولتين من الجمارك التي كانت تجني فترات الحروب، وصار التبادل التجاري بين الأقاليم الإيرانية والعثمانية محدوداً، خاصة انخفاض إيرادات الدولة العثمانية من الحرير " الفارسي "

عندما تحولت سيطرة البرتغالية على البحار الشرقية إلى حصار عام لكل الطرق القديمة بين الشرق والغرب والتي كانت أُنذاك تحت سيطرة الدولة العثمانية⁽¹⁾.

من جهة أخرى كانت الأضرار وخيمة على الجانب الصفوي، لاسيما أن العديد من المعارك التي تمخضت عن الصراع قد جرت على الأراضي الصفوية، وما صاحبها من تدمير الأراضي - من الجانب الصفوي - حتى لا يتركوا للجيش العثمانية المتقدمة مكاناً يأوون إليه أو طعاماً لهم ولدوابهم، وهي سياسة الأرض المحروقة، التي جرى اتباعها للحد من الهجوم العثماني⁽²⁾.

كما صاحب هذه الحروب أعمال التهجير الإجباري والاضطراري، فبعد قضاء العثمانيين على ثورة شاه قوللي الموالي للصفويين في ولاية تكة بالأناضول، هاجر حوالي خمسة عشر ألفاً من أتباعه إلى إيران خوفاً من الجنود العثمانيين⁽³⁾. وفي إطار عمليات التهجير الجماعي أمر السلطان العثماني سليم الأول، عقب دخوله تبريز عاصمة الصفويين سنة 1415 م، باصطحاب سبعمئة عائلة منها في ركابه المتوجه إلى استانبول⁽⁴⁾.

ولئن كان للصراع الصفوي العثماني تأثيراته على كلا الطرفين، فإن المشرق العربي باعتباره مجاوراً لكليهما، لحقته تداعيات ذلك الصراع، فقد أشعل العثمانيون والصفويون فتيل الحروب، ولكنهم ابتعدوا بها عن أراضيهم - في أغلب الأحيان - وجعلوا المشرق العربي ميداناً لها⁽⁵⁾.

(1) راضون، نبيل عبدالحى، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، (د.ت)، ص 438.

(2) Sykes . Percy,op.cit,p.164 ; Mccarthy.Tustin,op.cit.p.91.

(3) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات لعثمانية الإيرانية...، ص 240-241.

(4) نوائي، عبد المحسن، و آخرون، تاريخ روابط فرهنگي ایران، تهران 1339 هـ، ص 96.

(5) الحديثي، نزار عبد اللطيف، العلاقات العربية الفارسية، دراسة تاريخية، دار واسط، لندن - بغداد، 1982، ص 29.

وليس من المعقول القول - من قبيل التبرؤ من مسؤولية الصراع - إن العرب لم يكونوا طرفاً في الصراع الصفوي العثماني، فلو كان العرب قوة سياسية عسكرية لدخلوا فيه حتماً، لأنه يندرج في معطين وسياقين، معطى الجغرافيا الاقتصادية والسياسية، ومعطى منطق (الدولة السلطانية) في التاريخ الإسلامي، وهو المنطق القائم على الإلحاق والاستتباع، ومن ثمة الاحتواء باسم (الوحدة) أو (الدعوة الدينية) في دار الإسلام .

أولاً : الاحتلال الصفوي للعراق وتداعياته :

كانت إيران والمناطق المجاورة لها من المشرق العربي، تخضعان لحكم قبلي تركماني تمثل في دولتي قره قويونلو " الخروف الأسود" واق قويونلو (الخروف الأبيض) على التوالي حتى استطاع الشاه إسماعيل أن يقضي على آخرها، ويعلن قيام الدولة الصفوية في إيران سنة 1501⁽¹⁾، ثم بدأ التوسع غرباً ناحية المشرق العربي، لأهميته الاستراتيجية بالنسبة للأراضي الإيرانية .

فقد كانت اقتصاديات الهضبة الإيرانية تدفع الصفويين للاستحواذ على السهول العراقية الخصبة، فمنها يمكن أن تستكمل حاجاتها الزراعية، كما أن سوق العراق يمكن أن يستوعب نسبة عالية من منتجات الأراضي الإيرانية، إضافة إلى سبب آخر لا يقل أهمية عن سابقه، وهو وجود العتبات الشيعية في العراق (النجف وكربلاء)⁽²⁾، ومع عدم التقليل من المكانة الدينية لهذه الأماكن، فإن لها أهميتها الاقتصادية باعتبارها مزارات دائمة .

ومن الناحية الاستراتيجية الدولية، كان الأراضي العربية المجاورة لإيران المعبر المؤدي للصفويين إلى شواطئ البحر المتوسط، كذلك الطريق

(1) بستكي، أحداث ووقائع بستك ...، ص 36 .

(2) الشناوي، عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية ..، ج2، ص 806-807.

البري الذي تسلكه القوات العسكرية الغازية عبر البصرة إلى ما وراء الأحساء، ذلك في اتجاه عمان، فيصبح الخليج بحيرة صفوية⁽¹⁾. ومن العوامل التي كانت تحفز الصفويين للتوسع غرباً نحو هرمز و القطيف والبحرين والعراق وشرق الجزيرة العربية، أنها كانت تعج بالقبائل العربية الشيعية، وكانت هذه التجمعات في نظر الصفويين أدوات يمكن استخدامها في تمهيد الطريق أمام السيطرة على تلك الهجمات وما وراءها أيضاً⁽²⁾.

في إطار هذه السياسية كان الشاه إسماعيل الصفوي، يبذل جهداً كبيراً من أجل دفع قواته قدماً إلى العراق، ثم منه إلى الشام، ليكمل سيطرته على المشرق العربي وبصفة خاصة الهلال الخصيب، ما ادخله في صراع مع أقوى دولة إسلامية آنذاك، وهي الدولة العثمانية في الأناضول والبلقان، إضافة إلى وجود دولة إسلامية أخرى، بدأت تظهر عليها إرهابات الضعف، ألا وهي دولة المماليك في مصر والشام .

بناءً على هذه المعطيات وبعد سيطرة الصفويين على أطراف لورستان وكيلان وعربستان سنة 908هـ/1505م، انفتح أمامهم العراق بمناطقه السهلية ومسالكه الاستراتيجية البرية⁽³⁾. لاسيما بعد أن أمّن الصفويون سيطرتهم على السلاسل الجبلية التي تفصل إيران عن الأراضي العربية، فغزوا بغداد سنة 1508م، ومضوا شمالاً فأكملوا احتلالهم للعراق عندما أخضعوا ديار بكر ثم الموصل⁽⁴⁾، واستمرت هذه السيطرة حتى

(1) المصري، مهدي حسين، الموقف القومي التاريخي إزاء التحدي الفارسي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، 1980، ص 58.

(2) نوار، عبد العزيز، " الصراع العثماني والعلاقات الفارسية العربية من العهد الصفوي حتى نشوب الحرب العالمية الأولى "، العلاقات العربية الإيرانية، تحرير يونان لبيب رزق، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، 1993، ص 50-51.

(3) نوائي، عبد الحسين، شاه طهماسب صفوي، تهران، 1350هـ ش، ص 61؛ Savory.R.M.,op.cit.p.20-35.

(4) العمري، محمد أمين الخطيب، منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدياء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل، 1967، ص 133.

أحداث سنتي 1514-1516م، (جالديران- قره غين دده) عندما فقد على أثرها الصفويون الموصل إضافة إلى كردستان لصالح العثمانيين، لتنتقل من محتل إلى محتل آخر، بينما بقي جنوب العراق ووسطه محتلاً من الصفويين حتى سنة 1534م⁽¹⁾.

يبدو أن مدينة بغداد والمناطق المجاورة لها، كانت أكثر المدن العربية التي عانت من الاحتلال الصفوي، وهي أيضاً أول المناطق خضوعاً لهم، وقد تضاربت المصادر المعاصرة حول حقيقة الاحتلال الصفوي للمدينة، فعلى الرغم من أن الأخبار الأولية عن دخول الشاه إسماعيل بغداد، أفادت أن ثمة استقبلاً أجري للقوات الصفوية المحتلة وللشاه إسماعيل فيما بعد، كما يذكر المؤرخ الصفوي غياث الدين⁽²⁾. إلا إن هناك مجموعة من المصادر المناوئة للصفويين ذكرت معلومات مهمة حول أعمال القتل والتخريب التي رافقت الاحتلال الصفوي للعراق، مما يعزز الاعتقاد أن الاحتلال لم يقف على أرض سهلة، فيذكر ياسين العمري: " أن الشاه إسماعيل حاصر بغداد و أفش الرفض فيها، بعد قتل المعارضين " ⁽³⁾. ويروي الشوكاني: " أن إسماعيل قتل زيادة على ألف ألف نسمة وأنه لا يوجد لا بين المسلمين ولا بين الأمم الأخرى من قتل انفساً بمثل ما أقدم الشاه إسماعيل على قتله " ⁽⁴⁾، بينما يذكر عباس العزاوي - نقلاً عن منتخب التواريخ - : " أن جيوش الشاه قتلت الكثير من مخالفها بعد دخوله مدينة بغداد حتى جرت دجلة بدمائهم بدل اليم " ⁽⁵⁾.

(1) لونكريك، ستيفن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص 19؛

Cteasy .E.S.op.cit.p.127

(2) خواند مير، غياث الدين بن همام الدين، تاريخ حبيب السير في أخبار وبشر، ج4، ص435؛ مغنية محمد جواد، دول الشيعة في التاريخ، ص 122-124.

(3) العمري، ياسين خير الله، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد، دار السلام، ص 169.

(4) الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص270.

(5) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين الاحتلالين، ج3، ص342.

ومع الإقرار بأن المبالغة في وصف الاحتلال هي حقيقة قائمة بسبب طبيعة تلك الفترة، ولكن الاصطدامات التي جرت بين قوات الاحتلال وبين الأهالي هي حقيقة أيضاً، وقد جسدت تلك الاصطدامات صورة لمقاومة المنطقة العربية ضد قوى أجنبية محتلة .

من جهة أخرى تتحدث المصادر الفارسية عن حملة عسكرية قام بها الشاه إسماعيل بعد زيارته لكربلاء والنجف، ولا توجد معلومات دقيقة عن مسار هذه الحملة ووجهتها والنتائج التي أسفرت عنها، فعلى حسب ذكر هذه المصادر فإن الحملة موجهة إلى " عرب البادية " ⁽¹⁾ ضد أحد القبائل العربية في المنطقة، ويبدو أن هذه الحملة باءت بالفشل، لذلك يذكر "كاشاني" أن الشاه إسماعيل خرج للتجول في البادية ولرغبته في إصطياد الأسود ⁽²⁾.

وقد كان التواجد الصفوي في العراق يشكل تهديداً لأمن العثمانيين كما يعتقدون ؛ لأن وجود الصفويين في العراق وقبله في إيران، أصبح الأناضول - قلب الدولة العثمانية - مهدداً من جهتين، أي مطوقاً بالصفويين، لذا أعد السلطان سليمان القانوني جيشاً كبيراً هزم به الصفويين، وسيطر على العراق سنة 1534 م، ثم مد العثمانيون سيطرتهم على البصرة سنة 1546 م . ولم تقف المحاولات الصفوية للسيطرة على العراق فقط، بل تجاوزته إلى الشام ومصر، بحثاً عن إيجاد موطأ قدم على شواطئ البحر المتوسط، والاتصال بأوروبا مباشرة .

ثانيا : المحاولات الصفوية لاختراق الشام ومصر :

إن قيام الدولة وتوسعها السريع على حساب الدول المجاورة لها، قد أدخل منطقة المشرق العربي في مرحلة جديدة من التطورات السياسية

(1) البديسي، شرفنامه، ج 2، ص 128.

(2) كاشاني، تاريخ نكارستان، ص 361.

المُتلاحقة بسرعة تكاد تحجب فيها المصالح الاستراتيجية في كثير من الأحيان، ففي حين بدأت العلاقات المملوكية - الصفوية عدائية، انتهت ودية، كما يصفها أحد الباحثين⁽¹⁾. أما العلاقات المملوكية - العثمانية بدأت ودية وانتهت عدائية، بينما بدأت وانتهت العلاقات العثمانية - الصفوية عدائية، وإن شهدت بعض فترات الهدوء بين الفينة والأخرى .

إن المتمعن للخارطة السياسية لمنطقة المشرق العربي في بداية القرن السادس عشر، يلاحظ أنها بدأت تتبلور بشكل لا يخدم القوى التقليدية فيها، لاسيما سلطنة المماليك المسيطرة على معظم المنطقة (الشام، الحجاز، إضافة إلى مصر)، فقد امتدت تداعيات الصراع الصفوي العثماني من خلال تنافس الطرفان على ممتلكات دولة المماليك التي بدأت تظهر عليها إرهابات السقوط، خاصة بعد الضربات الموجعة التي تلقتها من الأساطيل البرتغالية .

كانت أنظار العثمانيين و الصفويين متجهة نحو ممتلكات المماليك الشاسعة باعتبارها مجالاً مفتوحاً للتوسع، وقد كان العثمانيون ينظرون بقلق إلى تصاعد قوة الصفويين⁽²⁾ منذ وقت مبكر، وتقدم بعض المصادر معلومات مهمة تفيد بتدخلات صفوية في مصر في فترة صراعهم مع العثمانيين⁽³⁾،

(1) طارق، نافع الحمداني، " علاقات المماليك المصريين السياسية بالدولتين الصفوية والعثمانية في مطلع القرن السادس عشر "، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة الكويت، ع17، مج 5، 1985، ص160.

(2) يظهر القلق العثماني من التوسع الصفوي منذ وقت مبكر من خلال رسائل: الأولى موجهة إلى بايزيد الثاني، من قبل يعقوب بن أوزن حسن يخبره مقتل حيدر الله والشاه إسماعيل، وفي الجواب يهنئه على قتل (رأس الضلالة الحيدرية)، والثانية من الوند بن يوسف أحد الأمراء قوبونلو، إلى بايزيد أيضاً يحثه فيها على الاتحاد في وجه العدو المشترك إلى الصفويين، وفي الجواب يعده بايزيد بالعون ضد " الطائفة الباغية القزلباشية" وفي الرسالة الثالثة يسئل بايزيد رستم الكردي أحد أمراء الأكراد، عن نتائج الصراع مع القزلباش والأق قوبونلو، مؤرخة سنة 908هـ /1502م؛

Browne.O.G., Aliterary History of Persia , vol4,p.67-69.

(3) الغزي، الكواكب السائرة، ج2، ص55.

ويذكر المؤرخ ابن طولون إن ثمة ثورة مسلحة نشبت في صعيد مصر سنة 911 هـ/1505م، انتهت بإعدام مدبريها بقيادة أحمد باشا بتهمة الزندقة والدعوة إلى إسماعيل الصوفي⁽¹⁾، ويقول العماد الحنبلي عن قائد تلك الثورة : " ووجدوا عنده تاجاً من شعار الصوفي ..وعزم على تقديم الاثني عشر أماماً على اعتقاد الرافضة "⁽²⁾.

في ذات السياق كان للصفويون محاولاتهم المستمرة من أجل مد نفوذهم في بلاد الشام، فقد ظهر أحد دعاة الصفويين في حلب، يحدث الناس ويقول "سيظهر من أهل طريقتنا، واحدٌ على خلاف أهل السنة والجماعة، ومما يوضح مدى خطر الدعاة الصفويين هناك، أن أحد فقهاء حلب ظل ثمان سنوات مشغلاً بالتفسير والحديث والردّ على الملاحدة والرافضة، لاسيما طائفة أردبيل "، حسب ما يؤكد صاحب الكواكب السائرة⁽³⁾، ولعل أهم الثورات التي أشعلها الصفويون في الشام، تلك الثورة التي اندلعت في ضواحي حلب سنة 913 هـ /1507م، ما استدعى تحرك نائب دمشق على حلب للقضاء عليها⁽⁴⁾.

لئن فشلت المحاولات الصفوية في السيطرة على مصر والشام فإن العثمانيين قد نجحوا فيما فشل فيه غراماؤهم الصفويون، وضموا هذه المناطق لدولتهم، ولكن ذلك لم يخرج تلك المناطق من دائرة الصراع بين الطرفين، ففي سنة وفاة الشاه إسماعيل الصفوي 930 هـ/1524م، قامت ثورة مسلحة في مصر، يذكر الغزي أن زعيمها كان داعية لإسماعيل الصفوي⁽⁵⁾.

(1) ابن طولون، مفاكهة الخلآن، القسم الأول، ص 307.

(2) العماد الحنبلي، شذرات ذهب، ج8، ص 173.

(3) الغزي، الكواكب السائرة، ج2، ص55.

(4) ابن طولون، مفاكهة الخلآن، ج2، ص 65.

(5) السابق.

إن السياسة الصفوية اتجه المشرق العربي قد خلفت العديد من الآثار السلبية، لاسيما في المناطق التي خضعت للحكم الصفوي بشكل مباشر.

ثالثاً : بعض ملامح الآثار الناجمة عن السياسية الصفوية في المشرق العربي :

رغم قصر المدة التي مكث فيها الصفويون - فعليا- في بعض أجزاء المشرق العربي، كانت ذات تأثير لا يخفى على المنطقة العربية بشكل عام، بل إن التأثير مازال مستمراً إلى يومنا هذا، متمثلاً في الخلافات الحدودية بين إيران والدول العربية، ويكتفي الباحث بالإشارة على بعض الآثار الناجمة في الفترة قيد الدراسة .

من العوامل المهمة التي كانت تدفع الصفويين للتوسع غرباً نحو العراق، إنه تعج بالقبائل العربية الآخذة بالمذهب الشيعي، لكن ليس ذلك من أجل المذهب الشيعي أو لمعتنقيه، فقد كانت هذه التجمعات من وجهة النظر الصفوية تمثل بعددين أحدهما إستراتيجي⁽¹⁾، حيث يمكن اعتبارها أدوات يمكن استخدامها في التمهيد للسيطرة على جهاتهم، وإقامة دولة كبرى، لا تقل أهمية ومكانة عن الدولتين الكبيرتين (العثمانية والمملوكية) علاوة على ما تشتمل عليه هذه الجهات من أماكن مقدسة (العتبات الشيعية) في النجف وكربلاء، التي تعتبر محجاً لرعايا الدولة الصفوية⁽²⁾.

أما العامل الآخر الذي لا يقل أهمية عن سابقه بالنسبة لأركان الدولة الصفوية فقد كان العراق يمثل آخر معازل منافسيهم الأقويون، فكان إن اجتياح القزلباش الأراضي العراقية وضموها إلى دولتهم منه سنة 1508م⁽³⁾.

(1) عبد العزيز نوار " الصراع العثماني الفارسي والعلاقات الفارسية العربية.."، ص 50-51.

(2) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 118.

(3) البديسي، شرفنامه، ج2، ص 128.

بيد أن الأمور لم تستقر للصفويين عند هذا الحد، لأنه عقب معركة جالديران 1514 م، انضم القسم الشمالي من العراق للعثمانيين، ثم ما لبث السلطان سليمان القانوني أن أكمل على ما تبقى من العراق سنة 1534 م، ليغدو العراق منذ ذلك الحين من أهم مناطق الصراع بين الطرفين، وليصبح سكانه عرضة للتبعية تارة لهذه الدولة وتارة لتلك، ناهيك عن المذابح التي تصاحب هذه التغيرات .

وقد كانت لحروب الدولتين الصفوية والعثمانية انعكاسات اجتماعية بشكل عام، وكانت انعكاسات الصراع تسبب حالات من القلق والشعور بعدم الاستقرار والأمن، وعلى الخصوص في مناطق الأطراف، وما يستتبعها من إجراءات حكومية توجب على الأهالي دفع ضرائب عارضية، علاوة على ما يقوم به جند الطرفين من اعتداءات على الأهليين وأرزاقهم⁽¹⁾.

من جهة أخرى يبدو أن نشاط الدعاة الصفويين، في شرق الأناضول وجنوبه وعلى التخوم الشمالية لبلاد الشام وصولاً لإنطاكية، كان نشطاً على درجة كبيرة حتي قبل قيام دولتهم 1501 م، فمن خلال دراسة تكوين الأسرة الصفوية، يتضح أن أحد القبائل التسعة⁽²⁾، المكونة للجيش الصفوي (القرلباش)، قد تدفق أفرادها على الشيخ سلطان جنيد (1447 / 1490 م) وأخذوا ينساحون طوعاً إلى الأراضي الصفوية دعماً لمرشدهم الصفوي، وهم الذين أطلق عليهم فيما بعد اسم (شاملو) نسبة لقدمهم من تخوم الشام الشمالية⁽³⁾.

حيث إن الدولة الصفوية تضم تنوع ديمغرافي (ترك، فرس، عرب، كرد، أرمن، كرجستان) كما تشمل تعددية دينية (مسلمين، مسيحيين، يهود) إضافة

(1) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 239-240.

(2) ورد تعريف لهذه القبائل في الفصل الأول من هذه الدراسة، ص 50-52 .

(3) مير أحمد، مريم، دين ودولت در عصر صفوي، تهران، 1369هـ ش، ص 45 .

إلى تباين مذهبي (سني، شيعي) فإن ذلك جعل الولاء للشاه فقط⁽¹⁾، لاسيما الشاه إسماعيل (المرشد الكامل)⁽²⁾، ولما كان طموح الشاهات يحتم عليهم توسيع رقعة النفوذ، للاستئثار بالبقع الاستراتيجية أو الغنية بمواردها الاقتصادية، دفعوا بمن دان لهم بالولاء بغض النظر عن انتمائهم الاثني "العراقي" أو الديني، إلى سلسلة من الحروب الدامية، لتحقيق هذه الغاية، متخذين من الخلاف المذهبي بين الدولتين (الصفوية والعثمانية) الدافع الأول لإقناع عامة المسلمين - وهم الأكثرية - لاستمرار الصراع بين الطرفين، هذا الصراع الذي جرّ الولايات على سكان مناطق النزاع، ومن ضمنها المشرق العربي، لاسيما العراق، ومن هنا نشأ المثل العراقي (بين العجم والروم بلوي ابتلينا)⁽³⁾ علماً أن المقصود بالعجم الفرس أي الصفويين، وبالروم العثمانيين . ونظراً لهذه الاختلافات البيئة للسكان، مع تغير الولاء للشاه الصفوي أو السلطان العثماني، فإن هذه الاختلافات والنزاعات استمرت إلى ما بعد سقوط الدولة الصفوية، أي في العهدين الافشاري والقاجاري، وقد تكون الحرب الأخيرة بين الإيرانيين والعراقيين من أحد جوانبها، تتعلق بالقضايا التي طُرحت في الصراع الصفوي العثماني، ولعل من أهمها مشاكل الحدود العالقة حتى الآن .

(1) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 112-115.

(2) كوب، عبدالحسين زين، روز كاران تاريخ إيران، ص 662 .

(3) الموردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ص 12

المبحث الثاني

السيطرة العثمانية على المشرق العربي

- اجتياح العراق والامتداد إلى الخليج العربي .
- ضم الشام ومصر والقضاء على دولة المماليك .
- أثر التوسع العثماني في المشرق العربي في مرحلة الصراع .

إن إشكالية التواجد العثماني بالمنطقة العربية يكمن في الطريقة والظروف التي أدت إلى السيطرة العثمانية، فهي تختلف من منطقة إلى أخرى، وبحسب ظروف كل منطقة، فبينما إجتاح العثمانيون جل المشرق العربي في صراعهم مع الصفويين والمماليك، فإنهم في المغرب العربي تواجدوا بناءً على طلب أهاليه في اغلب الأحيان .

ومن خلال الرجوع إلى بعض المصادر العربية، يبدو أن العرب بشكل عام، قد رحبوا بالعثمانيين، وأطلقوا على السلطان العثماني، لقب حامي الحرمين الشريفين⁽¹⁾. وبدون الخوض في تفاسير هذا الموضوع، تكفي الدراسة بالحديث عن كيفية الوجود العثماني في المشرق العربي خلال فترة الصراع الصفوي العثماني، التي امتدت على العراق نزولاً إلى الخليج العربي إضافة إلى الاستيلاء على الشام ومصر بعد القضاء على دولة المماليك⁽²⁾.

(1) ابن زنيل، تاريخ السلطان سليم خان ..؛ النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ابن لياس بدائع الزهور ..، ج3.

(2) منسى، محمود حسن، تاريخ العرب الحديث والمعاصر المشاركة والمغاربة، القاهرة، 2000 م، ص 8-9.

أولاً: اجتياح العراق والامتداد إلى الخليج العربي :

لقد شهدت بدايات القرن السادس عشر تفاقم المصالح الاقتصادية بين أوروبا والشرق، فتعاضمت أهمية العراق الاستراتيجية، نظراً لما تمتع به من منافذ حية عبر حدوده الجبلية الشرقية، التي تمتد منها المسالك التجارية البرية عبر سهوله وبراياه، لتصل بالبحر المتوسط، ثم خطوط النقل النهرية العمودية التي تقوم على جوانبها أهم المراكز الحضرية والمدن الاقتصادية⁽¹⁾.

وعلى اثر حملة سليمان القانوني سنة 1534م، على الدولة الصفوية خضع العراق للسيطرة العثمانية - عدا البصرة - إذ بقى فيه السلطان قرابة ستة أشهر⁽²⁾.

مطبقة استراتيجية سياسية قوية، وأيديولوجية تنظيمية اقتصادية، كانتا تخدمان المصالح العثمانية من خلال ما سنه من قوانين إدارية وأعراف إقطاعية وأنظمة مركزية في طبيعة العلاقات بين الأقاليم والسلطة العليا⁽³⁾.

عندما تمت السيطرة العثمانية على العراق بشكل كامل، إثر تسليم راشد بن مغامس حاكم البصرة مفاتيح المدينة للعثمانيين وخضوعه لهم سنة 1546⁽⁴⁾، بدأ الامتداد العثماني نحو الأحساء و القطيف ثم البحرين، إذ كانت البصرة تشكل قاعدة إستراتيجية مهمة لامتداد النفوذ العثماني في الأحساء ومناطق الخليج الأخرى، وصارت البصرة مركزاً لحماية النفوذ

(1) الجميل، سيار، بقايا وجذور ..، ص 273.

(2) لونكريك، ستيفن همبلي، أربعة قرون من تاريخ العراق، ص 22- 30 ؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين الاحتلالين، ج4، ص 19- 64 .

(3) الجميل، سيار، بقايا وجذور ..، ص 274.

(4) بيهم، محمد جميل، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب الحديث، ص 68.

العثماني في الأحساء فيما بعد⁽¹⁾ إضافة إلى أنها أصبحت مركزاً لضرب القبائل العربية البدوية الخارجة عن السلطة في منطقة المشرق العربي⁽²⁾.

هذا، ولم يستقر الوجود العثماني في البصرة لمقاومة بعض القبائل العربية لهم، إضافة إلى المحاولات الصفوية الرامية إلى احتلال البصرة فلم تمضِ ثلاث سنوات على ضم البصرة من قبل العثمانيين حتى أخذت القبائل العربية تنشن حملاتها على المدينة وتقطع الطريق على القوافل التجارية⁽³⁾. وكان من أبرز هذه القبائل قبيلة طيء، بقيادة بن عليان، حيث حاصر بقواته مدينة البصرة، حصاراً طويلاً جعل واليها يطلب المدد من والي بغداد علي باشا، فكلفت الدولة العثمانية الأخير، بقيادة حملة لتأديب بن عليان بدعم من والي سيواس، ولكن هذه الحملة لم يكتب لها النجاح لاعتماد ابن عليان مباغته القوات العثمانية ضمن أراضي تكثر فيها المتاهات والأهواز والمسالك الوعرة مستفيداً من جهل القوات العثمانية بجغرافية المنطقة⁽⁴⁾.

و الجدير بالذكر أن الدولة العثمانية لم تستطيع أن تهزم ابن عليان، إلا بعد أن كبدت المنطقة خسائر اقتصادية هائلة، كان الخاسر الأكبر فيها سكان المنطقة، حيث مارست السلطات العثمانية حصاراً اقتصادياً قطعت من خلاله الأشجار وأتلفت المحاصيل، ما جعل ابن عليان يدعن للصلح⁽⁵⁾.

(1) الجميل، سيار، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ص 368؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين الاحتلالين، ج4، ص 49 - 50؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى "العرب في ظل الرابطة العثمانية"، العلاقة العربية التركية من منظور عربي، معهد الدراسات والبحوث العربية، 1991، ج1، ص 27.

(2) أبو علي، عبدالفتاح، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، 1986م، ص 347.

(3) دروزة، محمد عزة، العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي، بيروت، 1981، ج6، ص 65.

(4) الصباغ، عباس إسماعيل، العلاقات العثمانية آل إيرانية، ص 157.

(5) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

لطي صفحة السيطرة العثمانية على البصرة يجب التنويه بأن ما يذكره محمد دروزة من معلومات، تفيد أن مدينة البصرة كانت تضم الأراضي التي شلمها الصراع الصفوي العثماني، حتى بعد السيطرة العثمانية عليها، فقد تلقى الأمير المشعشي السيد مبارك - الذي دعم ابن عليان - نائب الصفويين في الأهواز، الدعم من الصفويين أملاً في إعادة سيطرتهم عليها من خلال كسب ولاء قبيلة ابن عليان⁽¹⁾.

ثمة ما يؤكد أن الامتداد العثماني نحو الشام ومصر، إنما يرجع إلى تداعيات الصراع الصفوي العثماني بشكل مباشر، بالإضافة إلى خوف العثمانيين من نشاط الدعاة الصفويين في الشام، وكذلك في مصر حسب ما أكدته بعض المصادر⁽²⁾ يمكن النظر لهذا الامتداد بنظرة أخرى أكثر شمولية تتدرج ضمن الاستراتيجية التي وضعها العثمانيون للسيطرة على كامل المناطق العربية شرقيها وغربيها .

ثانياً : ضم الشام ومصر والقضاء على دولة المماليك :

على إثر السيطرة العثمانية على مدينة الموصل 1514 م، وجد السلطان سليم أن الحاجة تدعوه إلى استكمال السيطرة على المحور التجاري الذي يربطها بحلب، فأخذ يعد العدة لهذا الأمر بعد أن توفرت له كل المسببات لحربه مع المماليك، أبرزها :

1- عرقلة ساقية الجيش السلطان سليم، قبيل معركة جالديران، التي أعد لها السلطان المملوكي الخوري، وكان أداتها علاء الدولة أمير إمارة ذو القدر⁽³⁾.

(1) دروزة، محمد عزة، العرب والعروبة ... ج 6، ص 67 .

(2) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج 1، ص 302؛ العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 8، ص 173.

(3) الرمالي، محمد الزنبلي، سيرة السلطان سليم خان، ص 7؛ Pavey .V .J.op.cit.p73.

2- كون شمال بلاد الشام ما يزال مرتعاً لأتباع الطريقة الصفوية الميالين للحكم الصفوي، إذ كان يشكل هذا الأمر في تلك النواحي خطراً على الدولة العثمانية، لاسيما مع إمكانية امتداد فعلي للدولة الصفوية بتلك المنطقة⁽¹⁾.

3- اعتقاد العثمانيين بوجود ائتلاف بين الصفويين والمماليك ضدهم، ولكن المصادر المعاصرة لتلك الأحداث قد أبطلت هذا الإدعاء، فقد كانت العلاقة بين الجانبين (الصفوي والمملوكي) علاقة مDAHنة عدائية أكثر منها ودية⁽²⁾.

إن تفسير السيطرة العثمانية على مصر والشام، تكمن في الاستراتيجية العثمانية لربط ديار بكر والبوصل بحلب، للإفادة من متاجر الشرق، وعلى رأسها الحرير، خصوصاً بعد خلوص تبريز للعثمانيين، وخلق الاقتصاد الصفوي تمهيداً لإسقاط الدولة الصفوية⁽³⁾، فدارت الدائرة على المماليك وزالت دولتهم .

ترتب على الزوال المملوكي والصعود العثماني، أن سيطرة العثمانيون على خط تبريز - الموصل - حلب⁽⁴⁾، الأمر الذي منع الصفويين من الوصول إلى إتمام هدفهم الاستراتيجي الرامي إلى مدّ نفوذهم إلى حوض البحر المتوسط، ليزيد في الوقت ذاته من إحكام العثمانيين للحصار الاقتصادي الذي فرضوه من قبل على الصفويين⁽⁵⁾.

ثالثاً : أثر التوسع العثماني في المشرق العربي في مرحلة الصراع :

يتضح مما سبق أن الأراضي التي تنافس عليها الطرفان، قد آلت بشكل دائم - طوال مدة الدراسة - إلى العثمانيين، نظراً لتفوقهم العسكري

(1) متولي، أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص 77-84 .

(2) ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص 354-357 ؛ ابن أياس، بدائع الزهور...، ج2، ص 118-121، 219، 266، 271.

(3) الجميل، سيار، بقايا وجذور، ص 107 .

(4) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الفارسية، ص 154.

(5) طقوس، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص 160.

وللاستراتيجية التي اتبعوها في سيطرتهم على البحار المحيطة بالمنطقة (البحر الأحمر، بحر العرب، الضفة الشرقية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط)، إضافة إلى سيطرتهم على الطرق البرية من العراق عبر الشام إلى السواحل الشرقية للمتوسط، ما ضيق الخناق على الاقتصاد الصفوي الذي يعتمد بشكل كبير على تصدير الحرير إلى أوروبا .

إن أبرز أحداث الصراع في هذه الفترة تتمثل في تجسيد السيطرة العثمانية على المشرق العربي، التي انبثقت من خلال الصراعين البري والبحري معاً ضد أكثر من دولة، فكان هناك الصراع البري ضد الصفويين في إيران، وضد المماليك في مصر وبلاد الشام، وكان هناك الصراع العثماني البحري ضد البرتغاليين في البحار الشرقية، وكانت أبرز نتائج هذه السيطرة أن قضى العثمانيون على آخر أنفاس الخلافة العباسية الإسلامية أثر اعتقال ونفي المتوكل على الله آخر الخلفاء الرسميين، وهو آخر خليفة عربي لم تكن له القدرة على اتخاذ القرار، ولم يكن له تأثير سياسي⁽¹⁾، والمصادر التاريخية القديمة ومن ضمنها الوثائق العثمانية، لم تشر من قريب ولا من بعيد، إلى حدوث أي تنازل عربي / عباسي عن الخلافة إلى العثمانيين⁽²⁾.

بعبارة أخرى، كانت الانتصارات العثمانية ذات أهمية كبرى في تحديد مصير الوطن العربي عامة، والمشرق العربي خاصة، وقد انتهت النظام السياسي العربي القديم وبضمنه الخلافة العباسية، ولكن بقيت عدة نماذج عربية محتفظة بمقوماتها السياسية حيث اعتمد العثمانيون - كعادتهم - على أبناء البيئات الإقليمية في تسيير المناطق الخاضعة لهم، مثل خاير بيك في مصر، وفخر الدين المعنى الأول في لبنان، والشريف محمد الثاني بن بركات شريف مكة في الحجاز⁽³⁾.

(1) بدون مؤلف، " المتوكل على الله الثالث"، مجلة أقلام، 2001، ص 5، www.aklaam.com

(2) للاستزادة حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى: الجميل، سيار، بقايا وجذور...، ص 124-125.

(3) المرجع نفسه، ص 150-151.

مجمل القول أن الغرض من هذه السياسة العثمانية في الولايات العربية، أن تبقى على ما كانت عليه، حين تم الاستيلاء عليها مع المحافظة على السيادة العثمانية⁽¹⁾.

في ذات السياق، قسم العثمانيون المشرق العربي إلى عدة ولايات، ارتبطت جميعها في المراحل التاريخية الأولى بالسلطة العثمانية العليا في العاصمة استانبول مباشرة، وكان من أبرز تلك الولايات العربية المشرقية : ولاية الموصل، بغداد، البصرة، شهرزور، حلب، دمشق، طرابلس الشام⁽²⁾.

أما فيما يتعلق أن الدولة العثمانية كانت مسئولة عن الركود والتخلف اللذين حلا بالمنطقة العربية الخاضعة لها⁽³⁾، فلا يمكن الإقرار بذلك كلياً، دون التعرض للأسباب التاريخية التي أدت إلى ذلك، والمصاحبة للصراع الصفوي العثماني، وإن طرح هذه الأسباب في مساحة ضيقة جداً يعود لقصر الفترة قيد الدراسة مقارنة بالوجود العثماني في المنطقة العربية الذي ناهز الأربعة قرون في بعض المناطق.

حقيقة أن العثمانيين بعد سيطرتهم على المشرق العربي، قد فرضوا عليه نوعاً من العزلة، ومن ذلك أن الدولة العثمانية، بعد أن سيطرت على سواحل البحر المتوسط حولته إلى بحيرة عثمانية، ومنعت دخول السفن الأوروبية إليه حرصاً على سلامة البقاع الإسلامية المقدسة، التي فكر البرتغاليون في الاعتداء عليها⁽⁴⁾ بيد أنها سمحت بالتدريج للسفن الأجنبية بالإبحار حتى جدة،

(1) أحمد عبدالرحيم، " دور العرب في ظل الرابطة العثمانية "، ص 136.

(2) المرجع نفسه، ص 13-137.

(3) للاستزادة في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى ؛ ارلخ هارمان، " إزاحة صبغة الاحتلال من تاريخ العلاقات التركية العربية " أعمال المؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركية، تحرير عقيل البربار، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1982، ص 8-22.

(4) منسى، محمود حسن، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص 18-23.

وفي النهاية أصبحت تتجه إلى السويس، وعادت تجارة المرور من جديد في أواخر القرن الثامن عشر، هكذا أمكن كسر نظام العزلة المفروضة على المشرق العربي، بخاصة أن الدولة العثمانية كانت بحاجة إلى بريطانيا وفرنسا في مواجهة الضغط الروسي الهادف إلى إحياء الإمبراطورية البيزنطية التي ادعى آل رومانوف حكام روسيا أنهم ورثتها⁽¹⁾.

إذن، فالعزلة التي فرضتها الدولة العثمانية على أملاكها العربية، كان مبعثها الخوف الناتج من الصراع المستمر بينها وبين العالم المسيحي، فكانت هذه السياسة حماية للمنطقة العربية من الخطر الأوروبي، وإن كان كلفها الخضوع للعثمانيين المسلمين حتى مطلع القرن العشرين .

هكذا، فإن الدولة العثمانية لا تتحمل وحدها مسئولية التدهور الذي أصاب المشرق العربي، إذ إن هذا التدهور يرتبط بالعامل الاقتصادي، الذي تأثر بعدة عوامل لعل أهمها، تحول طرق التجارة العالمية إلى المحيطات، بعد اكتشاف الأمريكتين، وطريق رأس الرجاء الصالح⁽²⁾، وكانت نتائجه وخيمة على الطرفين : العثمانيين والعرب .

بالإضافة إلى ذلك فقد تحملت الولايات العربية العثمانية، (معتادات) استانبول من الهدايا للسلطان وكبار رجال دولته، وكانت هناك أيضا نفقات القوات العثمانية المرابطة في الولايات للدفاع عنها، ولحفظ الأمن فيها ومنع الثورات، إلى جانب تجهيز فرق حربية وإرسالها إلى ميادين القتال في أوروبا وآسيا للاشتراك مع الجيوش العثمانية⁽³⁾، كل ذلك أجهد المنطقة العربية، وحرمها من تطوير اقتصادياتها، في ظل سيادة عربية مسلوكة الإرادة .

(1) أحمد عبد الرحيم مصطفى، " العرب في ظل الرابطة العثمانية "، ص 134.

(2) المرجع نفسه، ص 135.

(3) منسى، محمود حسن صالح، تاريخ العرب الحديث، ص 23 ؛ المورد، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ص 20.

أخيراً إن أبرز ما يلفت الانتباه في موضع السيطرة العثمانية على المشرق العربي، إضفاء جل الكتابات العربية على الوجود العثماني في المنطقة العربية صفة "الفتح"، فمن منطلق أن صفة الفتح لها مدلولها الخاص، لدى العرب المسلمين، يبدو من غير الصواب إطلاق هذا المصطلح على منطقة إسلامية، إسلامها هو أسبق من الوجود العثماني بها، بل هو أقدم من تاريخ قيام دولة آل عثمان أنفسهم.

فكما مر أن العثمانيين قد دخلوا المشرق العربي بالقوة العسكرية في خضم صراعهم مع الصفويين في إيران والعراق، ومع المماليك في الشام والحجاز ومن هذا المنطلق كان الوجود العثماني في المنطقة العربية - رغم الحماية التي قدموها للعرب - هو وجود قوة أجنبية في المنطقة العربية .

المبحث الثالث

العلاقات العثمانية – الصفوية مع أوروبا في فترة الصراع

- العلاقات العثمانية الأوروبية .
- العلاقات الصفوية الأوروبية وتداعياتها على المشرق العربي .
- التدخل البرتغالي في الصراع الصفوي العثماني وتداعياته على المشرق العربي .

لقد كانت دول أوروبا المسيحية تحاول الإفادة من الحروب بين العثمانيين والصفويين من جهة، ومن جهة أخرى كان ملوك فرنسا من أسرة آل فالوا يبحثون عن حلف مع العثمانيين ليهاجموا آل هابسبورغ من الخلف، كذلك حاول آل هابسبورغ عقد الصلات مع الصفويين في إيران، ليوقفوا العثمانيين في أوروبا⁽¹⁾، ولا يعنى ذلك أن الدولتين العثمانية و الصفوية كانتا مُسيرتين بالإحياءات الأوروبية، بل كانت لكل منها مطامع خاصة تريد تحقيقها، فكان المشرق العربي هو الخاسر الأكبر في ضل هذه العلاقات الأوروبية، العثمانية الصفوية .

أولا : العلاقات العثمانية الأوروبية:

تميز عهد السلطان العثماني بايزيد الثاني ببدء العلاقات الدبلوماسية مع أوروبا بشكل ملحوظ، وبتغير نظرة الأوروبيين للعثمانيين، في الوقت الذي يسيطر فيه العثمانيون على جزء كبير من أوروبا، وفي هذا الصدد، يذكر الباحث الإنجليزي تشارلز اليوت : " لقد تغيرت نظرة الأوروبيين إلى

(1) حاطوم، نور الدين، الموسوعة التاريخية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت)، ص

الأتراك، فلم يعودوا يرون فيهم البرابرة الأجلاف غير المتفاهمين، بل أصبحوا ينظرون إليهم نظرة احترام ويدعونهم إلى أراضيهم ويرحبون بالاتفاق معهم، خاصة بعد أن وجدوا عندهم من القيم الإنسانية والحضارية، ما يماثل تلك التي كانت عند الإغريق والسلاف والألبانيين والرومان، بل تمايز الأتراك على هؤلاء بالقوة والنشاط ووحدة الصف، أضف إلى ذلك تواضع السلاطين " (1).

بيد أن هذه النظرة لم تغير من سياسة العثمانيين في الزحف أكثر في أوروبا، فقد استمرت حروبهم مع البنادقة على سواحل البلقان واستولوا منهم على جزر ليبانت ومودن ونافرين في البحر المتوسط وميناء رودتسو على البحر الأدرياتيكي⁽²⁾. من جهة أخرى اضطر العثمانيون إلى عقد معاهدات سلام مع العديد من الدول الأوروبية، عند انشغالهم بالحرب ضد الصفويين في الشرق، سواء كان ذلك في عهد سليم الأول، أو ابنه سليمان القانوني .

على الرغم من حدة الصراع الصفوي العثماني وانشغال العثمانيين بإعداد الجيوش له، لكنهم لم يوقفوا توسعهم في أوروبا، ففي الفترة الواقعة بين سنتي 927هـ/1521م، 936هـ/1531م، استطاع سليمان القانوني أن يواصل مسيرة الفتوح في أوروبا وكانت أهم خطواته :

- فتح بلغراد 997هـ/ 1521 م، كانت هذه المدينة الحصينة بمثابة درع يحمي وراءه المحاربون كلما تقدم العثمانيين، من ثم فإن فتحها كان يعني حرمان المجر من هذا الدرع، كما أن توسطها أوروبا جعل منها قاعدة صالحة لانطلاقات عثمانية أخرى إلى قلب أوروبا، وقد استغرق حصارها شهراً كاملاً⁽³⁾.

(1) Eliot . Charles .Turkey In Europe, London ,1965,p.54-55.

(2) هريدي، محمد عبداللطيف، الحروب العثمانية وأثرها في انحسار المد الإسلامي من أوروبا، ص 41 .

(3) متولي، أحمد فؤاد، تاريخ الدولة العثمانية، ص 237-238 .

- فتح جزيرة رودس 929هـ/1523م، حيث فرسان القديس يوحنا يتخذونها قاعدة لأعمالهم البحرية، ما جعل فتحها أمراً حيوياً بالنسبة للدولة العثمانية من ناحية، ولنشاط التجارة العثمانية من ناحية أخرى، ورغم بسالة الفرسان في الدفاع عن الجزيرة وقوة تحصينها استطاع العثمانيون فتحها عام 929هـ⁽¹⁾.

- اجتياح المجر وحصار فيينا، بعد فتح بلغراد استمر الاجتياح العثماني للمجر حيث لقي العثمانيون تحالفاً صليبياً، ضم جيوش أوروبية مختلفة في موقعة موهاج سنة 932هـ، وحققوا نصراً ساحقاً على هذا التحالف، وزحفوا على عاصمة المجر (بودا) واستولوا عليها، ما جعل العثمانيين وجهاً لوجه أمام ملك النمسا فرديناند، وحاصروا عاصمته فيينا 939هـ، واحكم الجيش العثماني الحصار عليها، وظل يقصف أسوارها طيلة ستة أشهر⁽²⁾، لكنه لم يستطيع فتحها، بسبب سماعه أنباء من الشرق بخصوص الخطر الصفوي، جعلته يرجع إلى استانبول⁽³⁾ استعداداً لجولة جديدة مع الصفويين .

إن التحرك العثماني نحو أوروبا في عهد السلطان سليمان، قد زادت حدته أكثر من ذي قبل، وما يؤكد ذلك رسالة التي بعث بها الإمبراطور شاركان إلى سفيره في إنجلترا في 16 أبريل 1523 م، يقول له: " عليك أن توضح للملك وللكاردينال مبلغ الخطر الذي يتعرض له العالم المسيحي ... ونكاد نعتقد أن الأتراك سينوون مهاجمة العالم المسيحي هذه السنة، وستكون أرض المعركة أما في هنغاريا أو في إيطاليا أو في البلدين

(1) هريدي، المرجع نفسه، ص 61 .

(2) هريدي، محمد، المرجع نفسه، ص 61 .

(3) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص 221 ؛ متولي، أحمد فؤاد، تاريخ الدولة العثمانية، ص 241-242.

معاً، وفي الوقت ذاته .. ولكن أينما هاجم الأتراك في العالم المسيحي، فإن ذلك من شأنه أن يعرض كرامتنا بصفتنا إمبراطوراً وحامياً للكنيسة إلى الامتحان .. وإذا سمحنا للعدو أن يقوم بمثل هذا العمل العدائي فإنه سيكون بمثابة وصمة عار تلحق بنا إلى الأبد، هذا فضلاً عما سنعرض إليه من بؤس وشقاء ⁽¹⁾.

تدل هذه الرسالة على مبلغ الفزع الذي انتاب أوروبا من جراء التوسع العثماني، فبدأ الأوروبيون ينظرون إلى الدولة الصفوية في إيران وسيلة لتحويل الخطر العثماني عنهم، ويقول هارولد لامب "إن الرسل الموفدين من البندقية ذهبوا إلى الشاه في إيران ليحثوه على حرب الدولة العثمانية، إذ إن هذه الحرب إذا ما أمكن إشعالها ستخفف الضغط عن مدينة فيينا وعن البحر المتوسط ⁽²⁾، بينما كتب سفير النمسا في أستانبول "أن الإيرانيين وحدهم يقفون بيننا وبين الدمار ⁽³⁾".

إذا يمكن القول إن العلاقات العدائية بين أوروبا والدولة العثمانية، قد أسهمت بشكل كبير في التقارب الأوربي الصفوي، منذ وقت مبكر من الصراع الصفوي العثماني، ما كان له بالغ الأثر على منطقة المشرق العربي.

ثانياً : العلاقات الصفوية الأوروبية وتداعياتها على المشرق العربي :

بعد أن أسس الشاه إسماعيل دولة قوية في شرق الدولة العثمانية، دخل في حروب مع السلطان سليم الأول منذ سنة 920هـ/1514م، ولهذا أخذ ملوك أوروبا الذين كانوا في ذعر واضطراب من زحف العثمانيين على أوروبا، في مصادقة الشاه إسماعيل والاتحاد معه، وسعى لا سيما بعد

(1) المورد، علي، لساحات من تاريخ العراق، ص 51-52.

(2) لامب، هارولد، سليمان القانوني، ترجمة شكري نديم، بغداد، 1961 م، ص 235.

(3) Browne, Edward. A Literary History of Persia, Cambridge, 1953, vol4, p93-94.

هزيمته في جالديران للتقرب من الدول الأوروبية، بخاصة المجر وألمانيا وجمهورية البندقية، الذين يجاورون الدولة العثمانية من ناحية الغرب .

- العلاقات الصفوية الفينيسية (البندقية) :

لقد كانت فينيسيا من الدول المتأثرة تجارياً بسبب قضاء العثمانيين على الدولة البيزنطية إثر سقوط القسطنطينية سنة 1453 م، وإغلاقها الطريق الرئيسي للتجارة بين أوروبا وآسيا⁽¹⁾، على إثر ذلك حدثت عدة مراسلات بين جمهورية فينيسيا والدولة الصفوية منذ وقت مبكر من تأسيس الأخيرة .

حقيقة الأمر أن الغموض، وعدم الوضوح يسود المراسلات التي جرت بين الطرفين فالمصادر العربية التي تعرضت لهذا الموضوع، أكتفت بأن مضمون هذه المراسلات ينحصر في تشجيع البندقية للشاه إسماعيل لشن الحرب على العثمانيين لكي يخفف الضغط على أوروبا⁽²⁾.

بيد أن أحد المصادر الفينيسية أزالت ذلك الغموض عن محتوى المراسلات الفينيسية الصفوية، حيث تذكر يوميات (مارينو سانودو) أنه جرى ترتيب ذات قيمة في مجلس شيوخ فينيسيا في عام 1502 م، بواسطة أحد رعاياه (أي رعايا مجلس فينيسيا) والمقيم في قبرص بخصوص الاتصال مع الشاه إسماعيل⁽³⁾، وفي ذات السياق وصلت رسالة إلى فينيسيا من أحد عملائها في الشرق، مؤرخة في 25 نوفمبر 1502م، أبلغت أن الصوفي [الشاه إسماعيل] أراد أن يحصل على سلاح مدفعية من المسيحيين⁽⁴⁾، وقبل

(1) أبو الحسن علوي عطرجي، " الصفويون والدولة العثمانية " . . . www.d-sunnah.net.p11 .

(2) ابن أبياس، بدائع الزهور...، ج4، ص 191 ؛ ابن طولون، مفاهكة الخلان، ج1، ص 342.

(3) Allouche , Adle .Op.Cit. p.80.

(4) ولايتي، علي أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران ...، ص 241.

ذلك أرسلت فينيسيا قسطنطينو لاسكاري من قبرص إلى الشاه إسماعيل في يونيو 1502 م، " ليقدم وعداً بالمساعدة والمدفعية، وأقامت تحالف ضد العثمانيين " (1).

يستشف من هذه المعلومات أن فينيسيا سعت للتحالف مع الصفويين ولتقديم المساعدة لهم لحثهم على حرب العثمانيين، فقد كانت فينيسيا تسعى لإبقاء الأناضول في حالة اضطراب، أملاً في إيجاد نقاط اضطراب داخلي للعثمانيين، حيث كانت فينيسيا في حالة دفاع ضدهم في ميادين القتال في الموره (الموريا) (2).

- العلاقات الصفوية الإنجليزية، وبداية التدخل الإنجليزي في المشرق العربي :

مع بداية العقد الثاني من القرن السادس عشر، بدأ إهتمام الإنجليز بالمشرق العربي عن طريق شركة مسكو التي تأسست في موسكو على يد التجار الإنجليز ريتشارد شانسلر بإذن من قيصر روسيا أيفان (1533/1584م)، حيث بعثت هذه الشركة انطوان جينكينسن إلى إيران، لعله يستطيع إقامة علاقات اقتصادية مع ولايات شمال إيران الواقعة على ساحل بحر الخرز والتي كانت مراكز لتجهيز الحرير، لينافس بذلك التجار البرتغاليين الذين يحتكرون تجارة الحرير الإيراني، ويحملونه إلى أوروبا عن طريق الخليج العربي وجنوب أفريقيا (3).

توجه جينكينسن إلى إيران سنة 1536م، حاملاً رسالة من ملكة إنجلترا إليزابيت (1523-1603م) موجهة إلى طمهااسب الأول (4)، ووصل جينكينسن

(1) Allouche .Adel .op.cit.p.81.

(2) Ibid.p.74.

(3) فلسفي، نصر الله، إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي، ص 133.

(4) يوجد نص لهذه الرسالة في الملحق، ص 284، الوثيقة : 11.

إلى ميناء دربند في القوقاز، الذي كان آنذاك ضمن الممتلكات الصفوية، ومن هناك توجه إلى أصفهان عاصمة الشاه الجديدة، ويبدو أن مهمة المبعوث الإنجليزي قد فشلت في عقد اتفاق مع الشاه، لتشجيع التجارة معه، لذا تصف أحد المصادر جينكنيسن " لم يكن يعرف العادات والتقاليد الإيرانية فإنه لم يستطع أن يحقق هدفه كما كان يريد وعاد إلى موسكو .." (1).

رغم فشل البعثة الإنجليزية الأولى في تحقيق هدفها، إلا أن شركة مسكو لم تقف الأمل في اختراق تجارة المشرق العربي والحرير الإيراني، فبعد عدة سنوات استطاعت الشركة أن تعقد اتفاق مع الشاه الصفوي عن طريق مبعوثها آرثر إدوارد، وأهم بنود هذا الاتفاق :

1- التجار الإنجليز الحرية في السفر حسب رغبتهم سواء إلى جيلان أو إلى أي مكان من أملاك الشاه .

2- إذا حدث وتعرضت إحدى سفنهم للغرق في بحر الخرز، فإن رعايا الشاه سوف يهبون لمساعدة الغرقى، وينقذون أموالهم وأرواحهم إذا طلبوا المساعدة .

3- يحق للتجار الإنجليز شراء أو بناء المنازل اللازمة لعملهم، ولا يحق لأي شخص منعهم أو الأضرار بهم (2).

وبهذه الامتيازات التي منحها الشاه طهماسب الأول، كان يُرجى أن تزدهر التجارة عن طريق روسيا إلى إيران، وتؤدي إلى كساد سوق البرتغاليين مع الهند الشرقية وإيران، لأن التجار الإنجليز كان يمكنهم المجيء إلى إيران مرة واحدة على الأقل كل سنة عن طريق روسيا، أما ذهاب البرتغاليين عن طريق البحر من هرمز إلى الهند وجنوب إفريقيا إلى أوروبا ثم العودة للهند وإيران، فلم يكن متاحاً قبل عامين (3).

(1) شيباني، نظام الدين محير، تشكيل شاهنشاهي صفوية، ص 235-240 .

(2) فلسفي، نصر الله، إيران وعلاقاتها الخارجية ...، ص 136-137.

(3) المرجع نفسه، ص 137.

وان لم تشر هذه الاتفاقية بوضوح إلى العثمانيين، إلا أن بنودها تهدف ضمنية إلى منع احتكار الحرير من قبل السلطات العثمانية، وبالتالي فتح الباب أمام الصفويين للمتاجرة مباشرة بأوروبا، دون عبور الأراضي الواقعة تحت السيطرة العثمانية، وهذا ما يمكن اعتباره بداية التدخل الإنجليزي في المشرق العربي، سيما في ظل موافقة أحد دول المنطقة، وهي الدولة الصفوية المنهكة في صراعها مع العثمانيين .

بيد أن أكثر الدول الأوروبية استفادت من هذا الصراع، هي دولة البرتغال لذا أفرد لها مساحة أوسع في هذه الدراسة، وهذا ما يختص به القسم الثالث من هذا المبحث.

- ثالثاً : التدخل البرتغالي في الصراع الصفوي العثماني وتداعياته على المشرق العربي :

مع إطلالة القرن السادس عشر، بدأت خارطة العالم الجغرافية تأخذ شكلاً جديداً، وذلك لما طرأ عليها من تطورات جذرية متتالية في المجالات السياسية والاقتصادية والإستراتيجية، ومما لاشك فيه أن الباعث الأول لهذه التطورات هو ظهور البرتغاليين على المسرح الدولي للأحداث، وقد سبق الحديث عن الوجود البرتغالي في المشرق العربي واحتلال جزيرة هرمز سنة 1507م⁽¹⁾، إثر اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، فكان ذلك إيذاناً ببدء عهد دولي جديد، ليس في المحيط الهندي فقط، بل في الدول المتحلقة حول الخليج العربي والبحر الأحمر والبحر المتوسط عموماً⁽²⁾.

(1) العماد الحنبلي، شذرات الذهب...، ج4، ص 60 ؛ ابن الربيع، قرّة العيون، بغداد، 1980، ص 211 .

(2) بروديل، فرناند، البحر المتوسط، ص 59 ؛ فخري رشيد المهنا، " الخليج " مجلة أفاق عربية، ع5، 1980، ص 55.

جرى أول اتصال بين البرتغاليين و الصفويين سنة 1508م، عندما طالب الشاه إسماعيل الخراج السنوي المعتاد من أمير هرمز، الخاضعة حديثاً للسيطرة البرتغالية، فأستشار الأخير القائد البرتغالي بوكيرك، الذي أرسل رسالة ⁽¹⁾ إلى الشاه يقول : " لقد استولينا على هرمز بقوتنا وقدرتنا وهي مملوكة لجلالة إيمانبول ملك البرتغال، وليس لأمير هرمز حق دفع الخراج لملك غيره " ⁽²⁾ . ثم أعطى لمبعوث أمير هرمز بعض طلقات المدافع والبنادق والبارود، وقال له : " قل لأميرك أن يرسلها إلى الشاه إسماعيل بدل الخراج، لأن ملك البرتغال أمرنا ألا نجيب الأعداء، إلا بمثل هذه الأشياء، وبعد أن أنتهي من قلعة هرمز، فسوف أهاجم على سواحل الخليج الفارسية ونستولي على كل موانئها الساحلية التي تخضع الآن للشاه إسماعيل، ونضمها لاسم ملك البرتغال " ⁽³⁾ .

وليس هناك من شك أن وصول البرتغاليين إلى منطقة المشرق العربي وسيطرتهم على أجزاء من السواحل العربية والفارسية في الخليج العربي، جعلهم على معرفة بأحوال المنطقة الصراع القائم بين العثمانيين والصفويين، ومن ثم سعوا إلى الاستفادة من هذا الصراع، فتقربوا من الصفويين وحاولوا التحالف معهم لكي يتسنى لهم تحقيق مآربهم في المنطقة، ففي سنة 1509م، بعث البوكيرك - نائب ملك البرتغال في الهند - برسالة إلى الشاه إسماعيل الصفوي يقول فيها : " إنني أقدر احترامك للمسيحيين في بلادك واعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك.. وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو أن تهاجم مكة، فستجدني

(1) توجد نسخة من هذه الرسالة في الملحق، ص 255، الوثيقة : 7 .

(2) مهدي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 22-23.

(3) فودة، محمد رضا، العلاقات الإيرانية الخليجية، مركز الدراسات العربي - الأوروبي، باريس، 1994، ص 10.

بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة، وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له ما يريد..." (1).

إن كلمات هذه الرسالة توضح مدى الحقد والكره الذي يكنه البرتغاليون للمسلمين وسعيهم الدؤوب للقضاء على الإسلام مستغلين الخلاف الإسلامي - الإسلامي، وفي المقابل كان الصفويون يبحثون عن حليف قوي يساعدهم في صراعهم ضد العثمانيين، لاسيما إثر هزيمتهم في جالديران 920هـ/1514م، لذلك سعى الشاه إسماعيل الصفوي للتحالف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية، منتهزاً عدواتهما معاً ضد العثمانيين (2).

ففي سنة 921هـ/1515م، أرسل الشاه إسماعيل رسوله إلى القائد البرتغالي البوكيرك يحمل رسالة موجهة إلى ملك البرتغال، كتبت باللغة اللاتينية (3)، وإثر هذه الرسالة عقد اتفاقية بين الطرفين، ويقول علي أكبر ولايتي : أن بنودها جيدة للطرفين (4) وتتضمن هذه الاتفاقية ما يلي :

- 1- تقوم القوات البحرية البرتغالية بمساعدة الدولة الصفوية " في إخماد الانقلابات التي تحدث على سواحل بلوشستان (بلوچستان) ومكران (5).
- 2- تصرف الدولة الصفوية النظر عن جزيرة هرمز (6) وتوافق على أن يبقى حاكمها تابعاً للبرتغال، وألا تتدخل في أمورها الداخلية (7).
- 3- تصاحب قوة بحرية برتغالية حملة الصفويين على البحرين والقطيف .

(1) الخطيب، مصطفى عقيل، التنافس الدولي في الخليج العربي، ص 23.

(2) نوار، عبد العزيز، تاريخ العراق الحديث، ج1، ص 10.

(3) توجد صورة من هذه الرسالة في المعلق، ص 216 (الوثيقة : 6) .

(4) ولايتي، علي أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 254 .

(5) فلسفي، نصر الله، إيران وعلاقاتها الخارجية، ص

(6) ولايتي، علي أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 258.

(7) أبو الحسن عطر جي، " الصفوي والدولة العثمانية " www.d-sunnah.ent

4- تتحد الدولتان في مواجهة الدولة العثمانية⁽¹⁾.

بيد أن هذه الاتفاقية لم يتم العمل بها نظراً لموت البوكيرك (15 ديسمبر 1515م، في ميناء جوا بالهند) لكنها بشكل أو بآخر أسهمت بتجدر الوجود البرتغالي في المنطقة لأكثر من قرن، نظراً لانشغال الصفويين والعثمانيين بصراعهما مع بعضهما البعض وغضهما الطرف عن الوجود البرتغالي، وهذا الباحث الإيراني عبد الرضا مهدي، يرى أن الدولة الصفوية استفادت من هذه الاتفاقية بتعريفها على استخدام الأسلحة النارية الجديدة⁽²⁾.

مما يجدر ذكره في هذا السياق أن ترسيخ الوجود البرتغالي حول منافذ الخليج العربي كان ضربة قاسية للتجار العرب والمسلمين، جعلت التجارة عموماً بيد الأوروبيين لأن العثمانيين أخفقوا - إلى حد ما - في أن يحلوا محل العرب في السيادة الاقتصادية التي احتفظ العرب بها لمدة طويلة، ثم أتى الصراع الصفوي العثماني الذي شغل الدولتين عن سرعة التطورات الدولية في البحار، وليعطي الفرصة لكي تفرض القوى البرتغالية منطق القوة الاستعماري على موانئ الخليج العربي وخليج عمان وخليج عدن⁽³⁾، وأن تصبح صاحبة اليد الطولى فيها، والمتحكم الأول في تجارتها⁽⁴⁾.

(1) العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج، ص 17؛ نورس، علاء الدين، السياسة الإيرانية في الخليج العربي، ص 8.

(2) مهدي، عبدالرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 23.

(3) تتضح هذه السياسة الرامية إلى محاربة العرب والمسلمين ليس فقط في المشرق العربي، بل محاولة طرد المسلمين من مواقعهم في الهند، من خطاب ألقاه البوكيرك على رجاله جاء فيه " الخدمة الجليلة التي سنقدمها لله بطردنا العرب هذه البلاد (الهند) وبإطفائنا شعلة محمد، بحيث لا يندلع لها هنا بعد ذلك لهيب .. وذلك لأنني علي يقين أننا لو انتزعنا تجارة ملقا هذه أيديهم، لأصبحت كل من القاهرة ومكة أثراً بعد عين... ". بانيكار، ك، م، آسيا والسيطرة الغربية، ص 48.

(4) نوار، عبدالعزيز، الصراع العثماني الفارسي والعلاقات الفارسية العربية، ص 54.

ثم كان لسعي البرتغاليين الحثيث ومحاولاتهم المستمرة لإجتياز باب المندب بهدف الوصول إلى جدة، أذ وقع على العثمانيين - بعد أن دان لهم أشراف الحجاز بالولاء - مسؤولية حماية البحر الأحمر لوجود ممتلكات لهم فيه، وعدا الدفاع عن هذه الممتلكات واجباً تفرضه المعطيات الأيدلوجية في الدفاع عن مقدسات المسلمين في مكة والمدينة، وواجباً استراتيجياً تفرضه مصلحة الدولة الاقتصادية في السيطرة على طرق التجارة الدولية⁽¹⁾.

أخيراً، إن الصراع الدولي حول المشرق العربي، الذي شكل الصراع الصفوي العثماني جزءاً منه، ولم ينته بمجرد زوال الدولة الصفوية، أو خروج العثمانيين من المنطقة العربية، ذلك بسبب المشاكل العالقة جراء ذلك الصراع، لاسيما الحدودية منها، كما أن أحد أهم أسباب الصراع، (الطرق التجارية التقليدية) تبدلت بمنابع النفط (العربي والإيراني)، بل ليس ببعيد القول إن ما يجري في العراق اليوم، ليس ببعيد عن تداعيات الصراع سالف الذكر، وهذا موضوعٌ جديرٌ بالمناقشة والبحث .

(1) ياغي، إسماعيل احمد، الدولة العثمانية، ص 32 ؛ صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية، الإيرانية، ص 69.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التي ألفت الضوء على جانب من تاريخ الصراع بين الدولتين العثمانية و الصفوية، وبالتحديد الفترة الممتدة من بداية القرن السادس عشر وحتى منتصف العقد الخامس من ذات القرن، وما رافق هذه الفترة من أحداث ووقائع، وما تمخض عنها من نتائج، لاسيما المتعلقة بمنطقة المشرق العربي، لابد من الإشارة إلى بعض الاستنتاجات .

إن الدولة العثمانية نشأت من جراء انسياح قبائل التركمان الآتية من أواسط آسيا إلى الأناضول، مستقرة على أراضي دولة بزنطة، وذلك منذ الفترة التي تلت معركة ملاذكرد (1070م) فتم لهؤلاء التركمان الاستيطان بالأناضول، وجهدوا على تتركبه، ليغدو فيما بعد عثمانياً من الجانب القومي، وإسلامياً، لاعتناق معظم سكانه الديانة الإسلامية من الجانب الديني، ثم بدأ الزحف العثماني نحو أوربا في منتصف القرن الرابع عشر، توج بفتح القسطنطينية سنة 1453م، والسيطرة على جزء كبير من أوروبا، ومع بداية القرن السادس عشر يتجه العثمانيون للمشرق (الفارسي والعربي) ليدخلوا في صراعٍ طويلٍ الأمد مع الدولة الصفوية الناشئة حديثاً .

بعد أن خسر زعماء التركمان نفوذهم السياسي إثر اضمحلال دولتي القره قويونلو والأق قويونلو، وجدوا ضالتهم في المشيخة الصفوية في أردبيل التي كان ينضوي تحت لوائها الآلاف من المريدين التركمان، والمتمثلة آنذاك في إسماعيل الصفوي - الذي لم يتجاوز الاثني عشرة سنة - وحملوه من كيلان إلى أردبيل سنة 1499 م، ثم تبريز وجعلوه ملكاً عليهم سنة 1501 م، فتحقق لهؤلاء الزعماء ما كانوا يرنون إليه، من استحواذ على السلطة بعد أن قامت بالفعل الدولة الصفوية على أكتاف قبائل " القزلباشية " .

لقد أيقن الصفويون أهمية الرقعة التي قامت عليها دولتهم من الناحية الإستراتيجية، فأخذوا يتوسعون شرقاً إلى أن وصلوا مرو - الحد الذي يفصل

الهضبة الإيرانية عن آسيا الوسطى - غرباً إلى أن وصلوا ديار بكر الواقعة شرق الأناضول، الأمر الذي جعل العثمانيين ينظرون نظرة ريبة وحذر من التوسعات الصفوية الرامية إلى السيطرة على المناطق الإستراتيجية، الأمر الذي أخذ بالفعل يهدد كيان دولتهم .

تفاديا لهذه الخطر عمد العثمانيون إلى مبدأ الحصار الاقتصادي لخنق اقتصاد الدولة الصفوية، تمهيداً لضربها، كما حدث في جالديران سنة 1514م، ولما كانت هذه المعركة غير حاسمة، استمر الصراع منقطعاً بين الطرفين قرابة قرنين .

لقد حاولت هذه الدراسة تنفيذ الأسباب المذهبية للصراع، إذ ارتأت عدم إمكانية ردّ الصراع إلى الخلاف المذهبي بين الطرفين، وأن الخلاف المذهبي لم يكن سوى وسيلة دفع بها المتنفذون في الدولتين، جموع العامة لتحقيق مآربهم التوسعية .

إذاً، إن التشيع والتسنن لم يكونا بحد ذاتها الغاية التي يتوخاها الطرفان، ويستدل من ذلك أن قيام الدولة الصفوية في منطقة أذربيجان، وبين الأتراك بالذات له دلالة خاصة، فهي لم تقم في الأقاليم (فارس، عراق العجم، خراسان) التي تضم قسماً من الفرس الآخذين بالمذهب الشيعي، بل قامت في إقليم لم يكن فيه التشيع أصيلاً بل مستحدثاً، قام على نشره شيوخ الأسرة الصفوية، بدءاً من الشيخ سلطان جنيد (1447/1460م) حتى إعلان حفيده إسماعيل قيام دولتهم وهي فترة ليست بكافية لتأصيل الخلاف المذهبي بين ساكني تلك المناطق على نحو يجعله السبب الأساسي للصراع بين الدولتين .

من جهة أخرى إن ارتكاز بداية الصراع بأذربيجان وشرقي الأناضول (معركتي جالديران، وقره غين دده) يعزز هشاشة السبب المذهبي، لأن تلك المناطق يعُدها العثمانيون من مناطق نفوذهم، بحكم صلة القرابة بينهم وبين أتراك أذربيجان، وعلى الجانب الآخر ينظر شاهات

الصفويين إلى منطقة شرق الأناضول النظرة ذاتها، على أنها من مناطق نفوذهم، وذلك لانتشار الطريقة الصفوية بين القبائل التركمانية فيها، كما أن امتداد دائرة الصراع لتشمل المشرق العربي - وأغلبه تحت سيطرة المماليك - تنفي بقوة مذهبية الصراع، أما فيما يخص الأعمال العربية بين الطرفين، يمكن استخلاص جملة من النتائج .

لم تضع الحروب التي دارت بين الجانبين حداً للصراع، رغم تفوق العثمانيين فيها أغلب الأحيان، ولم تستطع الدولة العثمانية القضاء على الدولة الصفوية، نتيجة لعدم دخول الصفويين في حرب مباشرة ضدهم، باستثناء معركة جالديران 1514 م .

لئن استطاعت الدولة العثمانية الاستيلاء على العراق، فإنها أدركت صعوبة الحفاظ على المدن (الإيرانية) التي تم الاستيلاء عليها، وإن الحاميات العثمانية مهما بلغت قوتها، لن تستطيع الصمود كثيراً أمام الجيش الصفوي، وإن الإبقاء عليها مضيعة للجهد والأرواح والمال .

لعب بعض أمراء الدولتين الفارين من الجانبين درواً بارزاً في إشعال الصراع واستمراره في بعض الأحيان، واساهم بعضهم في تجريد الحملات في بعض فترة الصراع .

وضعت معاهدة أماسيه (1555 م) حداً مؤقتاً للصراع لأول مرة منذ اندلاعه في عام 1514 م، حيث تعد أول معاهدة تعقد بين الطرفين، وقد وضعت حداً مؤقتاً للصراع، كما فتحت الباب أمام المساعي الدبلوماسية لمناقشة القضايا العالقة بين الطرفين .

على الرغم من عدم تمكن أحد الطرفين من حسم الصراع لصالحه بشكل حاسم، فإن ذلك لم يمنع من استخلاص عدة نتائج من جولات الصراع حتى عقد أول اتفاقية بينهما سنة 1555 م .

حيث أن كلا الدولتين ضمت تنوعاً سكانياً (أثني) انضوى تحت لواء الأسرة العثمانية (الترك العرب، الكرد، الكرجستانيون، البلقانيون) وكذلك بالنسبة للدولة الصفوية، ضمت تعداداً سكانياً (ترك، فرس، عرب، كرد، أرمن، بلوچ، كرجستانيون) فكان الولاء في هذين المجتمعين للسلطان أو للشاه، ولما كان طموح السلاطين و الشاهات يحتم عليهم توسيع رقعة النفوذ، لاستئثار بالبقع الاستراتيجية أو الغنية بمواردها الاقتصادية، دفعوا بمن دان لهم بالولاء، بغض النظر عن انتماهم الأثني أو الديني، إلى سلسلة من الحروب الدامية، لتحقيق هذه الغاية، مما جرّ على هؤلاء الكثير من الويلات كخسائر في الأرواح والأموال وأشكال من الهجرة والتهجير .

أما من الناحية الاقتصادية، فقد كان وقوف الدول الصفوية في إيران بمثابة حاجزٍ بوجه قوافل التجارة العالمية، إضافة إلى تمكن البرتغاليين من الالتفاف حول أفريقيا إلى الهند، دون الاعتماد على الطرق البرية التي تخترق مناطق السيطرة العثمانية والصفوية، الأمر الذي ألحق الضرر بالدولة العثمانية، لاعتماد موارد خزانها على هذه التجارة، رغم ذلك، فرضت حصاراً للتعامل بمتاجر الشرق عبر إيران في عهد بايزيد الثاني وبداية عهد ابنه سليم الأول، لحرمان الدول الصفوية الناشئة من الحصول على عدة الحرب المتضمنة معدني الحديد والنحاس، إلى أن تسنى لها السيطرة على معظم مناطق الأطراف، فأمنت بذلك جانب من اقتصادها، لاسيما بعد أن ضم سليمان القانوني بغداد (1534) والبصرة (1547م) إلى دولته، لتأمين طريق بري يصل بالدولة إلى المحيط الهندي عبر الخليج العربي، الأمر الذي ادخله في صراع مع البرتغاليين حلفاء أعدائه الصفويين.

أما الدولة الصفوية فقد اقتضت مصلحتها السياسية والاقتصادية التحالف مع القوى البرتغالية، وذلك لتسهيل الأعمال التجارية، بين الطرفين من جهة،

وللوقوف في وجه العثمانيين من جهة أخرى، حيث كان حافز البرتغاليين لهذا التحالف وحدة الهدف مع الصفويين على الصعيد الاقتصادي والسياسي في آن معاً.

وسرعان ما بدأ تدفق دول أوروبية أخرى - إضافة للبرتغاليين - إلى منطقة المشرق الإسلامي عامة، والمشرق العربي خاصة، على هيئة علاقات صداقة وتعاون مع الدولة الصفوية، ويحرصونها على الاستثمار في صراعها مع العثمانيين، أملاً في تخفيف حدة الزحف العثماني على أوروبا، وطمعاً في الاستحواذ على خيرات المنطقة العربية .

لقد انعكس كل ذلك سلباً على المشرق العربي، تمثل في فرض السيطرة العثمانية عليه، مع استمرار المحاولات الصفوية لنفس الغرض، لاسيما العراق، الذي تمركز فيه الصراع بين الجانبين العثماني و الصفوي، لاعتبارات استراتيجية، باعتباره يتحكم في طرق عديدة لمتاجر الشرق في وقت السلم، وجسراً لمرور القوات العسكرية أوقات الحرب . وقد تكون الحرب بين الإيرانيين والعراقيين من أحد جوانبها، استمراراً للقضايا العالقة من جراء ذلك الصراع .

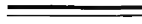
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر .

أ. المخطوطات :

- 1- بهليكان، يوسف بن علي بن محمد شاه، غزوة السلطان سليم لروافض الأعجام، مخطوط (بتاريخ 922هـ) محفوظ بدار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ميكروفلم، 1678.
- 2- خوندامير، غيات الدين بن همام، حبيب السير في أخبار وبشر، مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ميكروفلم، 49051 .
- 3- الفتاح، إبراهيم أحمد، كتاب في التاريخ، مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ميكروفلم، 14668.
4. الرمال، محمد الزنبلي، سيرة السلطان سليم خان، مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ميكروفلم 1720 .
- 5- النهر والى، قطب الدين، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة .



ب. المصادر العربية والعثمانية .

- 1- أصفاف، عزتو يوسف بك، تاريخ بنى عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ت)
- 2- الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ط3، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، 1986م .
- 3- أبن اياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 3-4-5، حققه وكتب له المقدمة والفهارس محمد مصطفى، القاهرة، 1960 م .

- 4- باخرمة، قلائد النحر في أعيان الدهر، دراسة وتحقيق محمد عبد العال، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، 1980م .
- 5- الحموي، أحمد بن محمد، فضائل سلاطين بن عثمان . تحقيق محسن محمد حسن سليم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1993م .
- 6- ابن الربيع، قرّة العيون، بغداد، 1980 م .
- 7- الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسن بن عبد الله المبري، دار الفكر، بيروت، 1998م .
- 8- الصديقي، رزق الله منقريوش، تاريخ دول الإسلام، ج 3، مطبعة الحلال، القاهرة، 1908م .
- 9- الصديقي، محمد بن أبي السرور البكري، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، تقديم وتحقيق وتعليق ليلي الصباغ، دار النشائر، دمشق، 1995م .
- 10- ابن طولون، شمس الدين محمد، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، 1961م .
- 11- العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج8، المكتب التجاري، بيروت، (د.ت) .
- 12- العمري، ياسين خيرا لله، زبدة الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية، مطبعة الآداب، بغداد، 1974م .
- 13- _____، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد، دار السلام، بغداد، 1968 م .
- 14- _____، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحذباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل، 1955م .
- 15- العبيدي، إبراهيم بن عامر علي، قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان، شمس الحقيقة، القاهرة، 1317هـ.

- 16- فريدون بك، منشآت السلاطين، استانبول، 1275هـ.
- 17- الغزي، نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، حققه وضبط نصه جبرائيل سليمان جبور، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1997م.
- 18- القرماني، أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
- 19- الكرمل، انستاس ماري، خلاصة تاريخ العراق منذ نشؤه إلى يومنا هذا، مطبعة الحكومة، البصرة، 1919م.
- 20- المحني، فضل الله محب الله، خلاصة الآثار في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- 21- نظمي زاده، مرتضى أفندي، كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، النجف، 1970م.
- 22- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت).

ج. المصادر الإيرانية والمعرية .

- 1- البدليسي، شرف خان، شرفنامه، ترجمه إلى العربية محمد علي عوني، دار إحياء الكتب العربية، بغداد، 1962.
- 2- بستكي، محمد أعظم بن عباسيان، بر فارس أحداث ووقائع ومشايخ بستك وخنج والنجة ولار، ترجمة وتعليق محمد وصفي أبو مغلي، مؤسسة الأيام، المنامة، 1993م.
- 3- روملو، حسن، أحسن التواريخ، بسعي وتصحيح جارلسن نارمن سيدن، انشارات كتابخانه صدر، تهران، 1342هـ، ش.
- 4- طهماسب، صفوي، تذكره طهماسب، شروح وقايع وحولات زندكاني شاه طهماسب صفوي، بن اهتمام عبد الشكور، تهران (د.ت).

- 5- عزيزي، يوسف القبائل العربية في خوزستان، عربيه عن الفارسية جابر أحمد، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1996.
- 6- كاشاني، أحمد غفاري قزويني، تاريخ نكارستان، تهران، (د.ت).
- 7- كاشاني، أحمد غفاري، تاريخ جهان آرا، تهران، 1344 هـ.ش.
- 8- مؤلف مجهول، تاريخ قزلباش، به إهتمام مير هاشم محدث، تهران، 1361 هـ.ش.
- 9- مؤلف مجهول، عالم آراي صفوي، باهتمام يد الله شكري، تهران، 135 هـ.ش
- 10- ميرزا، نادر، تاريخ وجغرافي دار السلطنة تبريز . تهران، (د.ت).

ثانيا : المراجع .

أ. الكتب العربية .

- 1- أباطة، فاروق عثمان، مستقبل الجانب الشرقي من الدولة العثمانية، دار المعارف، 1986 م .
- 2- أبوغنية، زياد، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، ط2، دار الفرقان، 1986 م .
- 3- أبوغلي، محمد وصفي، إيران، منشورات مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية بجامعة البصرة، 1985 م .
- 4- أحمد، خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي، جامعة الموصل، 1983 م .
- 5- الأعظمي، علي، تاريخ الدول اليونانية والفارسية في العراق، مكتبة الثقافة الدينية، بغداد، 1927 م .
- 6- _____، مختصرة تاريخ البصرة، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2001 م .

- 7- أنيس، محمد، الدولة العثمانية والمشرق العربي 1514-1914، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1993م .
- 8- _____، تاريخ الشرق الأوسط الحديث 1516 - 1914 م، دار العلم للعربي، القاهرة، (د.ت) .
- 9- البربار، عقيل، محاضرات ألقاها في جامعة الفاتح، كلية الآداب (غير منشورة)، 1999م .
- 10- برجايوي، سعيد أحمد، الإمبراطورية العثمانية، الأهلية للنشر، بيروت، 1993م .
- 11- بيهم، محمد جميل، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، (د.م)، (د.ت).
- 12- بدوي، جمال، الشيعة قادمون، القاهرة، 1988م .
- 13- جمعة، بديع محمد، الشاه عباس الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م .
- 14- _____، العلاقات العربية الإيرانية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1993م .
- 15- _____، أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم الجزء الأول، دار الرائد العربي، 1976م .
- 16- الجميعي، عبد المنعم إبراهيم، العثمانيون في الميزان الإسلامي والعربي، القاهرة، 1995م .
- 17- جميل سيار، حصار الموصل والصراع الإقليمي، بيت الموصل، الموصل، 1990م .
- 18- _____، تكوين العرب الحديث، 1516-1916م، دار الكتب، الموصل، 1991م .
- 19- _____، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، من أجل بحث رؤيوي معاصر، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1989م .

- 20- _____، بقايا وجذور وتكوين العرب الحديث، الأهلية، عمان، 1997م .
- 21- الجهماني، يوسف، العلويين في تركيا، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 2002 م .
- 22- جودة، حسنين جودة، أحمد هارون، جغرافية الدول الإسلامية، الإسكندرية، 1984.
- 23- الجوهري، يسري عبد الرزاق، جغرافية الشعوب الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1981م .
- 24- الحرثي، نزار عبداللطيف، العلاقات العربية الفارسية، دراسة تحليلية، دار واسط، لندن - بغداد، 1982م .
- 25- حسنين، عبدالمنعم، ماذا بعد البصرة، المكتب العربي الإسلامي، القاهرة، 1988م .
- 26- _____، إيران في ظل الإسلام في العصور السنية والشيعة، دار الوفاء، المنصورة، 1988م .
- 27- حسين، فاضل، مشكلة شط العرب، معهد البحوث والارسات العربية، بغداد، 1975 م .
- 28- _____، تاريخ العراق السياسي الحديث، مطبعة العرفان، صيدا، 1977م .
- 29- الحسني، عبد الرزاق، عبد العزيز الدروي، بغداد، دار الكتاب اللبناني، 1984م .
- 30- حسون، علي، الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي، دمشق، 1980م .
- 31- حلاق، حسان، مدن وشعوب إسلامية، ج4، بيروت، (د.ت) .
- 32- الحلو، علي نعمة، الأحواز " عربستان "، بغداد، (د.ت) .

- 33- حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988م .
- 34- الحميد، عبداللطيف بن محمد، سقوط الدولة العثمانية، القاهرة، 1988م .
- 35- الخطيب، مصطفى عقيل، التنافس الدولي في الخليج العربي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت) .
- 36- الخولي، أحمد، الدولة الصفوية تاريخها السياسي والاجتماعي، علاقتها بالعثمانيين، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1981م .
- 37- درورة، محمد عزة، العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي، 1981م .
- 38- الدجيلي، حسن، العلاقات العراقية الإيرانية خلال خمس قرون، ط3، دار الأضواء، بيروت، 1991م .
- 39- دهليش، عبد اللطيف عبد الله، قيام الدولة العثمانية، مكتبة النهضة العربية، مكة المكرمة، 1988م .
- 40- رافق، عبدالكريم، العرب والعثمانيون 1516-1261، مطبعة ألف باء، دمشق، 1974 م .
- 41- _____، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، دمشق، 1988م .
- 41- الربيعي، هيفاء عبدالعزيز، غزاة في الخليج العربي، مكتبة الوطنية، بغداد، 1989م .
- 42- راضون، نبيل عبد الحي، جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، (د.ت) .
- 43- الروسان، محمود محمد، القبائل الثمودية و الصفوية، دراسة مقارنة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1412 هـ .

- 44 - زيادة نقولا، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987م .
- 45- زين، نور الدين زين، نشوء القومية العربية، بيروت، 1968م .
- 46- زيادة، نقولا، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987م .
- 47- زياد، أبو غنية، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ج2 ، دار الفرقان ، 1986م .
- 48- سلطان علي، تاريخ الدولة العثمانية، منشورات مكتبة طرابلس العلمية، طرابلس، (د.ت).
- 49- _____، تاريخ العرب الحديث، منشورات مكتبة طرابلس العلمية، طرابلس، (د.ت).
- 50- السيد، محمد السيد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000 م.
- 51- _____، إنهار الدولة العثمانية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003 م .
- 52- شاكر، محمد، إسماعيل ياغي، تاريخ العالم الإسلامي، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998م .
- 54- الشريفي، إبراهيم، التاريخ الإسلامي، القاهرة، (د.ت) .
- 55- شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، ج8، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1983م .
- 56- _____، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، ج7، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1977م .
- 57- الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1980م .

- 58-_____، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986 م .
- 59- الشبيني، مصطفى، الطريقة الصوفية وراوسبها في العراق المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، 1967 م .
- 60- الشيخ، رأفت غنيمي، تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات، مصر، 1994 م .
- 61-_____، ومحمد رفعت، أسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، عين للدراسات، 2001م .
- 62- الصباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلم بين العثمانيين و الصفويين، دار النفائس، بيروت، 1999م .
- 63-الصباغ، ليلي، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، دمشق، 1982م .
- 64- الصمانجي، عزيز قادر، التاريخ السياسي لتركمان العراق، مكتبة المثني، بغداد، (د.ت) .
- 65- الصيرافي، نوال حمزة، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، الرياض، 1983م .
- 66-الصلابي، علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار الببادق، بيروت، 1999م .
- 67- طقوس، محمد أسعد، تاريخ العرب، مج 2، ط 2، دار الأندلس، 1997م .
- 68-عاشور، سعيد عبد الفتاح،
- 69- عامر، محمد علي، الدولة العثمانية، تاريخ ووثائق، دار الرحاب، دمشق، 2001 م .

- 70- عبد المنعم، صبحي، الشرق الإسلامي في زمن المماليك والعثمانيين،
العربي للنشر، القاهرة، (د.ت) .
- 71- عبد المؤمن، محمد السعيد، الظواهر الأدبية في العصر الصفوي،
الانجلو المصرية، القاهرة، 1987م .
- 72- _____، الأدب في العصر الصفوي، (د.م)،
1984م.
- 73- عبد الكريم، أحمد عزت، دراسات في تاريخ الغرب الحديث، دار
النهضة العربية، بيروت، 1970 م .
- 74- العبادي، عبد الحميد، وآخرون، الدولة الإسلامية تاريخها و حاضرها،
1985م .
- 75- العريني، السيد الحجاز، المماليك، دار النهضة العربية، بيروت،
1967م.
- 76- العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين الاحتلالين : الحكومات التركمان
(1534/1338)، ط3، مطبعة النفيف الأهلية، بغداد، ج3، 1939م .
- 77- _____، تاريخ العراق بين احتلالين : العهد العثماني الأول
1534 - 1638 م، ج4، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1949 م .
- 78- العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الانجلو
المصرية، القاهرة، 1974.
- 79- عمر، عبد العزيز عمر، المشرق العربي : 1516م/ 1916م، دار
المعرفة الجامعة، الإسكندرية، 2000 م .
- 80- _____، دراسات في التاريخ الحديث، دار المعرفة الجامعية،
الإسكندرية، (د.ت) .
- 81- عمر، فارق، تاريخ الخليج، ط2، دار أواسط، بغداد، 1985 م .

- 82- عوض، عبد العزيز، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج1، دار المريخ، الرياض، (د.ت) .
- 83- أبوعلية، عبد الفتاح، دراسات في تاريخ الجزيرة، الرياض، 1986م .
- 84- غرابية، عبد الكريم محمود، تاريخ العرب الحديث، الأهله، بيروت، 1984م .
- 85- فرغلي، أبو الحمد محمود، الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين بإيران، مكتبة مذبولي، القاهرة، 1990م .
- 86- فروخ، محمد، الأمة العربية على طريق وحدة الهدف، دار الفكر، (د.ت).
- 87- فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1973م .
- 88- فودة، أحمد رضا، العلاقات الإيرانية الخليجية، مركز الدراسات العربي - الأوربي، باريس، 1994م .
- 89- كواثراني، وجيه، الفقيه والسلطان، دراسة في تجربتين تاريخيتين : العثمانية والصفوية - القارجارية، دار راشد، بيروت، 1989م .
- 90- قلعجي، قدري، الخليج العربي، دار المكتب العربي، بيروت، ج1، 1965م .
- 91- متولي، أحمد فؤاد، الفتح العثماني، للشام ومصر مقدماته، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت) .
- 92- متولي، محمد، محمود أبو الفداء، جغرافية الخليج العربي وخليج عمان ودول شرق الجزيرة العربية، ط2، مكتبة الفلاح، الكويت، 1985.
- 93- محمود علي، الدولة العثمانية،
- 94- المسلم، محمد سعيد، ساحل العاج، ط3، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

- 95- مجموعة مؤلفين، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983.
- 96- المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجليل، بيروت، 1977
- 97- المصري، حسن مجيب، صلات بين العرب والفرس والترك :دراسة تاريخية أدبية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (د.ت.).
- 98- المصري، المهدي، الموفق القومي التاريخي ازاء التحدي الفارسي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980 م .
- 99- مغنية، محمد جواد، دول الشيعة في التاريخ، النجف، 1965م .
- 100- _____، الشيعة والحاكمون، ط2، المكتبة الأهلية، بيروت، 1962م .
- 101- مطران، خليل، مرآة الأيام في مخلص التاريخ العام، دار نظير عبود، بيروت، 1995م .
- 102- مؤنس، حسين، أطلس الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987.
- 103- _____، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط2، مطبعة حجازي، القاهرة، 1938م .
- 104- الموصلي، منذر، الحياة السياسية في كردستان، لندن، 1991 م .
- 105- منصور، محمد، تاريخ إيران بعد الإسلام، القاهرة، 1979 م .
- 106- مهنأ، محمد نصر، الإسلام في آسيا، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1991م .
- 107- المهاجر، جعفر، الهجرة العاملة إلى إيران في العصر الصفوي، دار الروضة، (د.ت.).

- 108- الموردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، كوفان للنشر، لندن، 1991م .
- 109- منسي، محمد حسن صالح، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، المشاركة والمغاربة، القاهرة، 2000 م .
- 109- نورس، علاء الدين، السياسية الإيرانية في الخليج العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1982 م .
- 110- النبراوي، فتحيحة، محمد مهنا، الخليج العربي، دراسة تاريخ العلاقات الدولية،
- 111- النجار، مصطفى، التاريخ السياسي لأمارة عربستان العربية، دار المعارف، القاهرة، (د.ت) .
- 112- _____، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1975م .
- 113- _____، وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1984م .
- 114- نوار، عبدالعزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973 م .
- 115- _____، العلاقات العربية الإيرانية، دار الفكر العربي، 1974م .
- 116- _____، وآخرون، تاريخ العلاقات العربية الإيرانية، الاتجاهات الراهنة وأفاق المستقبل، بيروت، 1996م .
- 117- نوفل، سيد، الأوضاع السياسية لأمارات الخليج العربي وشبه الجزيرة، ط2، المعرفة، القاهرة، 1962م .
- 118- هريدي، محمد عبداللطيف، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المدى الإسلامي عن أوروبا، دار الصحوة، القاهرة، 1987م .

- 119- هيئة تحرير عربستان، عروبة الاحواز وخرافات حكام إيران، مطبعة الحوادث، بغداد، 1975م .
- 120- الورد، باقر أمين، حوادث بغداد في أثنى عشر قرناً، مكتبة النهضة، بغداد، 1989م .
- 121- يحي، جلال، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 1989م .
- 122- ———، العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- 123- ياغي، إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، (د.م)، (د.ت).

ب. الكتب الإيرانية :

- 1- أشتياني، عباس إقبال، تاريخ أيران بعد الإسلام من بداية الدولة الظاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، ترجمة عن الفارسية محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة، القاهرة، 1989م .
- 2- باستاني، باريزي، إبراهيم، سياست واقتصاد عصر صفوي، تهران، 1367هـ ش .
- 3- براون، إدوارد، تاريخ ادبيات إيران از اغاز عهد صفوية تا زمان حاضر، ترجمة رشيد باسمي، جاب دوم، تهران، 1329هـ ش.
- 4- بيكولوسايا، ن، و، تاريخ إيران از دوران باستان تا يابان سده هيجدم ميلادي، نقله إلى الفارسية كريم كشاوز، ط4، انتشارات بسام، تهران، 1945.

- 5- بيبيرنيا، حسن، تاريخ ايران از اغارتا انقرض قاجارية، انتشارات كتاب خانة خيام، ط6، تهران، 1730 هـ. ش .
- 6- بارسا دوست، متوجهر، زمنية تاريخي اختلافات ايران وعراق، تهران، 1346 هـ. ش.
- 7- شيباني، نظام الدين مجير، شاهنشاهي صفوية، تهران، 1346 هـ. ش.
- 8- زكي، محمد امين، تاريخ السلمانية، نقله إلى العربية جميل احمد الروزياني، شركة النشر والتوزيع، بغداد، 1951.
- 9- _____، خلاصة تاريخ الكرد والكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد علي عوني، مطبعة السعادة مصر، 1931.
- 10- _____، تاريخ دول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي، نقله إلى العربية محمد علي عوني، (د.م)، 1945.
- 11- فلسقي، نصر الله، تاريخ ايران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي 1500-1736م، ترجمة فتحي الرئيس، دار الثقافة، القاهرة، 1989م .
- 12- _____، زندكاني شاه عباس، ط5، تهران، 1352 هـ. ش .
- 13- كوب، عبد الحسين رزين، رزكاران، تاريخ ايران از اغارتا سقوط سلطنت بهلوي، ط2، انتشارات سخت، تهران، 1379 هـ. ش .
- 14- مهدي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي ايران از ابتداي دوران صفوية تا پايان خيك دوم جهاني، انتشارات أمير كبير، تهران، 1364.
- 15- مير احمد، مريم، دين ودولت، در عصر صفوي، تهران، 1369 هـ. ش.

16- مؤلف مجهول، تاريخ عربستان خلال خمسمائة عام من تاريخ المشعشين في عربستان، ترجمة عن الفارسية سعيد السيد الباجوري، دار الثقافة، مصر، 1984.

17- نوائي، عبد الحسين، شاه طهماسب صفوي، تهران، 1350 هـ ش .

18- نوائي، عبد الحسين وآخرون، تاريخ روابط فرهنكي ايران، تهران، 1359 هـ.ش.

19- ولايتي، علي اكبر، تاريخ روابط خارجي ايران در عهد شاه إسماعيل صفوي، مؤسسة جاب، تهران، 1375 هـ .

20- يازوكي، رضا، تاريخ ايران از مغول تا افشارية، ج1، تهران، 1334 هـ ش.

ج. كتب مترجمة .

1- أوغلي، أكمل الدين إحسان (إشراف)، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج1- 2، نقله إلى العربية صالح سغراوي (استانبول)، 1999 م .

2. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود الأنصاري، مؤسسة فيمل للتموين، استانبول، 1988.

3- أولسن، روبرت، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية، ترجمة عبد الرحمن الجليلي، الرياض، 1983 م .

4- ايفانوف، نيقولا، الفتح العثماني للأقطار العربية، ترجمة يوسف عط الله، دار الفاربي، بيروت، 1988 م .

5- اينالجيک، خليل، الدولة العثمانية من النشؤ إلى الانحدار، ترجمة محمد م. الارناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002 م .

6- باننيكار، ك . م، آسيا والسيطرة العربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، دار المعارف، القاهرة (د.ت).

- 7- بروديل، فردناند، البحر المتوسط، ترجمة عمر سالم، تونس، 1990 م .
- 8- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي دار العلم للملايين، بيروت، 1988م .
- 9- بطرو شوفسكي، الإسلام في إيران، ترجمة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة، القاهرة، (د.ت).
- 10- تويني، ارنولد، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، ط2، الأهلية للدراسات، بيروت، 1981م .
- 11- _____، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ترجمة فؤاد محمد شبل، ط2، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، 1966م .
- 12- حوراني، ألبرت، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة كمال قولي، مطبعة نوفل بيروت، 1997م .
- 13- سبديو، خلاصة تاريخ العرب، ترجم بأمر ناظر المعارف، مطبعة محمد أفندي، 1903 م .
- 14- ستانلي، لين بول، الدولة الإسلامية، نقله من التركية إلى العربية محمد صبحي فرزات، أحمد دهمان، دمشق، 1974م .
- 15- _____، طبقات سلاطين الإسلام، ترجمة طاهر الكعبي، مطبعة البصري، (د.م)، 1969م .
- 16- سرهنك، إسماعيل، تاريخ الدولة العثمانية، تقديم ومراجعة حسن الدين، دار الفكر الحديث، بيروت، 1988م .
- 17- قفلجني، حكمت، التاريخ العثماني رؤية مادية، تعريب فاضل لقمان، دار الجليل (د.ت) .
- 18- لامب، هارولد، سليمان القانوني، ترجمة شكري محمود نديم، بغداد، 1961 م .

- 19- لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس كوريس، بغداد، 1954م .
- 20- لومبير، ج . ج، دليل الخليج، القسم التاريخ، ج1-6، ترجمة مكتب أمير دولة قطر، دار الكشف، بيروت، 1949.
- 21- لونكريك، ستيفن هميسر، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ط2، نقله إلى العربية
- 22- لويد، سيتون، الرافدين، نقله على العربية طه باقر، بشير فرنسيس، بغداد، (د.ت) .
- 23- مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير الساعي، دار الفكر، القاهرة، 1983م .
- 24- مؤلف مجهول، تاريخ الأتراك، عربي عن الإنجليزية حسن لبيب، مطبعة الواعظ، مصر (د.ت).
- 25- ولبر، رونالد، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد المنعم حسنين، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1985 م .
- 26- ولسن، روبرت، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية، ترجمة عبد الرحمن الجليلي، الرياض، 1983 م .
- 27- كوك، ريجارد، بغداد مدينة السلام، ترجمة فؤاد جميل، مصطفى جواد، ج1، بغداد، 1962م .
- 28- كروزيه، موريس " إشراف "، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف داغر، وفريد داغر، منشورات عويدات، بيروت، (د.ت) .

- المراجع الأجنبية :

- 1- Allouche , Adel , the Origins and Deve lopment of the Ottoman- Savavid Conflict 1500/1555,Berlin.1983.
- 2- Browne .O.G,Aliteravy History of Persia ,vol4.
- 3- Eliot , Chavles . Turkey in Eueope , London , 1965 .

- 4- Elton , G . R . the new Cambridge modernhistory , Vol2 . the reformation 1520 – 1559 , Cambridge , University Press .
- 5- Faroghi .Suraiga , Making Alivinc in the Ottoman Lands .1480-to1820.
- 6- Inalcik , Halil . the Ottoman Empier , the Classical Age 1300-1600 , London.1973
- 7- Itzkowitz . the Ottoman Empire and Islamic Tradition, Newyork,1972.
- 8- Jackson , Peter . The Cambridge History Iran , Vol.6 . the Timurid and Safavid periods .
- 9- Kinross . Lord . the Ottoman Centuies, the rise and fal Turkish Empire .Morrow Ouill Paper Bacte , 1977.
- 10- Lewis , Bernaed . the Emergence Modern .Turkiy , London , 1963 .
- 11- Mazzaoui , M.M. the Origins of the Safavids Visbadem , 1977 .
- 12- Mccarthy . Justin . the ottoman .Turks An Intordusctio History , London ,1923.
- 13- Morgan .David . Medieval Persia 1040-1797.Langman, London.1988.
- 14 – Tapper .Richard. Frontier nomads of Iran , Combridge University,1996.
- 15- -----, the Middle ESAT Intelli, Gence Handbooks .
- 16- Sykes , Pexcy . History of Persia , Macmillan and co, limited , 1951.
- 17 – Shaw , Stanford , History of ottoman Empire and Modern Turkey vol1Cambridge ,University press,1977.
- 18- Savory . R.Iran Under the Safavids,Cambridge University Press.1976.
- 19- Potter . G.R. the New comhrdge Modern History the Renaissance 1493/1520.
- 20- Roemer .H.R. the Safavid Period Combridge University press .
- Chopter5. Combridge History of Iran, vol6.
- 21- Merriman .R.B. Suleiman the Magnificent Harvard,1944
- The Ency Clopaedia of Islam , Leiden ,1980.
- 22- Middle East Inttelligence Handbooks, Persia - General Organlzation of the Alexandria Library, 1987.
- 23-Parry .V.J,A History of the ottoman Empire te 1730,Cambridge , University .Press.1976.



ثالثاً: الدوريات

أ. العربية .

- 1- إبراهيم، خليل إبراهيم، " بدايات التوجه العثماني نحو منطقة الخليج العربي"، مجلة المؤرخ العربي، تصدر عن الأمانة العامة للمؤرخين العربي، بغداد، ع43، س 16، 1990م .
- 2- أبو عجيله، عبد الفتاح، " العثمانيون وبنو خالد في الاحساء"، المجلة التاريخية المغربية، ع29-30، س10، تونس، 1983م .
- 3- أحمد، عبد الرحيم مصطفى، " العرب في ظل الرابطة العثمانية"، العلاقات العربية التركية من منظور عربي، ج1، معهد الدراسات العربية، 1991م .
- 4- أرلنح هارمان، " ازاحة صبغة الاحتلال من تاريخ العلاقات التركية العربية"، أعمال المؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركية، تحرير عقيل محمد البربار، منشورات مركز دراسة الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس، 1982م .
- 5- أكمل الدين إحسان أوغلي " العرب في ظل الرابطة العثمانية"، العلاقات العربية التركية من منظور تركي، معهد البحوث والدراسات العربية، ج2، 1993م .
- 6- إيوار، " الدردنيل"، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 9، (د.ت) .
- 7- —، " هطاسب الأول"، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 15، (د.ت).
- 8- بدر الدين الخصوصي، " الدولة الصوفية في مواجهة التحديات"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع، 1990م .

- 9- زهير، عبدالحسين مهدي، " طبيعة العلاقات العراقية الفارسية" سلسلة دراسات الإيرانية - رقم 8- صدرت عن معهد الدراسات الآسيوية الأفريقية، الجامعة المستنصرية، 1985.
- 10- طارق، نافع الحمداني، " علاقات المماليك المصريين السياسية بالدولتين الصفوية والعثمانية في مطلع القرن السادس عشر "، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة الكويت، ع17، مج5، 1985.
- 11- عبد العزيز، نوار، "الصراع العثماني الفارسي والعلاقات الفارسية العربية من العهد الصفوي حتى نشوب الحرب العالمية الثانية"، العلاقات العربية الإيرانية، تحرير يونان لبيب رزق، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، 1993.
- 12- عبد المنعم، الجميعي، " دور الدين في التوجه السياسي للدولة العثمانية " مجلة تاريخ العرب، ع26، 2001/1422 .
- 13- عماد، احمد الجواهري، " العراق والتوسع الصفوي 1502/1570"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع20.
- 14- _____، " الدور التاريخي للبصرة على الخليج العربي 1500/1600"، ع13، س 4، 1978.
- 15- فاروق، عثمان أباظة، " تحول التجارة العالمية عن البحر المتوسط إلى راس الرجاء الصالح و أثره في العلاقات التجارية بين الإسكندرية والبندقية في مطلع العهد العثماني"، مجلة التاريخ العربي، ع10، 1999.
- 16- فخري، رشيد المهنا، " الخليج"، مجلة الأفاق عربية، س 5، ع5، 1980.
- 17 - كرامرز، " اسكودار"، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 2، (د.ت) .

- 18- _____، "سليم الأول"، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 12، (د.ت) .
- 19- _____، "سليمان الأول"، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 12، (د.ت) .
- 20- كاراده فو، "جالديران"، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 6، (د.ت) .
- 21- محمد، عبد المحسن عبود، "عدن والمطامع البرتغالية في القرن السادس عشر"، من كتاب الأبحاث، ج2، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، 1987.
- 22- محمد، عبد العال أحمد، "أضواء جديدة على ملامح فاسكو دي جاما"، مجلة معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة، ع5، 1976.
- 23- محمد، حسن العيّدروس، "التاريخ الاقتصادي للخليج العربي والجزيرة العربية في العصر الحديث 1513-1914"، في مجلة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ع10، 1420، 1999.
- 24- محمد المراجعي، "الدولة الدربندرية في بلاد القوقاز"، مجلة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ع 12، س 1420 هـ/ 1999 م .
- 25- مورتان، "ذو القدر"، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 9، (د.ت) .
- 26- مونرسكي، "تبريز"، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 4، (د.ت) .
- 27- هيوار، "إسماعيل الأول"، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 2، (د.ت) .

28- _____، " البديسي"، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 3، (د.ت) .

ب. الاجنبية .

- 1- Halil. Inalcik. " Bursa and the Commerce of the Levant " Journal of Economic and Social History of orient , vol3 , 1960.
 - 2-----." Haria ". in Encyclopdia of Islam , Luzac , vol3 , London .1970.
 - 3-----," the Rise the ottoman Empire" the comhridge History of Islam.vol1.
-

رابعاً: الموسوعات .

- 1- الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، 8 مجلدات، ط5، دار التعارف سوريا، 1995م .
 - 2- البستاني، بطرس، دائرة المعارف، مج4، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
 - 3- حاطوم، نورالدين، الموسوعة التاريخية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ت) .
 - 4- الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، دار المعرفة، بيروت، 1995 م .
 - 5- وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين، مطبعة دائرة المعارف القرن العشرين، 1924م .
 - 6- غربال، محمد شفيق (إشراف) الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، القاهرة 1965م .
-

خامسا: الرسائل الجامعية .

- 1- خادم، سيد علي، الشرق الإسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرق البحر المتوسط 1450 - 1517 م، (رسالة دكتوراة)، دار الريحاني، بيروت، 1989 م .
- 2- شتار، إبراهيم الدسوقي، أثر الصراع المذهبي بين الشاه إسماعيل والسلطان سليم العثماني في الأدب الفارسي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة القاهرة، كلية الآداب، سنة 1967.
- 3- شرف، مصطفى موسى، قبائل القزلباش ودورهم في العصر الصفوي (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1991.
- 4- العربي، توفيق حسن، الصراع العثماني الصفوي، 1520/1622م على ضوء المصادر والوثائق التركية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، 1993.
- 5- نورس، علاء موسى، الصراع العثماني الفارسي و أثره على العراق في القرن الثامن عشر، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1995.

سادسا : شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

- 1- أحمد تمام " سليم الاول من السلطنة إلى الخلافة "

www.Islam-online.ent

- 2- أحمد تمام " سليم القانوني وقمة عهود الدولة العثمانية "

www.Islam-online.ent

- 3- سمير حلبي "جالديران"، الطريق إلى المشرق العربي

www.Islam-online.ent

4-أبو الحسن عطر جي " الصفويون والدولة العثمانية "

www.Islam-online.ent

5- خالد توفيق " مناقشة في الفقه السياسي " www.alwelayah.net

6- الصراعات الإقليمية ومحاولات الاستقلال " العصر

الصفوي " www.mogatel.com 7- عصر الدولة الصفوية

www.mogatel.com

8- عربستان

www.mogatel.com

9- العصر الافشاري

www.mogatel.com

10- أزمة المرجعية في المشروع الكردستاني

www.alayislam.com

11- محمد غريب " كيف تحولت إيران من السنة إلى الشيعة

www.khayma.com

12- الدولة العثمانية :سليم الأول 926/918هـ-

www.altaareekh.com

www.al-shis.com

13- الدولة الصفوية

14- جالديران

www.Islampedia.com

15-الكرد بين الماضي والحاضر

www.alayislam.com

www.al-ahwaz.com

16- موجز تاريخ الاحواز

17- نظرية النيابة الملكية

www.btinternet.com

18- حرب إيران 920هـ ؛

www.islampedia.com

19- المتوكل على الله الثالث

www.aklaatn.com

www.bintjbeil.com

-20

www.khayma.com

-21

www.islamccoins.com

-22

الملاحق

1. الوثائق
2. الأشكال والصور
3. الخرائط

كان من ضروريات الدراسة الرجوع إلى بعض الوثائق المتعلقة بفترة الصراع قيد الدراسة، حتى تكتمل الصورة الحقيقية للصراع، وتضم الوثائق التي تم الحصول عليها، بشقيها الفارسي والعثماني مجموعة من المراسلات بين السلاطين والشاهات وحاكم الأقاليم ومراسلات لبعض ملوك أوروبا إضافة إلى فتوة عثمانية بشأن الحرب ضد الصفويين، وقد استعان الباحث في الحصول على هذه الوثائق علي :

- فريدون بك، منشآت السلاطين .
- على اكبر ولايتي، تاريخ روابط خارجي إيران در عهد شاه إسماعيل صفوي .
- محسن الأمين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مج 6.
- العملات الإسلامية الذهبية .

www.islamccoins.com

الوثائق :

- 1- الرسالة الأولى من السلطان العثماني سليم الأول إلى الشاه إسماعيل الصفوي قبيل معركة جالديران بتاريخ صفر 920 هـ / 1514 م .
- 2- الرسالة الثانية من السلطان العثماني سليم الأول إلى الشاه إسماعيل الصفوي قبيل معركة جالديران بتاريخ 920 هـ / 1514 م .
- 3- رسالة من الشاه إسماعيل الصفوي إلى السلطان العثماني، عقب معركة جالديران بتاريخ 920 هـ / 1514 م .
- 4- رسالة من الشاه إسماعيل الصفوي إلى السلطان العثماني سليمان القانوني بتاريخ 926 هـ .
- 5- رسالة من السلطان العثماني سليمان القانوني إلى الشاه إسماعيل الصفوي بتاريخ 930 هـ .
- 6- رسالة من السلطان الشاه إسماعيل الصفوي إلى إمانويل ملك البرتغال .
- 7- رسالة من البوكيرك نائب ملك البرتغال في الهند إلى الشاه إسماعيل الصفوي .
- 8- ورقة من مخطوط الإعلان بأعلام بيت الله الحرام للمؤرخ قطب الدين النهروالي (خُط سنة 922 هـ) .
- 9- ورقة من مخطوط سيرة السلطان سليم خان للمؤرخ محمد الزنبلي الرمال .

الوثيقة الأولى :

ارجناب ملهسان بنده شهيد و شهادت معنويت پيشه شاه اسماعيل مهتوب
 که بتلج نام عباسي کوشه و مجوس فرستاده از منشآت نازك
 و ... بسم الله الرحمن الرحيم رحمه الله
 في هذه المدة العديدة من الدن ... الله الاسلام و من منع تبرك سلام
 و نياكل جليل منه و حرم الآخرة من انفسه و من جاء ... و عطفه من ربه ما مني
 ما لت و امره الى الله و من عاد ما و لك انما انتم فيها حال و قد استهت
 اجلسا من الهادي المهند من اهل الصلح و لا الصالحين و صل على سيدنا محمد
 محمد المصطفى النبي الامين و آله و حجه اجمعين آتيا بعد ان خطاب مستظاهم ان
 جنابه جلالت مآب ما كذا في الكثرة و انشركي فامع اعداء الذين من غم ان ...
 صفريهان انما من سلطان العزلة و الهاميد و بيدون فرا سكر و در كنجر ...
 و داد سلطان ليله بن سلطان باريد من سلطان محمد بن مراد خام ميور ...
 كذا زمان ده بحر بهسا لانا فم سردار به فم محال و در كار داراب كه ...
 ارا سباب عهدا بر مايل ناخورد منته بهر ... ايات ما جزو آگاه ...
 كه فعل نعال بر من و منع مراد معن من لاله هر چند معنل غرضي نيت من
 صاحب ميكر نا شناخت كذا و رد في انكاس شفق و ما لعلنا استرات و الارض
 و با به ما هتبه من خلفت انسان كه من اعيان و شاد و جهان و خلاصه كذا
 كذا فامع من رعدا رنوا الذي حمله كذا في رنوا من انا ارا من كذا ارا من
 نوع مجامعت لطافت روحانيت و كائنات سماعت طهرت اسماء تعال و ادب
 دارد ريت غايت و نحن جلالت في انما شربت مقدسه و ان مطه بونه
 عليه افضل الصلوات و اكل آفتاب صورت متعدد و مرآه سراج جدي و ...
 و جفاي و سب سفر حار و است بر مر كه ان مقامات احكام آخر رنج ناسد

و در راه انقیاد او امر و نواهی بیرون آید و خلعت رده دین و خدمت شرع بین
 تمام نامدیر کافه مسلمین عموماً و سلاطین عدل آیین خصوصاً واجبست که نمای
 یافتند اندک آسوا کو تو انصار الله بکوشش حریف بیخوشند و در دفع مکار و
 ریح فاسد آن مسجد حجب الاستطاعه را امکان بجان بکوشند مستقو و ازین
 کت که کاه نفوذ جماعت بایند ریه حکم پست جویشنه نمی دهد از ذبح شیر
 شکان اندر آید بیانک دلیر . نظرین صدق امامت بلاد شرف را که مستحق
 کسبی و رکنی مذلت فرمان بری بصفه با حشمت فرمان دمی مذموم نقادی ابواب
 حلم و سداد را بر روی سلمان باز کرده زند و را حاد را با یکدیگر اندام و از نال
 ددی و شاعت فتنه و فساد را شمار ردثار خود ساخته علمای ستمکاری
 و تراشی شاهی و فرمان روی را بر حسب درای حریفی و در خلعت طبعیت حل
 منور شریعت و اطلاق از قوا میس ملت ندانستن مفاع افعال و سادی احوالت چون
 امامت فزوح محرمه و اراقت دماء مکرره و تحریب مساجد و منابر و احراق مراقد
 و سفار و احانت علماء و سادات و اکثاف صاحبان کرمه و قادات و تنبیه شخص
 کربین رمی آله عنهما همه بحدت و از پیوست ائمه دین و علماء مهندین و خوان الله علیه
 همچنین کفر و ارنداد ترا با اشیاع و اشیاعت که مویدین مانت و سنی علی رؤس الناس
 مشفق الکلامه و الاقلامه یا سریم قوی دادند با ، علی ذلك ما نیز جهت تنویر
 دین و امانت مظلومین را غایت مله و فیض و اطاعت از امر آگاهی و اقامت مراسم نوحی
 پادشاهی بجای حمید و بریان زره و حشمتان پوشیدیم بیضایت الله تعالی و حسن
 زینبنا لویه ظفر و دثار و عساکر حضرت شعار و شبران کارزار و دینان مجرکند که
 میو یخ از نیام غضب بر آیدند عدوی مدبر را قاطع بد رینه طاع که بد و چون بر
 که ن کین دما و رند سهم الموت ختم برج قوس دیگام در شهر سفر ختم بانیز و الظفر
 ار در با جو و فرمودیم بدان نیت که اگر تا بد ماری من و مل یار کند سر خفه قوت

دست کا کارد دست و بازوی حکایت رکیم و در سر قدرت سروری
 سودای صغری از سر ملایمت بدر گیم خاسد و خرو و خویست در سرین
 و یکینان بر داریم و زان آتش که در رخا فغان داده دود از دود است نیم
 که من دفع الامان صد آهین جو من قبل انبیا خلیف اسلام و حکمران است
 علیه السلام را نه نامی حلیه حریر و جلیه بابت لاری پیخه نفوس آتی د
 غفلت که انان سر معاد و کعاد ان دعب و الفقه ملکات و نه درس
 مزاج طبعیت قابل فدا نیست هر کز کی بشنن نکود و خند
 و مدحی طاعت ان عزالت شهوت و مارت حسابی و احادی طبعیت
 او را امان اناد است انان گفته اند که فیضا شرار بنادیب و تعلیم از مغز
 اختیار باشد بنابر احوال ثانی اگر خرد را حد سکت زمره و التیون اذا عملوا ما یه
 اولوا اقصم ذکر و الله و استغفر و الله ترجم سلت و مخر که در مر
 حال خدای معان را حاضر و ناظر دان ارکارهای بد و کوارهای ناسوب
 و سرهای زشت بشاف نای و ان در و نون و صمیم جان شود و شفا
 در آن و آن بنای و فلاح که در پیش در زمان چنین سم سوز و سکر خور را
 روی مالیه و نه ضلالت طایا هر که سه اران نای حلقه امکانی بگوئی بکند
 و در ان خانات ملک عیته عثمان محسوب داسه بنوکان سفح ملک نه
 مارا بهاری سعادت راست از خواب کا کار غیر از نیکی و دنجی و رحمت
 و خوش حالی و کوی چیزی بینی و کویا که بیت خوی بد و رجی که نیست
 زود و جز وقت مرگ از دست - و ان اعان محمد و اضال منعه مخر و مجذ
 با شایان شاهانه الاقر عرفان ملک که از روی طلب بدست نرسد و اندا
 مغرب عظیم اردوی عساکر حضرت مآثر ما خواهد شد مغربت از غایت
 بسکای سودای سرداری و در ماری و ز فوط خود رای و عوای بجا بکین
 و کسود کبابی پر زبان آوی چو مردی میدان مردان دای که چه
 خاده برده تعید است بنظر آید و الا بر بوسیده و التلمذ علی مایع لدی
 مرز و ملک فی شهر صفا المظفر سه عزین و استلای فی اوال ریح و کیت بر یکید

تظلم مکتوب ناجی زاده که به سر فرستاده بود از جناب
حضرت سلطان سلیم خان رحمته الله علینا شیخ مرشد الجم
نه من سلیمان وانه بسم الله الرحمن الرحیم الانقلوا علی واولاد منبر و
سل الله علی خبر ظلمه محمد واک وحب اجیت هذا کتاب از لثاء مبارک
فاتح و امیر العلیکم ظهیر این مشهود ظفر طرا کالوی الثانی من التی
بقضای و ما کنا مغذین حق نبغ رسا از حضرت ایشه منزلت ماکینه
قال بالظول والمرض هبط وامن نبغ الناس فیکت فی الارض سلیمان مکان
اسکدر نشان مظفر تر و بعدن ظفر فانی الکفره البقره کامل الکرام البره
الجاهد المربط المصور المظفر الیث بن الاسد بن العصفه فاشروا العبد
والاحسان سلطان سلیم بن سلطان بازید بن سلطان محمد خانیم حاجت
ملک جم مالک خط ظلم وستم سرور زرد و سردار ارار داراب زمان مختاک

روزگار عدیل قایل امیرا سما جیل عز صدور یافت مرعب از آفت کار گذار
عزیت و پیشگاه الوحیت یرایع نرفذ الملک من نشاء، جو نفع تا بیغ الله تلقاس
من رحمة فلا سکت لها کلت تقدیر باسم سالی ما رفتم زده کاجرم او امر و عوی
فرامیست الکی و امور با حکامر شا عشا می داد در قضای ذین چون قضای آسمان
نقاد داد و بذلک فضل الله نوبته من بشاء و چون بخوار احد استماع افتاد
که سکت حقیقه عهده حل و احصایا الصلوة و الحقة و انما رای خلوات آذین
خود ساخته و اساس دین متین را بر انداخته و او، ظلم را بی قواعد متدی بر افراخته
امر شکر و نسی صرف از شعایر شریف دانسته شیعه شفعه حوز را تحلیل
فبیج عزیمه و اباحت دماء حمزه غریب من عزمه و بحکم متاعون لیکذب الکلمه
لیتخف با استماع کلمات من خرافات و اکل عزیمات خود، م مسجد خراب کرد
بغض از ساخته، پای بلند پایه ضار اسلام را بدست تقدی در هم شکسته
زمان بین را با اسطرا قرآین خواند و اشاعت شاعت را باعث شد تا هر خود
حادث کرد، هر آینه بمرحوب فتوای عقل و نقل علماء اعلام ملت و اجمع احل نیست
و جماعت برداشت حال نیست ما که علو المیزان من الايمان مضرت لدین الله شد
قطع دفع و دفع و منع و سوء عهده که رسم قدیمت کا و در حق قرآین طاعت استم نه است
ن امرنا هذا مودع، مفی دعایه من کل جلد لیس طباست از نا نهمه و هم که اندک است
و چون قضای ربانی و تقدیر مردمان اجل اجله کن حمزه را در قبضه الله قرار نهاد
و در کالفتشاء، ابرم رفعت آن در بار عزمه و با نشانال امر و لا تذ و نقل الارض من
الکافین دبارا انشاء الله العز از اقدام کریم تا از صورت بیغ ظفر دنا و صلحه
که بعضا و دخی که در جو یار شریف غزایه نویسته و چون جمله انما نشاء
یافته ازین برآمده، و نکات غفلت اندازیم تا کد کوب حوائج و صلحت کرد
که و جعلوا اعز اهلها اذ لک کذلفت متفکون و از صدمه کوز کن آیین من

دماغ صفا، دین که بحیال خام پخته شده طعمه شیران و دلبران غزاه سازیم و
 سَبَقْلَمُ الْاِذْسَ طَلُّوا اِنَّیْ تَغْلِبُ تَغْلِبُوْنَ بَیْتِ مِنْ اَمِّ که چوب بر کسم بیخ نیز -
 برآوردی زین رسخیز - کباب از دل زه شیران کنم - صَبَوِیْ بَحُوْن
 دلبران کنم - شود صید زاع کام عتاب - ز شغور بلرزد دل آفتاب -
 اگر در نهمه نو که دین - ز گردون کردند نشنیده - ز خور شبنا بان
 ضام بریں - ز بهر آب سنام بریں - اگر نایح داری مزایع منت - جو
 نیم بود تاجت آن بدست - امید مرخاست بفرهی غمت - که بشام از
 دشمنان نایح و غمت - بوجیب ابدین القیقه اگر روی نیاز ضلله اقل و کفر آمل
 آستان ملایک آشیان ماکه حال رحل رجالت آوردی و دست خدی از
 سرب و سنان مظلوم که پایال ظلم طغیان کشته اند کوناہ کردی و خود را در
 سَلْتِ الْاَنْبِیَاءَ مِنَ الذَّنْبِ کَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ مَسْلُکُ کردانیدی و در منصب ر
 بیعت سنت سینه حنیفه محمد بن علی الصلوة و التحية و آل طاهرین و اصحاب
 مستدین اود منوان الله علیهم اجمعین که انضای کاخ مزایا بهم افتدیم احسنیم کرد
 مان بلاد را با سوا از مضافات و تملکات مالک محروم عثمانیه نمری هر
 آینه عنایت بادشاهی و عاطفت شاحنشاهی ما شامل حال نکرده بدست
 سایه عدل و عنایت بر او نمکنیم - هر که چون مرنند روی بخاک ذریام
 ذی سعادت نکسر که این اجابت کرد - وَالَا یَحْکُمُ الْعَاذَةُ طَبِیْعَةً ثَابِتَةً بَعْتَضًا
طَبِیْعَةً فَرَاکِیْنِ مُتَغَايِرَتِیْنِ عامل باشی که ما بالذات لا یزول با بالعرض م باسبب
 چسب و کفین و غلط - بنایبدا متغیر و حسن تر بیخه - سر هر نامحادی نایح داری
 سَلَمٌ و سَلَامٌ بَطَرِیْنِ رَا اَرَا نَ شَرِسَ مَعْلَمَ بَرَا نَ اَرَا نَ حَزْبِ اَنْتُمْ
 الْغَالِبُونَ دست شما را از اینوز سرخه بد بجا پیچید در هم شکم که بد الله
 رَفِیْ اَبَدْنَمْ بَابِکُمْ بِنَهْ غَفْلَتِ از کوش هوش پرورد کرده کفن در دوش کشتنبا

الوثيقة الثالثة :

از جانب شاه به انتم باختر و الشعاده و الخنى اسما عسيل جناب
 حضرت سلطان سليم خان عليه الرحمة و احقران
 مراده سجا عموالى غياثا للسلطنة و النعدانة و المحمدة و الشوكه و لا
 سلطان سليم شاه حضرت ساي مرتبت عال شبت سلطنت پناه
 عدالت مستكمه خورشيد رفعت حميد ربت فريدون فرد اراراي ملوك سنات
 ملائكة اراراي نا حيد انتفاع و جيس انتفاع انتخارا عالم السلطنة اعتقاد امام الحق
 رافع اعلام الملك و الدين حاي الاسلام و المسلمين احسننا سرمد لى الايمان و نصير
 بتاثير شفقه من افق الاستخفاف الموقدين عند الله الملك الامد .
 اضلال الغنى شامه سبلان حيدر بن جنيد القوي . ابد الله ظله بيلر كه
 صلحانه و ايقن بكامل الحقة و احسانه شرايف دعوات طيبات تحت آيات و الطلبيات
 زكيات موقت محات منبى از اوزاران و بكرى آيام دهر حكه فحات كد طرقت
 ازهار و منار و كزارش صفا بخش خواطر ارباب صدق و صفا و روح فزاي مخار
 امحاب سطفت و ولا بود و نسيم دككناى آن مرقع روح و شفق ابواب فوج باند
 مخف و مهدى و مبلغ و مودى داشته منى نمبر مشير هر نور اركه بار استخكام
 فراعده تحت و ولا و انظام موقت و صفا كد از مستقيبات آمار علاقه ابرت و تحت
 و شحات اطوار و بطه فزوت و مروت است و در سوان آيام با هم زحمت تحس و از با
 حضرت ابوت سكان فرد و سباشيان انا الله برعانه بنوى منظر و شهود بود كه عمو
 سلاطين اطوار و منبوط خواص احصا كنه على الدوام جيا هم شيمه مستعداى شيمه
 جيله و مقتضاى ظررت اصلية اين تحت است جونغ و درغ ابواب و دغ عددان و نلع و نفع
 اصحاب عيبان و لطبان استغفال مود و جمع و جازان جابت امكن مخالفت و اتمال

شایسته الطوط و سقور نبود بلکه چون حبه آبیاء بر سم هفت مورق می چاکد
 معالرمصدات یعنی قدیمی فیما بین اولاد اجماع سلطنت و از حضرت خردوس مکان
 نسبت این هفت را از حضرت خلافت مرتبت ظهور می یافت و اشتغال است بر لغت
 و اتحاد در جهل خواهر و برابری خیال بر از نشان می نامت مکنون ضمیر و مکنون حواس
 صافی ضریر آن بود که هرگاه که در امور سلطنت و بهام خلافت بیاس مروت و دست
 آن حضرت انشاق و انشطام یابد تسوید این صافی و نشید این بیاسی بوی نرغ
 الهیة الابله و ابره الالباء بنویش و خنق پذیرد که در وقایع حکمت و ملکت و وحدت
 دینی و دنیوی از جابین ظایف مواخت امداد و توازن مراقت با ساد ظهور
 نمکف که خطه نمر لحن و مدخلت و تصور رغب و محادلت اما لحنان اعتدالت
 که مشاء نشاء خلقت غیر اسرار باب فتنه و فساد و اضعاح اصحاب اغراض اتحاد
 بنوده انا فاعیل کا ذر باطله و باطل لا طایله جمع غرض است بی بافت آشتی از هر عین
 که مطلع اغراض غیب است مکتور ساخت با شد ضمیر شیر را از انعکاس صورتی
 صفا و عفاء اری و اکسای پر خسته و مع ذلک میمان از جلیت که به جهت خدیه
 نعت نام روی نمود که با وجود تاسیس قواعد آن مستند الان کان و در صیقل آن مشاء
 مستحکم البیان تا اثر افعال و خیر احوال نواذ بود بآینه مرچیدان کفاف انبساط
 قریب ایشان بدین بلاد اما از خلف منتضیان هفت و وحادی رسید قطار از
 اتحاد نموده بسع بنول مسرع بقشد و شاد عدل ابن کلام صدف که عدان حکم
 بنا به مسامح طبع رسید باشد احضار ماکر اغراض مکرده و دارین آن جاد
 با محضی چند از ملذمان رکب و معدودی از مردم حدود دبار و کرمش انحراف
 حسب مقابله اشغال نمود و حسب المقدار کچم مرقع و صایح محابف مب بود و نواح
 علم شهادت پر توان داشت و چون اشتیاق نسیم صلاح و سزوح رواج اصلاح
 معاضد از ریاض احوال این نموده و یکی منت و دیگری منت ملت ملذ و در غایت

شرف و شعلت بود حایت حدود اسلام محزون عزیمت نیت و مکتور کینه طرب بود
 مخالفت سلاطین دیدار موجب اختلال بیانی دین و ایمان و سبب جرات و جرات
 اهل کفر و عیسان میشد هر کس به مقتضای حقیقت نژاد ای من سبق من لاخون بالفتح
 فهو اسبق بدخول الجنة و حایت محزون الامترة و در ثوب الهمة باهداء آثار موافقت از سجد
 شمل و صاه وقت ساجت نژده و محزون سعادت و محزون آینه کزیده الصلح خبر دان
 طایفان من المؤمنین اقبلوا فاصلا و صلح و لا تتبع سبیل المفسدین و جمیع نوجیه
 و قدوة نیت ساخته سیادت و غلبت بنامی با فادت و افادت و شکافی میریز
 التیاده و الدین عبدالغاب و اجعت تا سیر اساس حجت و بیگانی و تفسیر مخالفت
 و بیگانی بدان صوب صواب کتاب روان که عاید است و زمندان و حکم چون اسلح
 حال صلح حال کافه ایام و مصالح انام اهل اسلام را منقذ است سیادت نه شد
 الیه را بزودی روان ساخته اظهار خصایص اتحاد خانی علی دم الساب و الیه الدین
 و نمایند و اکنون مقدفانان گذشته و ازی بران سرب کشته بخاطر خطوبت و کجی
 هردین اثباتی و خوف شعور جایزین صغی امراء جدید طربین بخاوند نوزده سورت جدید
 بفعل آمده که موسم تبلیغات محوله سیادت بنامی برخی الصفاقت جان که سبب شوق
 و محزونان باشد و لهذا اسارتی رفعت مضای کمال الدین حسین بک و هذه الامور
 بر امر کافه زمره خواص و اباب اخلاص این خاندانند و منقذ که فاصیل حالات بنفیر
 طایف مشهور الیه که ان حقایق آن کامی کامی دارند و ستمد علیه اند حمل شد که حکم
 جال مرفوع کرد اندیشین که مصالح عمر را نام و انظام شاهنورد بهر اهل السعد را
 خبیه العین ساخته فزع ابواب رضا و شتر اسباب و لا باعیات و ساید و سایل و بخوین
 که به شدت غافل و معامل خواهد بود و سخن غرض انا رسال رسل و البلاغ مرسلین
 لعلی بساط مفارقات و کائنات غیر ملاحظه فراغ حال عموم و ارباب و محقق حال نظر
 بهایان و نیت چه و نه و بنویسایات تا سامی و انما دیکرم بی مدیع کفی زیاده دانست
 سورت دیگر مستور خاطر فراموش شد و متنا غلظ و مؤید و حزم با اقلی محمد و محمد

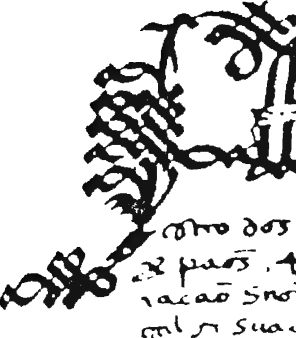
الوثيقة الرابعة :

[illegible]

الوثيقة الخامسة :

جواب مکتوب شاه اسماعیل که بالی محمد فرستاده. ز باب عزت سلطان
 جدا رفیع قلعه رود و در میان منشآت سید علی کاشی ز باب عزت
 باب امارت کتاب حکومت اسباب اسماعیل بن شیخ حیدر الصفوی ارشد و اصل
 شاه شریف کشور کنای سلطان و طغای غزای عالم آرای خاقانی که قرن قزاق
 دولت و کار و دین و شمس و آیات نفع آیات و کشور ستایش شایسته و نعمت
 که چون در نعم بین دین بین اسلام و طریقت بین شریعت سید امام علی علیه
 علیه و اسلام جواب کتاب و در تحت و سلام و در خضای حیدر و در قریه
 مادر احییم علیه بخیر و احسن منها آورده و مستعدای آن جواب الکتاب و شاه
 اسلام از جمله و اسباب و میل فرضا است درین و کاظم رحمت خلیل که در این
 امی مکتوب بر دین محبوب حدائق اسلوب که بنا خدای الکتاب انصاف و صفی و ملک
 جلوس طاعت و خفاص عزت کننده بواسطت مدح الخراسان و المستدین زید و احباب
 عزت و التمس باع الذین حسن خلیفه و بعد ع ع در ساعت حدود وقت محمد
 ستر سینه که سه سال و نیمه علیه و الاقال که طواف طایبان مجمع عالم است و
 که را بران جمهوری و در و دیافت و شایع طاعت طاعت از بنای جلوس بر
 سلطنت و فروع و انواع و مملکت و خصوص عزت و طاعت اهل حضرت سلطان و در
 آستان حامیان حیات مملکت و اسباب الملایکات اقامی الذول با مر شایر و لا
 در سلطنت فامع آثار الفخوة و المیزان ع ملک بغداد و مملکت بنا و مملکت شان
 السكان فی اهل دجیات خات التسمی المصنف من ای الله بلیک سلیم و در استغفر
 و زاهد است و شاه و در حد و در حد و در حد و در حد و در حد و در حد و در حد
 مع شرف و ای ع اسمع الله المسارده ایا و رسید سوخت لطفی در حق
 بدین و وجود ماسد و می البد شایع و اسباب و در حد و در حد و در حد و در حد
 علی اسرار الوجوه خدم و سباید با جازت طبع سمی و اسباب و در حد و در حد و در حد
 بعد از کرد اند و در حد و در حد و در حد و در حد و در حد و در حد و در حد
 که در حد و در حد و در حد و در حد و در حد و در حد و در حد و در حد
 تحت تدبیر العباد و الله و بعد از حد و در حد و در حد و در حد و در حد و در حد
 ۹۳

الوثيقة السادسة :


 O grande fhy sima da grande sa-
 doalro corada fhy ante os fhy
 do dos fhy daly domo xing a pro dos fhy
 e pars fhy grande deesse fhy d'grando u
 racao snor om aumtando mucl. no d'pente
 qm si sua grande ga. a si omu fhy fhy d'grando fhy
 a muito amor vos e scruu opo de bto p o que h'e q
 n todo mu oracao si vontade e equi om p u
 e pars alro si d'grando orado que vo p euga. h'e
 alto faenos pabli. que m' l'ua tempo boi l'ua
 dos muu p'cuadnes fhy p'oranda. e d'mua e o
 grande snor. p'cuade si r'colido dos fhy si vo p
 grande guoua nada a pro dos guoua nada d'
 cuatrs captao moe. muu homo e fhy r'col
 aille si e fhy fhy muita honra si ego moe h'e
 amor si d'mua. sua fhy e a juda. si d'o p'cu
 vira os muuou fhy fhy si nao e d'mua da que
 do fhy fhy fhy amor que no p'cu oracao h'e fhy
 in a p'cu. fhy fhy a o vo p'cu guoua nada.
 de fhy fhy a si como opo e e fhy si p'cu
 he mandy muu muu p'cu. fhy a fhy p'cu
 muu a fhy fhy. si fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy
 de a fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy
 amu. fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy
 cuatrs fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy fhy
 e d'mua amor. —

Esta de mesmo. R^a
Ismael a jonsalva p.
que quere n. l. s.

الوثيقة الثامنة :

جم فبرس السلطان بايزيد لقائه و كان ما كان السلطان فاصبح
 جم وعاء والرمية السلطان فاصبح اكرها عظماءه من ال درسي وجمع
 طائفة من الغداة وشارع انما على المالك مناعلة السلطان بايزيد فلكبر
 السلطان جم فاصبح و كان بلاه الفاضل للشنة و ارسل الى السلطان بايزيد
 اخذ عبيد في صون خلافة محمد و لفظارة السلطان جم فاصبح رسالة
 بموسى سموم و هرب في الخيال و انما لم يجره و سرى الى مدينة فمات
 الى جهة الشمال و له اشعار طيبة بلستان الترك و عظماءه بايزيد
 من الله سبع العظماء و الحضور المحركة الدرية فلقه سنون و طلع من
 و عبيد له من اصلاح العبيد و انما لم يجره من بلاد العجم في المنة ساه
 اسماء عبد من السيرة من من السيرة من السيرة من السيرة و كان له طهر
 محب و استناب على منوا محمد مدرس الاعاجيب و فلق في البلاط و فلق
 دما العباء و اظهر مذهب الرقص والالقاء و عظماءه الله العظم الى
 الاحتلال و العباد و العباد و العباد و العباد و العباد و العباد و العباد
 اهل بالحسن الاعضاء و العباد و العباد و العباد و العباد و العباد و العباد
 باقة الى الان في جميع البلاد و شرع له من يحتاج الى بازغ مستغل و كان
 اعداءه من له من العباد و العباد و العباد و العباد و العباد و العباد و العباد
 لعله منوا من العباد في سبيل الله من الون ينزلون على الفخاطرين
 على من ناو ادم منصور و كان من من العباد و العباد و العباد و العباد و العباد
 كنكون كلمة الله في العباد و كلمة الله في العباد و كلمة الله في العباد
 سبيل الله مظهر اعلى الله الى ان شارح سبيل الله في العباد و العباد و العباد
 محو طلبة و من كان له و من كان له و من كان له و من كان له و من كان له

كذا
 كذا
 كذا

الوثيقة التاسعة :

فإن كل سليم يطالبه من العتوري في أن يكون
 أن يمكنه من ذلك فأشددت العداوة بين
 العتوري فقال له لا أرى فيها قرحا لعدو
 بينهما أن السلطان سليم لما غزا إسبانيا
 سلطان العجم وجرأ بالعساكر على ليس وكان
 رأيها على أن في موقعة السلطان قاضي
 العتوري ملك مصر فأمر على الدوق أنه
 أن لا يبيع على عسكر السلطان شيئا
 مطلقا من المناكر وغيرها فأتى الناس
 والدواب لشدة الغار وكان هذا عيبا
 بينهما يعني العتوري وسليم وخص من على الدوق
 الباء دكت ولفظها رت في ذريع فلا يجوز في
 السلطان سليم أعرض له وزير رايه فحسب له من
 العلم ما عليه مراد وكان السلطان سليم يحسب
 المرارة صعبا خلق فادرك ما من أمرك الحيلة
 على تلك الشكوى ومما صدر عن وزيره
 وزاد ما لئلا وكان له عيبا

أ - ترجمة الرسائل (الوثائق) .

- 1- فتوة عثمانية " شيخ الإسلام " يحل فيها قتل الصفويين (القرلباش) .
- 2- الرسالة الثانية من السلطان العثماني سليم الأول إلى الشاه إسماعيل، بتاريخ صفر 92 هـ / 1514 م .
- 3- الرسالة من السلطان العثماني سليم الأول إلى الشاه إسماعيل الصفوي بتاريخ 920 هـ / 1514 م .
- 4- رسالة من الشاه إسماعيل الصفوي إلى السلطان العثماني سليمان القانوني، يعزیه في وفاة والده سليم الأول، ويهنئه بالجلوس على العرش، بتاريخ 929 هـ / 1522 م .
- 5- رد السلطان سليمان القانوني إلى رسالة إسماعيل الصفوي بتاريخ محرم 930 هـ / 1522 م .
- 6- رسالة من السلطان سليمان القانوني إلى حسام الدين حاكم كيلان يطلب منه الاستعداد لحين قدومه للاستيلاء على إيران، بتاريخ رمضان 930 هـ / 1523 م .
- 7- رسالة من السلطان سليمان إلى الشاه طهماسب يهدده فيها بالخروج لحربه، والقضاء عليه، ويخبره فيها بأنه قد عزم على محاربة بتاريخ 931 هـ / 1523 م .
- 8- رسالة من السلطان سليمان القانوني إلى الشاه طهماسب الصفوي يدعوه فيها للخروج إلى الحرب وينعته بالجبن عن لقاءه، بتاريخ 961 هـ / 1554 م .
- 9- رسالة من الشاه طهماسب الصفوي إلى السلطان سليمان القانوني، يطلب فيها الصلح بين الجانبين، بتاريخ 961 هـ / 1554 م .

- 10- رد رسالة السلطان سليمان القانوني إلى رسالة الشاه طهماسب الصفوي السابقة، وفيها يخبره بقبول طلبه على الصلح .
- 11- رسالة من ملكة ملكه انجلترا إليزابيث إلى الشاه طهماسب الصفوي .

الوثيقة الأولى

- السؤال : هل يحل قتال طائفة القزلباش شرعاً، وهل يعتبر من قتل على أيدي طائفة القزلباش شهيداً والقتلة الغزاة ؟ .

الجواب: نعم: فإنه غزو وأكبر وشهادة عظيمة .

- السؤال: هل يرجع إباحة قتالهم لتعديده وبغيهم على حضرة سلطان الإسلام وأهله وتجريدهم السيف على جنود الإسلام، أم أن هناك سبباً آخر ؟ .

الجواب : هم باغون وكفرة لأسباب كثيرة .

- السؤال : يقال أن رؤساءهم من آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام، وطالما الأمر هكذا إلا يوجد أدنى شك في الأمر ؟ .

الجواب : فعلاوة على أن أعمالهم الشنيعة تدل على عدم علاقتهم بالنسب الطاهر، كما أنه منقول عن ثقة أن إسماعيل عند بداية خروجه أكره السادات العظام الذين كانوا في مشهد على الرضا ابن موسى الكاظم وبقية الأماكن على درج نسبة إلى أنسابهم (بحر الأنساب)، وكان يقتل من لا يقبل التزييف قتلاً عاماً، ولأنه قتل بالفعل بعض السادات، فقد أظهروا له الامتنال، وفعلوا ما يقول، ولكنهم قاموا ببعض التدابير بحيث وضعوا نسبه بين أنساب العلماء الشريفة، على الرغم من أنه لا نسب له على الإطلاق وأوصلوا نسبه إلى أحد السادات المعروفين، بحيث يعلم أصحاب اليقين حقيقة الأمر وحتى وإن صح نسبه فرضاً، فإنه لا دين له، ولا يمكن تفريقه عن بقية الكفرة، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام هم المراعون لشعائر الشرع المبين، والحامون لأحكامه المتينة، وعندما دعا سيدنا نوح عليه السلام رب العزة لإنقاذ ابنه الذي من صلبه (كنعان) لأنه لم يكن على دينه ؛ أجاب رب العزة بقوله : " أنه ليس من أهلك "، حتى أنه عذب كل الكفرة وأغرقهم، وإذا كان الانتساب إلى الأنبياء العظام (عليهم الصلاة والسلام) سبباً في النجاة من العذاب الدنيوي

والأخروي، يعني هذا أنه لن يعذب أحد في الدنيا و الآخرة من الكفار لأنهم ينتسبون إلى النبي آدم عليه السلام، والله تعالى أعلم وأحكم .

- السؤال : تدعى الطائفة المذكورة أنها من الشيعة، وأنها تقول لا إله إلا الله، فما هي الأحوال التي تطرأ من جراء هذا الأمر، فلتتفضلوا بالشرح والتفصيل ؟ .

الجواب : أنهم ليسوا من الشيعة، وكان رسول الله (ﷺ) قد صرح قائلاً أن هناك ثلاثاً وسبعين فرقة غير أهل السنة في النار، وهذه الطائفة ليست إحدى الفرق الثلاث والسبعين الخالصة، وقد أتى كل شخص من هذه الجماعة بقدر من الشر والفساد وألحقه بالبدع والكفر الذي اختاره بأهوائه الشخصية، وأوجدوا مذهباً للكفر والضلالة وتمسكوا به، واستمروا عليه من يوم إلى آخر، وهذا هو حكم الشريعة المفصل على قبح أعمالهم المعروفة التي يتمسكون بها حتى الآن، فبعد تكفيرهم ونتيجة لاستخفاف هؤلاء الظالمين بالقرآن العظيم، والشريعة الشريفة، ودين الإسلام، وتحقيرهم للكتب الشرعية وحرقتهم إياها، وإهانتهم لعلوم علماء الدين وخرقتهم لها، وعبادتهم للفاجر الملعون رئيسهم بدلاً من الله، وسجودهم له بل واستحللهم لأنواع الحرمات الثابتة والمحرمات بالنصوص القطعية، ولعنهم لحضرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، كما أنهم في الوقت الذي نزلت فيه الآيات العظيمة في براءة حضرة السيدة عائشة الصديقة (رضي الله عنها) قاموا بإطالة اللسان عليها، وكذبوا القرآن الكريم، وبالإضافة إلى كفرهم فإنهم سبوا النبي (ﷺ)، وقد أباح جمهور علماء العصر والأمصار بالإجماع قتلهم، ومن يشكون في كفرهم، أيضاً كفار، وقد أفتى الإمام الأعظم (أبو حنيفة) والإمام سفيان السوري، والإمام الأوزاعي (رحمهم الله) بالصحة التامة لقتلهم، وأنه لا يغفر لهؤلاء الكفار ولا يعفى عنهم - مثلهم مثل بقية الكفار الكفرة - إلا بتوبتهم ودخولهم في الإسلام، أما الإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن

حنبل، والإمام ليث بن سعد والإمام اسحاق بن راحوية وجمع كثير من
عظماء علماء الدين فلا يقبلون توبتهم على الإطلاق عند قتالهم، ولا يعترفون
بإسلامهم، وبالتأكيد فإن قتلهم من الحدود، كما أنه مشروع أن يعمل حضرة
الإمام ملجأ الدين (أيده الله تعالى وقواه) بقول أي من أئمة الدين المذكورين،
وإن اتصافهم بتلك القبائح معلوم وواضح ومتواتر بين كل أهل الإسلام وليس
هناك شك أو تردد في أحوالهم، لهذا يجب إلا يتم العفو مطلقاً عن من كان
منهم من الجنود، ومن مارس القتال، ومن كر وفر، وكذلك من اتبعهم أما من
بقي منهم على الصلاح في حالة في المدن والقرى، وترفعوا عن أفعالهم
وصفاتهم، ومن دلل على صدقه بما ظهر من أحواله، ولم يظهر عليه الكذب،
فإنه لا يجوز تطبيق الأحكام والعقوبات عليه، وأن قتال هذه الطائفة أهم
من قتال بقية الكفرة، لهذا أجمع الصحابة الكرام (رضوان الله تعالى عليهم)
على تقديم وترجيح الغزو ضد الطائفة المرتدة التي اتبعت مسيلمة الكذاب -
والتي ظهرت على خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) - قبل أي غزو آخر ؛ في
الوقت الذي كان هناك كثير من الكفار حول المدينة، ولم يكن قد تم الانتهاء
من فتح الشام، كما قاتل حضرة علي (كرم الله وجهه) في خلافته الخوارج
أيضاً هكذا، وإن فساد هذه الطائفة أعظم من أي شيء آخر، كما أن الجهاد
من أجل القضاء على فسادهم من ظهر الأرض، أهم من أي شيء آخر .
والله المستعان وعليه التكلان، ربنا أغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا
وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

كتبها مولانا وأولانا قدو العصر أبو السعود المفتي في دار الإسلام والنصر
في سنة 955 .

الوثيقة الثانية

" أنه من سليمان وأنه ﷺ " ألا تعلوا علينا وأتوني مسلمين " وصلي الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين، هذا كتاب انزلناه مباركاً فاتبعوه واتقوا لعلمكم تفلحون، إن منشور الظفر هذا هو كالوحي النازل من السماء، قد كتب بأمر الحضرة السامية الذي هو خليفة الله في الأرض، بمقتضى " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً .

من سليمان المكان، شبيه الاسكندر الظافر وفريدون النصر ؛ قاتل الكفرة وكافل الكرام البررة، المجاهد المرابط المنظور المظفر الليث ابن الأسد ابن الغضنفر، ناشر لواء العدل والإحسان السلطان سليم شاه من السلطان بايزيد بن السلطان محمد خاتيم إلى ملك العجم، مالك دولة الظلم والجور، الزعيم الشرير وقائد الأشرار وضحاك الدهر وعديل قابيل ؛ الأمير إسماعيل، معرب عن أن العزة الإلهية والقدرة الربانية تؤثر الملك من تشاء وتوقع ما يفتح الله للناس من رحمة لا ممسك لها، ولا جرم فإن الأوامر والنواهي الإلهية وأمور الأحكام الملكية نافذة في القضاء الأرض مثل قضاء السماء، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولما كان أمر إخضاعك للملة المحمدية على واضعها الصلاة والتحية بالقوة لآرائك الضالة، متواتراً عند الجميع وبأنك هدمت أساس الدين المتين ونشرت لواء الظلم على قواعد الاعتداء، ورأيت أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -مغير للشرعية وطفقت وشيعتك الشنيعة تحللون الفروج المحرمة والدماء المحترمة، وبحكم سماعون للكذب أكالون للسحت رحمت تستمع إلى زخرف الكلام وتآكل المحرمات، وتخرب المساجد وتقيم المعابد والأوثان، وتحطم منابر الإسلام بيد الاعتداء وترى التعاليم المبينة أساطير الأولين " .

الوثيقة الثالثة

" إسماعيل بهادر، أصلح الله شأنه، عندما يبلغك التوقيع الرفيع لسيد العالم والحكم الشريف لواجب الانقياد والاتباع، فعليك أن تعلم أن رسالتك وقد وصلت حضرتنا السعيدة، وقد كتب فيها كلمات وقحة مما زاد في عزمنا، وأمرت بترك الانتظار .

وقد دخلنا مملكتك بقواتنا الجريئة التي قدمت من الأماكن البعيدة في جيوش لا تحصى، مع رأيان الفتح وآيات النصر، وبعد قطعنا للمراحل والمنازل، وفي عرف السلاطين أولى الأمر ومذهب الخواقين ذوي القدر، فإن المملكة هي بمثابة المرأة وإن الشخص الذي له نصيب من الرجولة وحظ من الفتوة قطعاً لا يرضى بتعرض الآخرين لعرضه وناموسه .

ومع هذا فإن جيوشنا الظافرة لا تزال موجودة في بلادك رغم مضى الأيام، وليس ثمة أي حركة أو علامة تدل عليك، وليس هناك أي أثر واضح على وجودك، بل ظللت متستراً فكانت سيان حياتك ومماتك .

وظاهر الحال يشير إلى أن اكتساب الجرأة هو عارض لما هو لازم، ولم يبدر منك إلى الآن أي عمل يمكننا استنباط رجولتك وصلابتك منه، أن عملك هو ثمرة الكمر والحيلة التي تتصف بهما، ولا ريب فإن جرأتك العارضة، إنما هي أثر للتلبيس والتدليس لا غير وعلاج مرضك الذي أنت مبتلي به معروف وتستعمله لأجل الحصول على قوة القلب، فلنكن الآن كما مضى واستعمل هذا الدواء عسى أن تجد شيئاً من الجرأة .

ونحن قد قمنا لأجل إزالة ضعف قلبك بفصل أربعين ألفاً من قواتنا وإبقائها بين قيسارية وسيواس، وليس ثمة مروءة ورجولة أكثر من ذلك يمكننا تقديمها لعدونا، وبعد كل ذلك فإن بقيت على حالك منزويًا في ركنك خائفاً مذعوراً فإن أسم الرجولة يحرم عليك حينها وأفضل لك أن تريدي زي

النساء بدلاً عن زي الملوك وحرى بك أن تتخلى عن القيادة والزعامة ولن
تقوم بهذا العمل لأنك لست كفوءاً، والسلام على من اتبع الهدى تحريراً .
أواخر شهر جمادى الآخرة سنة 920 هـ .

الوثيقة الرابعة

هو الله المستعان سليماً للمعدلة والسلطنة والخلافة والشوكة والظفر والجلال والإحلال سلطان سليمان خلد الله تعالى ظلال سلطانه بين الخواقين ونصر جنوده وأعضاءه لقلع مآثر معارضي الدين وقطع دابر المشركين وقمع منابر الكفر والكافرين، وظفر عسكر الإسلام وجيوش المسلمين إلى يوم ينال فيه أجر العاملين، أنه بعد الدعاء المتصلة فوائح قبوله رياض الجنان العبة إلى مشام سكان معشر الإنس، والثناء الذي أخرجت بوارد وصوله - إلى نسائم نفس الرحمن نتيجة لإذعان عالم الجان - ورود حديقة القدس، زينه تحفة مجلس الجنة، المنتمي إلى هدية محفل الخلد، حضرة الخاقان الجمى الجاه، والإسكندري التمكن، والسليمانى المكان، منله أسلوب دارا، قدرة أكاسرة المجاهدين، عمدة قياصرة السلاطين، ذلك الذي أظهر الضمير الأقدس، كشف الخاطي الخطير للأنفس، من هو في مكان خطة الإمكان بين البشر أبدعهم، والشاهد عليه لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك، وهو مع سمو شأنه وعلو مكانه يتبع حكم الآية الكريمة ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾، وما الآية إلا وسيلة العبادة لرب العالمين والذريعة لإطاعة الشرع المبين والدين المتين، وإن فضل الجهاد لواضح وظاهر ومبرهن عليه بمقتضى الكلمة الطيبة ﴿ فضل الله المجاهدين على القاعدين ﴾، وأنه لمعروف أن كل فتح ونصر للإسلام على الكفر، والهدي على الضلال ينكشف من وراء حجب الغيب بإمدادات التوفيقات السبحانية، وأعداد العناية الربانية، ويتجلى من خبايا عوالم اللا ريب وأن فتح سيما يلخصه (مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) إذ لم تر مثله في الأزمنة السابقة والقرون السالفة عيون أعيان أولى الأبصار، ولم تسمع بمثله أذان عقول عقلاء أهل الاعتبار، ولم يرد مثله على خاطر المنير لضمائر أهل البصيرة، ومن المؤكد أنه سيكون سبباً في سرور خالق الأرض والسماء،

وسبب سعادة الأرواح المقدسة لجميع الأنبياء وأئمة الهدى وكافة الأولياء وزمرة الأصفياء عليهم التحية والثناء واستبشاراً بذلك فإن لكم النعمة الجسيمة العظمى والسعادة الميمونة الكريمة الكبرى مصداقاً لقول الآية ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ﴾، ومع هذا فقد جال بالنفس خاطر مؤلم إلا وهو رحيل العاليي الحضرة، الخاقان الفردوسي المكان، من له منزلة العليين، حامي بيضة الإسلام، ماحي دابر عبدة الأصنام الواصل إلى أعلى غرف جنات النعيم المنعوت (من أتى الله بقلب سليم) عظم الله معالي درجات السلف، وأبد ترقى قدر الخلف وليكن معلوماً أن هذه صورة أعظم من عيد الأضحى وأفخم من سرور البشري، وأنه قد تم إرسال سعيد المآب عمدة العلماء العظام تاج الدين حسن خليفة ؛ وهو من الخلفاء القدامى الموثوق في ولائهم لهذه الأسرة للتهنئة بالفتوحات الكبرى المتوجهة إلى قبلة الإقبال والمحرمة بحريم كعبة الأمانى والآمال، فليبق صفاء الوداد مؤكداً، وصدق الاعتناء مؤيداً، والاعتماد والدعاء مخلداً إلى يوم التناد .

الوثيقة الخامسة

جناب من مآبه الإمارة وانتسابه الحكومة إسماعيل بن الشيخ حيدر الصفوي أرشده الله تعالى، عندما يصلكم المثال الشريف السلطاني فاتح الأقاليم، والطفراء الغراء الخاقانية المزينة للعالم والذان هما الفرة الفراء لصبح الدولة والسعادة، وشمس الرايات التي آياتها الفتح والنصر، ليكون معلوماً لديكم أنه عندما كان الفتح المبين لدين الإسلام المبين والطريق المستبين لشريعة سيد الأنام عليه أفضل التحية والسلام يوصيا بالرد على رسائل ورد التحية والسلام مصداقاً للحديث الشريف : " فإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها " لهذا كان لزاماً علينا الرد على خطابكم، كما أن السلام من جملة الواجبات ومن قبيل المفروضات، وفي هذا الصدد وصل إلى السدة السنية التي هي كالكعبة وإلى العتبة العلية التي هي قبلة السعادة وهما مطاف طائفي كل العالم، وقبلة زائري جمهور الأمم، الطائر الميمون الطويل الجناح ؛ أعني رسالة المودة المصحوبة بأسلوب الصداقة والمعنونة بفاتحة كتاب الإخلاص، والمزينة بمحاسن خلوص الطوية والاختصاص مع عمدة الخواص والمعتمدين، زبده أصحاب العز والتمكين تاج الدين حسن خليفة زيد مجده (مصراع) " في ساعة سعد ووقت سرور " . وقد قرأناها من أولها إلى آخرها وأطلعنا على ما بها من نتائج الكلمات الطيبات من تهنئة بالجلوس على عرش السلطنة، وفتح القلاع والبلاد، وبالأخص التعزية في رحيل العاليي الحضرة السلطان الفردوسي المقر، الخاقان الذي مكانه الجنة؛ مالك نواصي الملل، سالك أقاصي الدول، ناصر شعائر الإسلام والمسلمين، قاصم مآثر الفجرة والمتمردين، الساكن في أعلى درجات جنات النعيم، المتصف بـ(من أتى الله بقلب سليم) تغمده الله بغفرانه وبوأه حيث يشاءون جنانه، وقد لاقت في أنفسنا هوى وحسن قبول، ولأن القاصد المومي إليه قد قام بإبلاغ الرسالة على أحسن الوجوه بموجب (وقولوا للناس قولا حسناً)، وملتزماً

بآداب التبليغ ؛ صدرت إليه الإجازة العلية بالانصراف وهو متجه إليكم، ومن
الله التوفيق، ليجعل الحق سبحانه وتعالى على الدوام أركان بناء حكومتكم
مزينة ومشرفة بحجة رعاية الشرع والامتثال لأحكام الدين ؛ أصوله
وفروعه، والى محمد خير العباد وإله الأمجاد إلى يوم النتاد جرى ذلك
وحرر في الرابع عشر من شهر محرم الحرام لسنة ثلاثين وتسعمائة .

الوثيقة السادسة

جناب من مآبه الإمارة، ونصابه العزة، ومآبه الدولة، وقبابه الرفعة، واكتسابه العدل، وانتسابه المكرمة، صاحب أذيال المجد والوقار، صاحب أدلة العز والافتخار، ناسخ دروع الأنصاف، ناسخ فروع الإجحاف، مستبعد الأبرار بالبر والأعطاف، مستبعد الجور والحيث والتسعف، المختص بمزيد عواطف الملك الخفي الألفاف، حاكم كيلان حسام الدين دام إقباله وزيداً إجلاله، سلام موفور، وتحية غير محصورة صادريين من العناية الشريفة السلطانية، عندما يصلكم الخطاب ليكن لديكم أننا كنا قد قررنا وصممنا من سالف الأيام وسابق الأعوام على محو الوجود التافه لأبن أردبيل صاحب التضليل من دائرة الوجود وصحيفة العالم بسيف النصر الذي شعاره الظفر، لتقوية دين الإسلام المتين وتطبيق الشرع الشريف لسيد الأنام عليه الصلاة والسلام فلا جرم في أنه بناء على النية السابقة الشاهانية وطبقاً للهمة اللاحقة السلطانية تم التوكل على الله عز وجل والتوسل بمعجزات أفضل الكائنات عليه أفضل الصلوات، وكنا قد أمرنا بالتوجه على الديار الشرقية باليمن والإقبال والعز والإجلال والجنود التي مظاهرها النصر كأنها البحر، للقضاء على رئيس الزنادقة الغادرين وزعيم الملاحدة والأشرار، والآن قد وصل إلى المسامع العلية (أسمعها الله أحد البشائر دائماً) خبر من المسافرين يستحق التحقيق إلا وهو أن منبع الفتن والضلال هذا، ومجمع الجور والتباهي قد قهر بالقهر الإلهي، وأن روحه الخبيثة قد عهد بها إلى زبانية جهنم، ولا شك في كمال محنتكم وإخلاصكم وثبوت تمام تبعيتكم من قديم زمان وإلى الآن، وأنكم من المخلصين المعتمد عليهم، والوثوق بهم والمعروفين بصدق النية وصفاء العقيدة وإطاعة سدنة الخلافة، وحسن اجتهدكم ورجولتكم في سبيل الدين ومخالفة أعداء أمة النبي (ﷺ) وقد علمنا مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى إذعانكم لنا، وأنكم تسعون لنيل عنايتنا العلية السلطانية ومخالطة هممتنا الجليلة

الخسروانية، إلى أن نظرنا إليكم بعين العناية وأصبحنا نعتبركم من رجال الدولة، لهذا فقد تم في هذا الصدد التصميم على تطبيق أحكام دين المسلمين وتطهير البلاد الإيرانية من أوساخ وجود توابع ولواحق ذلك المقهور والمردود الشيطاني .

ويجب عليكم أن تستعدوا وتترقبوا من جميع الوجوه مقدمنا السعيد وبموجب فحوى البشارة التي مؤداها (الفرصة مزنة صيف ومرور طيف) عليك اغتنام الفرصة وعليك كذلك أن تجمع حولك الرجال والجيوش وأبدأ في الظهور هناك يوماً فيوم، وابذل كل ما تستطيع لإنقاص ملك ومال الملاحدة الزنادقة وإهلاك أعوانهم ورجالهم الذين مالمهم الضلال، واسع لإتمام مصالح ومهام الدولة الأبدية البقاء، ولا تنهائون ولو لدقيقة رقيقة، وأفعل كل ما ترى أنه يجب فعله، ولا تتوان على التعاقب والتوالي عن إرسال الرسل والرسائل وإخبارنا بمطالبكم وبكل ما يحدث حتى إذا ما طلعت وأشرقت الشمس الخسروانية التي آياتها النصر في هذه المنطقة، سيحظى جنابكم الكريم اللائق بالتكريم الجميل السلطاني وأجناس الرعاية الجليلة الشاهنشاهية، وأنعم عليكم في الدين والدنيا بالمراتب العظمى والمطالب العليا، وارفع من رتبة جاهكم وجلالكم إضعاف ما كان عليه آباؤكم وأجدادكم حتى تعلق فوق السماء، ولتتدبروا أمركم في هذا، ولتظلوا دائماً في رفعة وإقبال مصانين من وصمة الزوال بنص النون والصاد جرى ذلك وحرر في أواسط شهر رمضان المبارك لسنة ثلاثين وتسعمائة .

الوثيقة السابعة

طهماسب الشجاع أرشده الله الملك القادر عندما يصلك المثل الذي لا مثال له الواجب الامتثال ليكن معلوماً أن سعيد الحياة وشهيد الممات والدنا المرحوم السلطان سليم خان عليه الرحمة كان قد انتقل منذ فترة من دار الفناء إلى دار البقاء، وكان الله سبحانه وتعالى تقدرت أسماؤه وتوالست آلاؤه قد عهد إلينا بمصدق الآية ﴿تؤتي الملك من تشاء﴾ سرير الملك الخسرواني وعرش الخلافة وأصبحت الممالك المحروسة اللانهائية والأقاليم المحمية لسدة السعادة بمقتضى الآية ﴿أنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ ممسوكة ومحكمة بقبضة قدرتنا الحاكمة للعالم، ومسخرة لمخلب مكنة فرماننا وقد عفر السلاطين الذين لهم مرآة داراء، والملوك أصحاب التمكنين، وجوهم على تراب سدتنا التي هي كالفلك، وأظهروا العبودية والامتثال لأوامرنا، والآن ستشاهد أنت أيضاً صدماتنا الصرصرية البطولية، وعقابنا الذي آياته السطوة والدهشة، فلو وجد طائر روحك خلاصاً من مخلب الصقر الأجل أو مناصباً من منقار الصقر العالي الطيران، لسقطت فريسه لسهام صيدنا، ويضيق فضاء الدنيا الواسع على رأسك في ساحة الحرب المليئة بالفساد، وستقضي سريعاً زمزمة الرجال العدائية التي لا وصف لها وولولة البنادق والمدافع الزائدة، على وجودك الضار، وسيشاهد جيشك الذي هو دليل الشيطان بعينه الآية ﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾ إلا أنني جبلت أباً عن جد على الطباع الحميدة من كمال مروءة وأقصى عاطفة ووفور شفقة ورأفة ولأنه ليس من عادتنا المرضية ولا قواعدا المألوفة طرد من يلجأ إلينا أو قتل الضعيف، ففي الوقت الذي كان من المتسير لنا والممكن إزالة نقطة وجودك الملوث بالخبائث بسيف الجنود التي مآثرها النصر من فوق صفحة الدنيا، أغمضنا أعيننا، أولاً نهبتهم استوليتهم على خزائن البلاد ودمرتم الولايات المعمورة، فما كان إلا أن انهزم جماعة الملحين - الذين جمعتهم - من

سيوف الغزاة التي مرأتها الفتوح، ولو كنتم قد أظهرتم مثقال ذرة من جلالة وحمية لكنتم قد هلكتم منذ زمن بعيد، وكنا سنوليكم عنايتنا ونأمن خوف أنفسكم بسيوفنا، لماذا لم ترسلوا رجلاً إلى سدتنا الفاتحة للعالم وعتبتنا التي هي كالفلك فتعرضوا العبودية وتظهروا التذلل والانكسار، وبما أنكم لم تعدلوا عن دائرة ضلالكم وتمام غروركم لنقصان عقلكم، فقد حدي بي هذا التوجه الهمايوني والعزيمة الميمونة إلى الديار الشرقية عما قريب إن شاء الله تعالى. واصبح من المقرر إقامة معسكر الفلك في نطاق أراضي تبريز وأذربيجان وربما كل بلاد إيران وتوران وسائر ولايات سمرقند وخراسان، وأن ما أخرنا عنكم حتى ذلك الوقت هو أننا كنا قد أرسلنا جيوشنا الجرارة لفتح بلجراد ورودس الواقعتين في أقصى الممالك المحمية في بلاد الإفرنجية الكفار وهما أعظم قلاع الأرض، فأهدى الهادي جيشنا بمقتضى الآية ﴿أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ ولم يحتمل العدو ضربة هجوم نسور الروم مصداقاً للآية ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾، وتم تسخيرهما وفتحهما في زمن قليل وتحولت مدار الأصنام إلى دار الإسلام، ومعابد الأوثان إلى مساجد أهل الإيمان ودمرت مرآة الكفر والضلال تماماً، ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ الآن ليكن في معلومك أن عنان عزيمتنا التي قرينها النصر قد انعطف عليك، ولأنه قد تم إبلاغ جيوشنا التي مآثرها النصر بالحرب عليك فقد تم إبلاغك أنت أيضاً، وهكذا وربما يدخلون أرضك، فإن خلعت عن رأسك تاج الإلحاد الذي لم يسلم منه حتى أهلك وبلدك وأتبعك طريق أجدادك ولبست لباس الزاهدين، وانزويت في زاوية الدراويش المساكين، وتكية المذلة لن ينالك شيء منا، وتكون لك الدولة والسعادة، فإذا فعلت غير هذا، ولم يذهب عن جبلتك - التي هي منزلة الشقاوة - الغرور الفرعوني والضغيان النمرودي، وأتبعك طريق الضلال والغبي فعندما تسمع صدى تصادم السنان وتزاحم الرماح ودوى المدافع ستعلم حينها ما أنت ملاقيه .

ولتدخلن في ثقب الأرض أو لتطيرن إلى الفضاء، وبعبارة الله الملك
الخبير لأطهرن ساحة الدنيا من خبث وجودك، فإن لم ترسل رداً على فرماننا
النافذ فلتستعد لنهايتك .. والسلام على من أتبع الهدى .

الوثيقة الثامنة

طهما سب الشجاع أرشده الله تعالى عندما يصلحكم المثال اللازم
الامتثال ليكن معلوما لديك أنه قد تجلى في درجة الوضوح كفروا والارتداد
أرباب الفساد الذين اتبعوك وانقادوا لك وابتعدوا بالخروج والعدول عن دائرة
الإنصاف إلى أقصى حد، بتبديل الدين المبين وتغيير مراسم الشرع المتين،
وخاصة وأنه كان مكتوب ومسطور في المذاهب الأربعة أن سب الشيخين
رضى الله عنهما، كفر وضلال، كما أفتى جميع الفقهاء أرباب اليقين وأئمة
شريعة سيد المرسلين بإجازة قتل من يهدمون بنيان الدين . بناءً عليه، ومن
أجل الامتثال للأوامر الإلهية واتباع شرائع حضرة ملجأ الرسالة والاعتماد
على علو همة الأئمة الأربع العظام ؛ ثم التوكل على عناية الحق سبحانه
وتعالى والتوسل بمعجزات فخر الدارين جناب خاتم الرسالة . ومر ما يقرب
من عام تحركنا فيه من مقر سعادتنا وتوجهنا بعساكرنا التي مآثرها الهياج
عاقدين العزم على الغزو والجهاد بنية تخريب ديار الشرق التي شعارها
الكفر وتعذيب الأعداء . والآن ولتحقيق هذا الهدف العالي تحركت الأسود
كالبحر المائج، وتم طي العديد من المنازل، واستدعت نواحي قارص في
اليوم الخامس من شهر شعبان حبيب الرحمن الذي قرينه بالشرف قبل النصر
بظلال الرايات التي آياتها النصر وقد صدر إليك حكمنا الهمايوني هذا
المقرون بالشرف قبل السيف لتطبيق الإسلام وشرع سيد الأنام، ولقد مرت
سنوات على توليك منصب الشاه تدعى خلالها الرجولة الشجاعة قولاً وكلاماً
. وعندما كان يتم تخريب الأراضي والبلاد التابعة لحكمك في السنين السابقة
مرات عديدة بالجيش المنصور لم تكن تقبل مواجهتها لاستيلاء الخوف
والخشية على قلبك من طعنات نصال السهام القتالة، واختفيت بملجأ الخفاء،
وتسترت بهذا الحال الذي ماله الفضيحة، وبينما كنا قد اخترنا منزلة العبادة
وغفلنا عن مضمون : (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها) وبينما كانت بعض

جنودنا التي مآثرها النصر مشغولة بقتال الكفار وجدت الفرصة وجئت بما في نفسك من ضلالة واتبعت أهواء نفسك وعذبت وأذيت رعايا بعض الأماكن الواقعة في أكتاف ممالكنا المحروسة، وليكن في معلومك آخر ظلمك وخيم، وثمرات فتنك وفسادك نهايتها عقاب عظيم، وإن شاء الله الأعز الأكرم تشرف عما قريب حدود نخجوان بلغلة الجيش الذي علامته السعادة ودببة الشجعان الذين هم كالأسود، فلو كنت قد صحت من رقود الغفلة التي كانت عندك في المرات السابقة، أزلت من رأسك العناد، ووضعت القدم على دائرة السلام، وكنت من المسلمين حينها ربما يحظى الرعايا بمرحلتنا ويلقى سكان الشرق الغارقين في الفتنة مزيداً من عاطفتنا، ولن يتم التعرض لهم . وأن النية البادشاهانية التي خاتمتها الخير مبذولة هذه المرة بعناية الحق جل ذكره في قتل ذكور الطوائف التي تسب وتلعن الصحابة الكبار، وأسر نسائهم وأطفالهم لهذا فإن كان في ذاتك أثر للخيرة والحمية وفي جنبك مثقال حبة خردل من الجلادة والشرف، وإذا كان لديك بعض رجولة وذرة من وجود فتلات وتقابل جنودنا التي مآثرها النصر حتى يظهر ما قدره الله تعالى من المشيئة الأزلية والإدارة الأبديّة وأنه ليس بخاف على جناب الحق جل وعلا إن مقصودنا ومرامنا في الدنيا هو إحياء السنة النبوية، اني منكر للمال والملك ولا أهتم ولو مثقال ذرة بالدنيا التي قرينها الفناء، وإن أيا منا أثارها السعادة كانت منصرفه ومتجهه دائماً للجهاد والغزو ضد الكفار، وإن ساعدنا مربوطة ومحكمة بعناية حضرة الباري وعم نواله فإذا كان الخوف من المدافع والبنادق التي لها صوت الرعد وهو السبب والباعث على عدم مواجهتكم حتى الآن لجنابنا الذي مآبه الجلالة واختفاؤكم في زاوية الخفا ؛ فلتبعد هذا الخوف عن قلبك فإن المدافع والبنادق كانت من العادات القديمة الموروثة عند جنودنا التي مآثرها النصر، وأصبحت ضرورة من قواعد الفتح إلا أنها ليست لمحاربة وقتال من تركوا الشرف والعرض مثلك، كما أن

جميع أحوال الأوباش الذين اتبعوك معلومة وظاهرة، فلا تخشى من المدافع والبنادق للمجيء إلى الحرب . إذ لا حاجة للمدافع والبنادق للقضاء على الملاحدة، وأن سنان السيوف والرماح كافية للقضاء على أرباب الطغيان، أنزلنا الحديد فيه بأس شديد، شعر تضرب كفوف الرجال بالبنادق، وتكفي فتنة الغواني عن طبنجات، وإذا كان عدم إقدامك على الخروج لمواجهتها هو خوفك وهلك من كثرة الجنود الفاتحين للعامل ! فكيفما نزيل خوفك هذا تم تسريح العديد من جنود الجيش الذي دليه النصر، وتم إصدار الأوامر بعودتهم على أماكنهم، فأية مرؤة وعاطفة تلك التي لدى الخصم وليس عندك منها شيء، فلا يملأ قلبك الخوف من كثرة الجنود، أما إذا اخترت الفرار طبقاً لعاداتك القديمة، ولم تخرج لقتال الجيش الذي دأب على الحرب واخترت أن تجلس بين النساء، فحرام أن يطلق عليك لقب الشاه، وتصبح من زمرة اللصوص، فإن اللصوص هم من يفرون ولا يخرجون لميدان القتال، وإن من العادات القديمة للملوك العظام هو الإحراق بشرارة نار السيف، ولن يترك الجيش الغفير حجراً والبوم، وليكن ذلك مدار علمك، على كل حال أرسل الرد على فرماننا المطاع في العالم، ولتأخذ وقتك والسلام على ن أتبع الهدى.

الوثيقة التاسعة

.. المؤيد بالتأييد الجلية من عند الله، املك العزيز المنان، الموفق بتوفيق الله الكريم، المستعان سليمان سرير السلطنة والحشمة، والشوكة والإقبال، ومعر العظمة والأبهة والنصفة والعز والإجلال سلطان سليمان شاه خان لا زالت ميا من سلطنته زاهرة مقرونة بدوام الأيام ومآثر عظمته وجلالته ممدودة لتقوية دين الإسلام ليكون معلوماً أنه قد طلعت ولمعت كواكب ثواقب العز والعلاء، والشهب الجلية المراتب المتعلية الفلك، أي الكتاب الواجب التعظيم والخطاب المستطاب اللازم التكريم مصداقاً للآية الكريمة ﴿ أني ألقى إلى كتاب كريم أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من مشارق سرائق العظمة السليمانية والمطالع السعيدة الطوالع للعظمة والسعادة وقد جاء في أعز الأوقات وأشرف الساعات مع عمدة الأعاضم والأعيان شاه قورجي قاجار، وفاز بإشارات البشائر الغيبية التي فاضت من مورد الفيوضات اللاربية، وأنه لمع ولاح من مضمونه المشحون بالخير أنوار صلاح وفلاح الفرقتين وآثار فوز ونجاح عامة العجزة والمسلمين ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ﴾ والتي ظهرت على كافة البرايا، وقوبل وصوله الكريم بشرط الإعزاز والإكرام، ولوازم التعظيم والاحترام، وفي مقابل ذلك وصلت أصناف التسليمات المسكية النفحات التي شمائم طيبتها نسائم رياض الرضوان حسب (سلام عليكم طبتم) إلى مشام أرواح العالمين، وعطرت وعمرت آلاف الدعوات الوردية النسمات - التي فوائح روائح أزهارها حسب ﴿ فإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها ﴾ - ساحة الآفاق كأنها ساحة حدائق الجنان وهي تحفة المجلس الأعلى والمحفل الأعلى، وقد لاحظنا حقاً وبعزة الله تعالى أن من بداية الحال حتى النهاية أنه أشاع أنوار العدل والإحسان، وأفاض آثار الرأفة والامتنان على كل العالمين بمقتضى

﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ وتقرر بذل كل
همة خير لانتظام أسباب الصلح وصلاح الجانبين واستحكام قواعد المحبة
والصفاء فيما بين الفرقتين والذي هو بلا شك فيه صلاح حال العباد ويؤدي
ل عمران الولايات والبلاد وأنه لتوفيق من الله في هذا الشأن بمقتضى أن
أرباب الدولة ملهون من الطرفين لتوقيع تلك النية السعيدة والتي هي في
الواقع سبب لسعادة الدين والدنيا ومحسن رضا وسرور حضرة المحق جل
وعلا، وحضرة ملجأ الرسالة المحمدية صلوات الله عليه وعلى آله الأئمة
المعصومين عليهم الصلاة والسلام، وأن كتاب ذلك السلطان العالي الشأن
وصفحة الكرام التي هي مظهر اللطف والإحسان تأمر بتوجه واهتمام تام
لإتمام هذا المرام الذي هو بلا شك من أعلى مآثر الإلهامات الربانية
والتوقيقات السبحانية، وأن غاية الأمل وأقصى المراد الوثوق والاعتماد،
والرسوخ والثبات على تلك القاعدة، وقد أرسلنا الأمير الذي نصابه الحكم
كمال الدين فرح زاده بك أيشك أغاسي وهو من المقربين إلينا والمعتمد
عليهم، إلى السدة العلية لتبليغ الرسالة وتشديد مباني الموافقة وتأكيد قواعد
الصداقة والتحالف، وزودناه بتفاصيل الأحوال التي ستتشرف بالعرض،
وعندما يطلب من مهيب اللطف الإلهي، ومكمن الفضل اللامتناهي هبوب
نسائم القبول والإقبال على رياض تلك النية التي مالها الخير فإن من المؤكد
والمستحكم إتمام هذا الأمر الأهم والذي سيجعل كل أهل الإسلام من جنود
ورعايا في أمن وأمان ومستقري ومستريحي البآل، ويلهجون بالدعاء بدوام
الدولة الأبدية الاتصال نتيجة للاطمئنان البآل، ويصل إلى الله عز وجل نتيجة
لانتشار آثار اللطف والرحمة من لسان كل شخص من صغار وكبار
مضمونها: أنه لو كانت لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان العادل، وعندما
كان من المؤكد والمستحكم طبقاً لعادات وتقاليد بنيان الصداقة والتصافي
تبادل الرسل والرسائل فإنه من المتوقع والمأمول أن يستمر على الدوام تبادل

الرسل والرسائل حتى تظهر حقيقة صلاح الجانبين وإصلاح ذات البين على جميع العجزة والمسلمين، ويصبحون قادرين على القيام بمراسم الدين، والسعي وراء الرزق بفراغ خاطر وطمأنينة ويفوزون بزيارة بيت الله الحرام والمدينة المشرفة مكة المكرمة وبقية الأماكن المقدسة ببال فارغ وسعادة كي يستجاب دعاؤهم في تلك الأماكن المباركة، ويقومون بالدعاء بدوام الدولة المقرونة بالأبد، وأن تستمر ميامنها مقرونة بخط الدوام، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه وتوكلت وإليه أنيب، وليظل على الدوام سرير العرش السليماني النظير، وسرير عرش السلطنة والمملكة مقر عزة وجاه ومستقر حشمة السلطان الجمي الجاه السليماني المكان الخاقان العالي الشأن الإسكندري الشهرة .

الوثيقة العاشرة

العالى الحضرة الفلكى البسطة الشمسى الإفاضة، برج السعادة من له مرتبة زحل ومنزلة الثريا ودراية دارا، وخصال جمشيد، وحظ جم، وعرش كسرى من منابه الرفعة، وقبابه المنقبة، واكتسابه المكرمة سائق غايات الرتب الزاهرة رافع رايات العزة الباهرة، وأفر الفضائل كامل الخصال مطلع كواكب المناقب وتشريفات قبلة الطلاب العارفين سلالة سلاطين كسرى أصل خلاصة الخواقين، الحاتمي العطاء، مؤسس بنيان السعادة والإقبال، مشيد أركان العظمة والإجلال شمس فضاء الولاية السعادة الدرية لبرج الرفعة والحظ المحفوف بصنوف عواطف الملك الإله، معز السلطنة السنية، ظهير الدولة البهية، طهماسب شاه لا يزال مقروناً بهداية الله أنه بعد إبلاغ وإرسال لطائف التسليمات الوافية المسكية النفحات، وشرائف التحيات الصافيات العنبرية الروائح والتي فاضت ولاحت من محض العاطفة الشاهانية التي شعارها البهجة، وعين الرأفة السلطانية التي دثارها السعادة، مع قافلة نسيم الشمال، فإنه ليس بخاف على الضمير المنير الشمسى التنوير والخطر العاطر، أننا عندما كنا نسعد بظلال رايات انتصارنا في دار الفتح والنصر المحروسة أرزن الروم (ارضروم) جاءتنا من قبلكم رسالة مع قورجي قاجار وكنتم تتوقعون فيها أن يصبح بين جناب جلالتنا وبينكم ود وصفاء، وتطلبون الصلح وصلاح الأمور وهو ما ينتج عنه راحة الرعايا ويؤدي إلى انتظام أحوال الجمهور، وقد وقع رجاؤكم محل رضانا، وحينها تم إرسال السفير المشار إليه إليكم مع الكتاب المستطاب، كما تم إرسال فرماناتنا المطاعة في العالم إلى إحكام الموجودين داخل حدودنا المحروسة، وتم التأكيد عليهم بالا يتعرضوا للغادين والرائحين، وقد تم الآن سلوك هذا الطريق الذي قرينه التوفيق، وتم إرسال شرف الأماجد والأكارم مستجمع المحامد والمكارم المختص بمزيد عواطف هادي السداد أيشك أغاسي فرح

زاد بك قدره وهو من المقربين لتلك الأسرة، كرسول إلى سدتنا المخلدة الإقبال لتأكيد مراسم المحبة والوداد وتشديد مبني المودة والاتحاد، وتم كتابة الكتاب المستطاب والخطاب المسكي النقاب إلى سدتنا التي اشتمالها السعادة، فوصل إلى سدة فلكننا في أيمن الأوقات وأحسن الساعات، وسعد بشرف تقبيل تراب عرشنا الذي هو مصير الخلافة، وعرض على عز حضورنا الأمور التي أمرتموه بها، وتم أيضاً الاطلاع على خلاصة الآمال المسطورة والمكتوبة ضمن الرسالة الشهيرة وصحيفة الكرام، ووصل إلى علمنا الشريف المزين للعالم كل ما قبل بشأن تشييد مباني المولاه وتمهيد قواعد المصافاه وبالنسبة لهذا الأمر فإن شمس العالم والعالمين الله سبحانه وتعالى مالك الملك كان قد عهد إلى زمام تصرفنا الممالك الواسعة الأطراف في العالم بالطول والعرض بمقتضى «إنا جعلناك خليفة في الأرض» وسلم إلى رأينا المزين للعالم أحوال البلاد والعباد والحمد لله على آلائه العظيمة ولقد كانت نيتنا الهايونية المقرونة بالخير مبذولة دائماً لترفيه أحوال المسلمين بالآيات الهادية المقترنة بالمعجزات لسيد الكائنات وخلاصة الموجودات عليه الصلاة والسلام والآثار العظيمة التي تفيض بالبركات للأرواح المقدسة لأل البيت الكرام والصحابة الأبرار، وإن ميامن هممنا العلية التي مرآتها العدل معطوفة على الدوام لانتظام مهمام الأنام، ولأنه قد أشير إلى الصلح والصلاح مع عتبتنا التي هي مدار العالم من أجل استحكام واستقرار ما بيننا من مولاه ومصافاة، فإنه لو حظ صدق نواياكم وإخلاصكم في هذا الأمر مما تضمنته رسالتكم (وأحسن الموافقة والاتحاد فيما بين المتحابين) ولا بد وأن يكون قاعدة الملوك الذين مرأهم الأنصاف، أن تشع الضمائر المنيرة لشمس تنويرهم، وأن أقصى مرامنا وعمدة آمالنا أن يحفظ ستر شرف الصحابة الأبرار والخلفاء المهديين الذين يطلق عليهم ضجيج سيد المرسلين، وقد أبلغنا رسولكم الذي جاءنا هذا المعنى، وتم إخباره ليبلغكم بأن هذا الأمر مدفوع وممنوع، وفي

الواقع فإن هذا الأمر غاية الأمانى ومنتهى الآمال، وقد تم ذكر بعض الكلمات الخاصة بسُلطان الولاية وبرهان الكرامة الإمام علي (كرمه الله وجهه ورضي عنه) في الموضع الذي ذكر في الرسالة التي مآلها السعادة، ولا شك في أن علو شأنه أكثر من مرتبة الكتابة وبعيد وخارج عن دائرة الحصر، ولكن مع ما هو عليه من علو جاه فإنه لا يجب سب وكره بقية الصحابة وقد قال سيد الكائنات وخلصه الموجود صلوات الله عليه وسلامه " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم "، ولا شك في أن عظيم الحب لجميع هؤلاء السادة يؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة، وفي النهاية فإن ما تأملونه بشأن التصالح مع سدة بهجة عطائنا قد حاز لدينا القبول، كما أن رسولكم المشار إليه قد قام بتوصيل الرسالة كما ينبغي، وتم إعادته إليكم بحسن إجازتنا الهمايونية، وأن شاء الله الأعز الأكرم تصبح بعد ذلك روابط الاتحاد أبدية وتراعي وتشيد شروط الانبساط، ما دامت لم تظهر أو تقع من جانبكم أوضاع تثير الفتنة ومغايرة للمصافاه والمولاه .

كما أنه أغلقت أبواب التعرض لحدودكم من قبل ضباط الملك والملكة وحراس الأقاليم والمملكة الموجودين في أكناف المملكة المحمية، إذ يجب ألا تضيع دققة في الحفاظ على سبل الصفاء، وقد تشرفت الإجازة العلية الخاقانية بالنفاذ بشأن الأمور التي أشرتم إليها في خطابكم المستطاب بمقتضى الصلح والصلاح والفوز والفلاح، وهي أن يحظى حجاج بيت الله الحرام وزوار المرقد المطهر لحضرة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام برفاهية واطمئنان عند توجههم لتلك النواحي، ولن يحول القائمون على الثغور بين عامة المسلمين والموحدين والراغبين في زيادة الأماكن المشرفة والقبلة المطهرة والطواف حولها وبين ما يبتغون، وليتموا مرامهم بفراغ خاطر واطمئنان بال .

الوثيقة الحادية عشرة

خطاب من ملكة اليزابيث إلى الشاه طهماسب الأول :

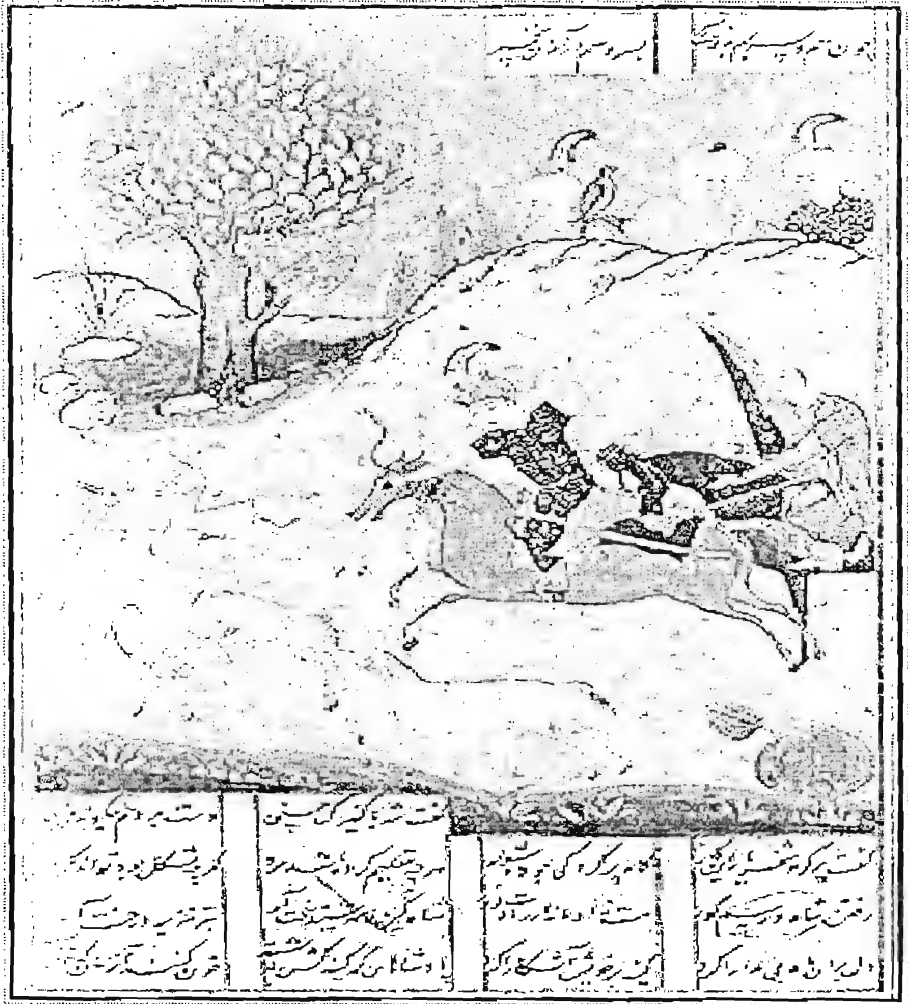
من اليزابيث ملكة انجلترا المؤيد بالتأييد الإلهي إلى الأمير العالي القوى
الصوفي الكبير ملك الملوك أب ان وشعب مادربارث وجرجان وكرمان
ومرور والقبائل على شاطئ دجلة وكطل الشعوب التي تقطن ما بين بحر
الخرز والخليج الفارسي أبعث وافر السلام وأمانى الساعدة والإقبال .

من رحمة الله التي لا تحد أصبحت الامتان الإيرانية والانجليزية صديقتين
عن طريق المراسلة، رغم المسافة التي تفصل بينهما من بحار وأرض
الطرفين، ولهذا فان تابعنا العزيز الوفي أنطواني جينكينسن الذي يحمل هذه
الرسالة باذننا ومراحمنا وبعون الله ينوي السفر من بلادنا إلى إيران وباقي
المناطق التابعة لنفوذكم . ولما كان هدفه إقامة علاقات تجارية مع رعاياكم،
وبقية التجار الذين يعملون في بلدكم بالتجارة . لهذه أردت أن أطلب من
جلالتكم ان تتفضلوا باصدار تصاريح المرور اللازمة له ولمرافقيه
والتسهيلات الأخرى حتى لا يواجهوا أية مشاكل في تنقلاتهم أو أقامتهم في
إيران ...

كتب في انجلترا بمدينة لندن الكبير في 25 / إبريل / 1536م .

الأشكال والصور

- 1 - لوحة صفوية رسمت سنة 1515 م .
- 2 - لوحة صفوية رسمت بداية القرن السادس عشر .
- 3 - عملة ذهبية صفوية ضرب عليها : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله .
- 4 - صورة للسلطان العثماني بايزيد الثاني .
- 5 - صورة للسلطان العثماني سليم الأول .
- 6 - صورة للسلطان العثماني سليمان القانوني .
- 7 - صورة للشاه إسماعيل الصفوي .



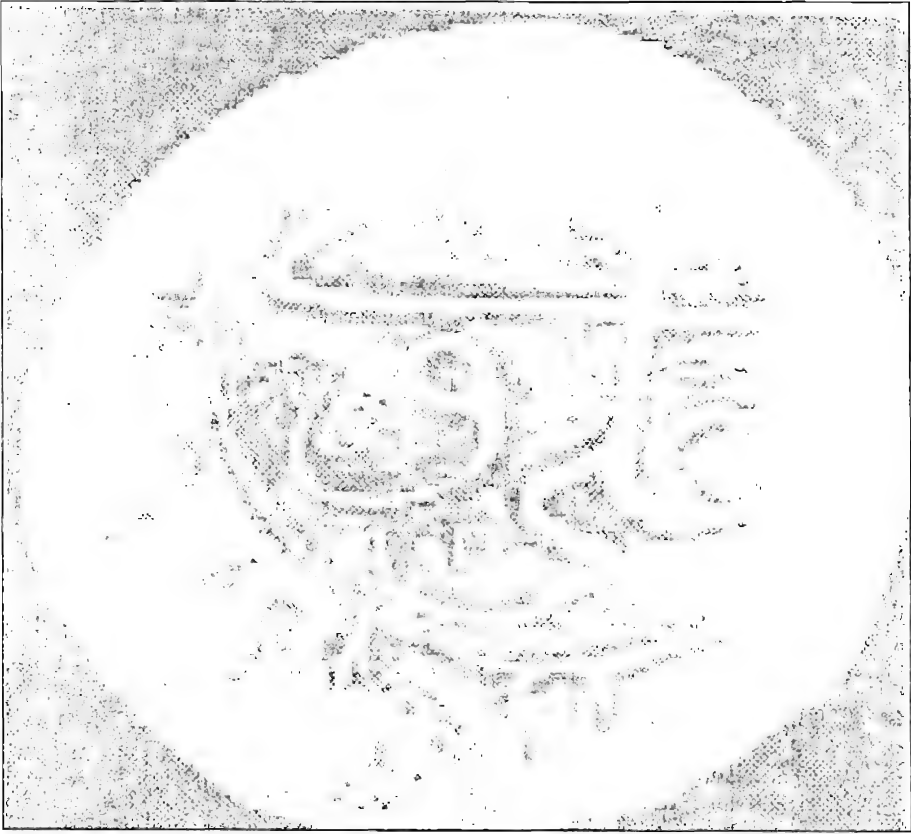
منمنمة من مخطوطة مصورة، إيران 1515 م، ألوان مائية على ورق
 منمنمة من مخطوطة مصورة "خمسة كنوز نظامي للشاعر الإيراني" خمس
 قصائد للشاعر نظامي .

في الصورة نرى الملك الفارسي بهرام "جور الصياد الماهر"، يصيب
 برمية سهم واحدة أذن وقدم الغزال، وخلفه محبوبته أزده نعزف القيثارة .



منمنمة من ألبوم، إيران، قزوين، القرن السادس عشر ألوان مائية على ورق.
ملاك متبرج يجلس منتصب القامة بيده سبحة، على خلفية سماء ملبدة بالغيوم
بالأسلوب الصيني، وتسريحة شعره وعبونه صينية .

عن : المرشدون للفنون الإسلامية www.ammaj.org .



عملة ذهبية في العصر الصفوي، سكّت في عهد الشّاع
إسماعيل 1501 - 1524 م، ضرب عليها : لا إله إلا الله، محمد
رسول الله، علي ولي الله .



صورة للسلطان العثماني بايزيد الأول . عن : علي أكبر
ولايته، تاريخ روابط خارجي إيران وعهد شاه إسماعيل الصفوي،
ص 283 .



صورة للسلطان العثماني سليم الأول . عن : علي أكبر ولايتي، ص 283 .



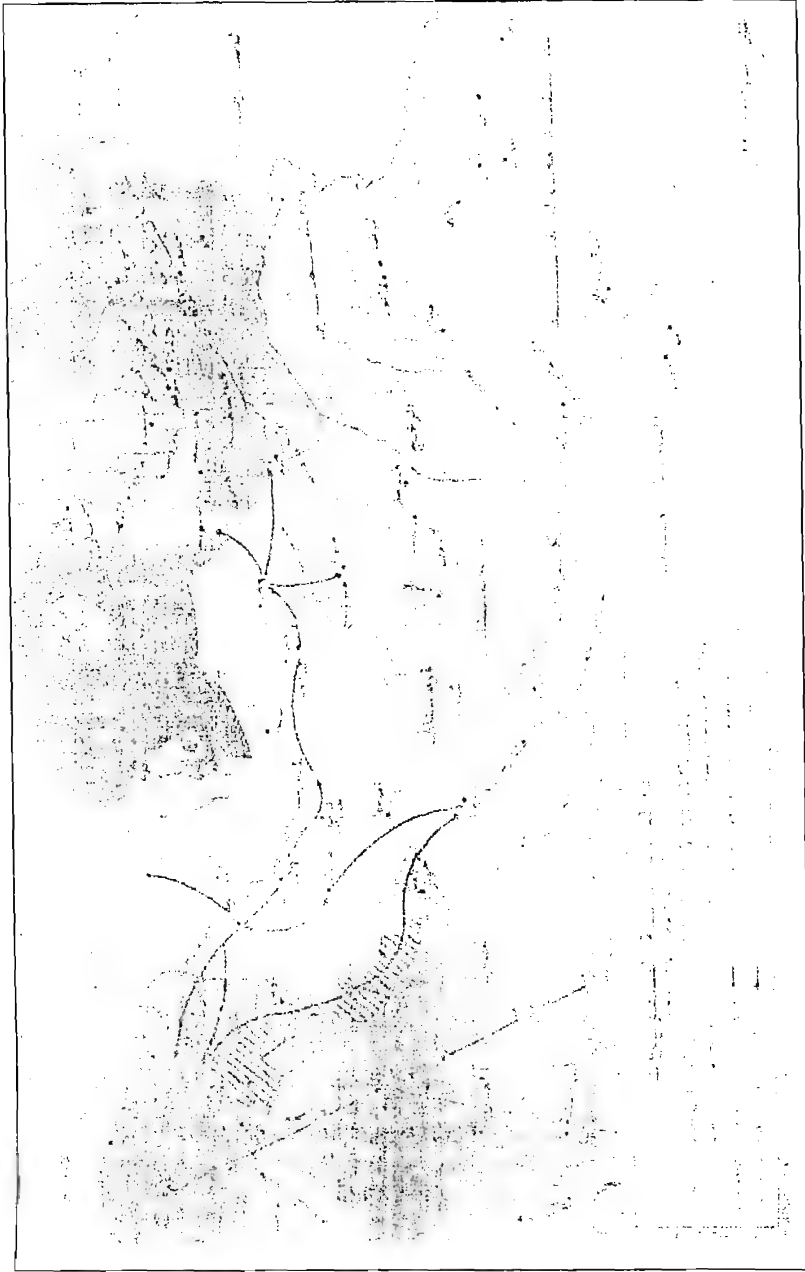
صورة للسلطان العثماني سليمان القانوني . عن : علي أكبر ولايتي، ص
285 .



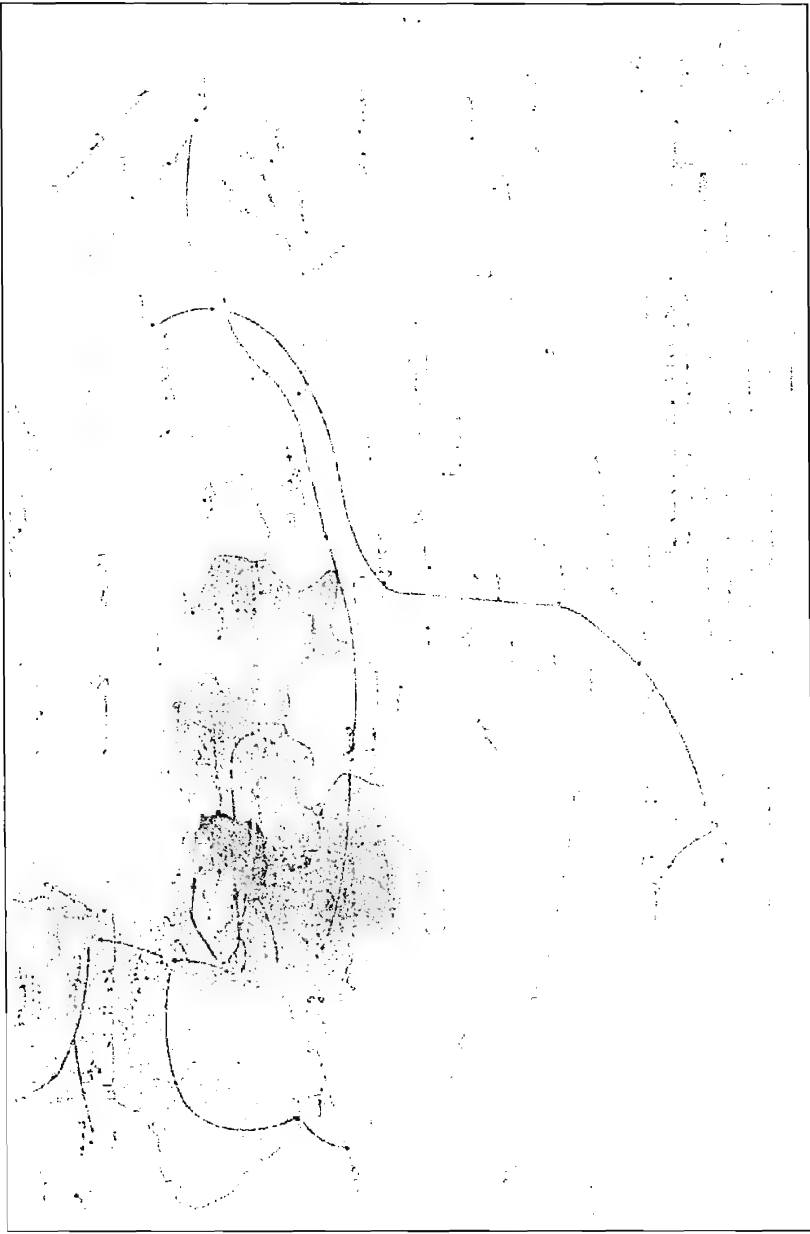
صورة للشاه إسماعيل الصفوي . عن : علي أكبر ولايتي، ص 282 .

الخرائط

- 1 - خريطة للدولة الصفوية .
- 2 - خريطة لميلاد الدولة العثمانية وتوسعها حتى نهاية حكم سليم الأول 1520 م .
- 3 - خريطة الصراع بين العثمانيين والصوفيّين .
- 4 - خريطة اقتصادية للعالم الإسلامي في العصور الوسطى .
- 5 - خريطة اقتصادية للعالم الإسلامي في العصور الوسطى والطرق الرئيسية للتجارة .



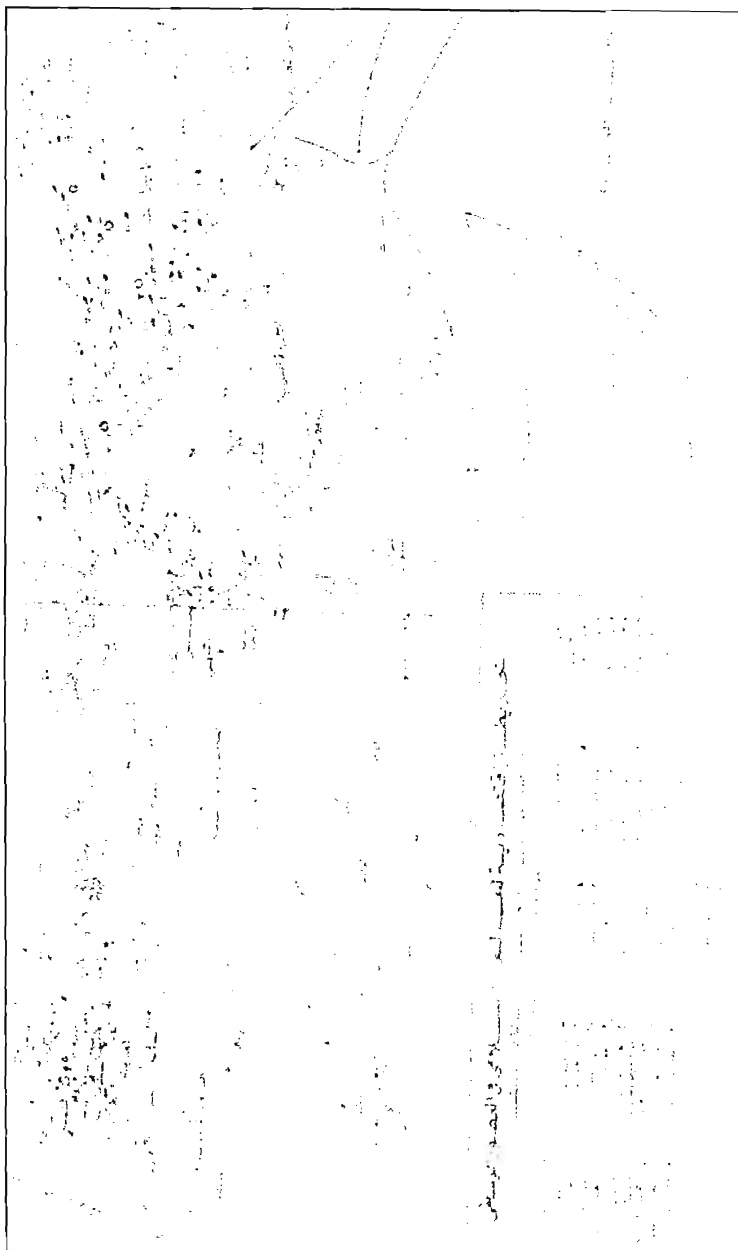
الشكل : 1 . خريطة للدولة الصفوية . عن : حسين مؤنس ، الأطلس الإسلامي .



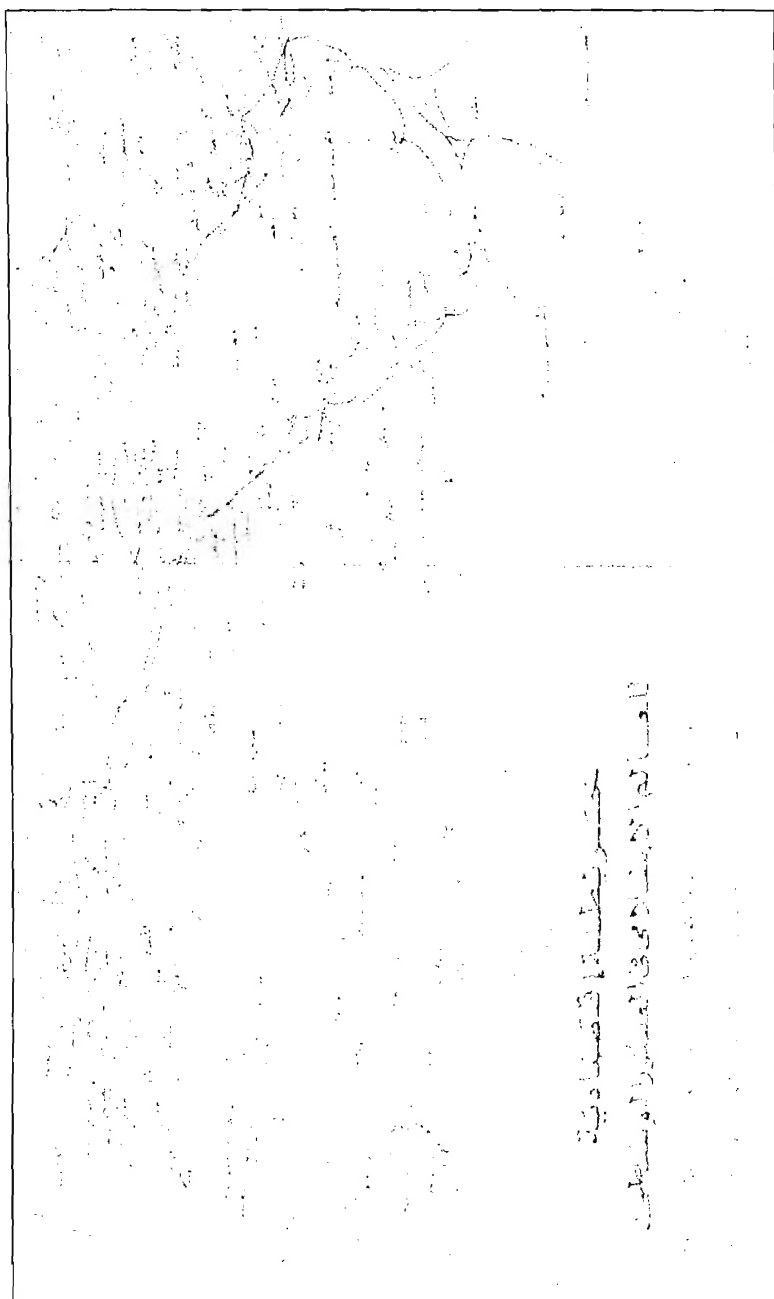
الشكل : 2 . خريطة لميلاد الدولة العثمانية وتوسعها حتى نهاية حكم سليم الأول 1520 م . عن : حسين مؤنس ، الأطلس الإسلامي .



الشكل : 3 . خريطة الصراع بين العثمانيين والصفويين . عن :
حسين مؤنس ، الأطلس الإسلامي .



الشكل : 4 . خريطة اقتصادية للعالم الإسلامي في العصور الوسطى .
عن : حسين مؤنس ، الأطلس الإسلامي .



الشكل : 5 . خريطة اقتصادية للعالم الإسلامي في العصور الوسطى
والطرق الرئيسية للتجارة . عن : حسين مؤنس ، الأطلس الإسلامي .

هذا الكتاب

بدأ الزحف العثماني نحو أوروبا في منتصف القرن الرابع عشر وتوج بفتحه القسطنطينية عام 1453 والسيطرة على جزء كبير من أوروبا. ومع بداية القرن السادس عشر اتجه العثمانيون للمشرق (الفارسي والعربي) ليدخلوا في صراع طويل الأمد مع الدولة الصفوية وقد نتج عن هذا الصراع أحداث ووقائع وما تمخض عنها من نتائج ولاسيما المتعلقة بمنطقة المشرق العربي.